تصريف القول في آيات التفكر وأثره في تربية النفس: دراسة تحليلية

إعداد

انتصار بنت محمد عصري

الجامعة الإسلاميّة العالميّة ماليزيا

٢٠٢٥م

تصريف القول في آيات التفكر وأثره في تربية النفس: دراسة تحليلية

إعداد

انتصار بنت محمد عصري

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في معارف الوحي والتراث

قسم دراسات القرآن والسنة

كلية عبد الحميد أبو سليمان لمعارف الوحي والعلوم الإنسانية

الجامعة الإسلاميّة العالميّة ماليزيا

فبراير ٢٠٢٥م

ملخص البحث

يهدف هذا البحث إلى دراسة ثلاث قضايا رئيسية: أولاً، تحديد مفهوم تصريف القول وشرح غايته وأنواعه. ثانياً، توضيح مفهوم التفكر واستعراض أمثلته وأهميته ومجالاته وأهدافه. ثالثاً، تحليل مجالات تصريف القول في آيات التفكر وإبراز تأثيره في تربية النفس. وتكمن أهمية هذه الدراسة في إحياء مصطلح التصريف القرآني وإبراز بلاغته، وفتح آفاق جديدة لتدبر القرآن الكريم وفهم معانيه بعمق أكبر. ويسهم ذلك في التأثير الإيجابي على النفوس، وتعزيز تماسك المجتمع، وتقوية ارتباطه بالقرآن الكريم. وقد قامت هذه الدراسة على منهجين: الاستقرائي والتحليلي. أما المنهج الاستقرائي فهو من خلال جمع المواد المتعلقة بتصريف القول، بالإضافة إلى جمع النصوص التي تتعلق بموضوع التفكر في القرآن، وأما المنهج التحليلي فهو لدراسة المعلومات المجمعة حول تصريف القول في آيات التفكر وتحليل التصرفات البيانية لهذه الآيات والنتائج التي تساعد المسلم على تربية النفس. وتوصل البحث إلى عدة نتائج، منها: أولًا: التعرف على مفهوم التصريف في القرآن وهو: التبيين والإيضاح، والتكرار والترديد، والتنويع والتفنن وحكمه للتفقه، والتذكر، والتقوى، والرجوع. ثانيًا: من أهمية التفكر: تكريم الله تعالى للإنسان بتفوقه على سائر المخلوقات، حيث إن التفكر يُعتبر نور الإيمان وأفضل الأعمال، وهو حجر الأساس في بناء الحضارة ونهضتها. ثالثًا: تساعد معرفة التصرفات المتعددة في آيات التفكر على تربية الدعاة وفق منهجية فعّالة في الدعوة إلى الله، وذلك من خلال فهم هذه التصريفات في القرآن الكريم، كما يمكن من خلالها أيضًا تطوير استراتيجيات متعددة لزيادة فعالية الدعوة إلى الله تعالى، وقد ختمت الدراسة بجملة من التوصيات.

ABSTRACT

This research aims to study three main issues: First, to define the concept of the variation of expressions, its purpose, and outline its types. Second, to clarify the concept of contemplation *(Tafakkur)*, review its examples, significance, fields, and objectives. Third, to analyse the areas of the variation of expressions in the verses of contemplation and highlight its impact on educating oneself. The significance of the study is found in reviving the term variation in the Quran and highlighting its eloquence, which opens new horizons for contemplating the Quran and understanding its meanings more deeply. Thus, it positively affects individuals, strengthens social cohesion, and deepens the connection with the Quran. This study was conducted using two methodologies: the inductive and analytical methods. The inductive method involved gathering materials related to the variation of expressions and collecting texts that deal with the concept of contemplation in the Quran. The analytical method was employed to study the collected information regarding the variation of expressions in the contemplation verses, analyse the variation aspects of these verses, and identify outcomes that help Muslims in self-education. The research reached several conclusions, including the understanding of variation in the Quran, which encompasses clarification, explanation, repetition, variety, and diversification. Its objectives include enhancing understanding, remembrance, devotion, and repentance. 2. The importance of contemplation lies in God's honouring of humankind above all other creations, where contemplation is considered the light of faith and one of the best deeds. It is the cornerstone of building and advancing civilisation. 3. Understanding the various elements in the contemplation verses helps nurture preachers following a practical method for calling others to God. Through comprehending these elements in the Quran, multiple strategies can be developed to enhance the effectiveness of *da'wah* (inviting others to Islam). The study concluded with several recommendations.

APPROVAL PAGE

I certify that I have supervised and read this study and that in my opinion it conforms to acceptable standards of scholarly presentation and is fully adequate, in scope and quality, as a dissertation for the degree of Master of Islamic Revealed Knowledge and Heritage in Quran and Sunnah.

……
Nashwan Abdo Khaled
Supervisor

I certify that I have read this study and that in my opinion it conforms to acceptable standards of scholarly presentation and is fully adequate, in scope and quality, as a dissertation for the degree of Master of Islamic Revealed Knowledge and Heritage in Quran and Sunnah.

……
Radwan Jamal Yousef Elatrash
Examiner

……
Sofiah Samsudin
Examiner

This dissertation was submitted to the Department of Quran and Sunnah Studies and is accepted as a fulfilment of the requirement for the degree of Master of Islamic Revealed Knowledge and Heritage in Quran and Sunnah.

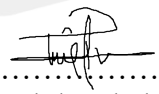

……
Nashwan Abdo Khaled
Head, Department of Qur'an and Sunnah Studies

This dissertation was submitted to the AbdulHamid AbuSulayman Kulliyyah of Islamic Revealed Knowledge and Human Sciences and is accepted as fulfilment of the requirement for the degree of Master of Islamic Revealed Knowledge and Heritage in Quran and Sunnah.

……
Shukran Abdul Rahman
Dean, AbdulHamid AbuSulayman Kulliyyah of Islamic Revealed Knowledge and Human Sciences

DECLARATION

I hereby declare that this dissertation is the result of my own investigations, except where otherwise stated. I also declare that it has not been previously or concurrently submitted as a whole for any other degrees at IIUM or other institutions.

Intisor Binti Mohd Asri

Signature: Date: 17/02/2025

الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا

إقرار بحقوق الطبع **وإثبات مشروعية استخدام الأبحاث غير المنشورة**

حقوق الطبع ٢٠٢٥م محفوظة لـ: انتصار بنت محمد عصري

تصريف القول في آيات التفكر وأثره في تربية النفس: دراسة تحليلية

لا يجوز إعادة إنتاج أو استخدام هذا البحث غير المنشور في أي شكل وبأي صورة (آلية كانت أو إلكترونية أو غيرها) بما في ذلك الاستنساخ أو التسجيل، من دون إذن مكتوب من الباحث إلا في الحالات الآتية:

١- يمكن للآخرين اقتباس أية مادة من هذا البحث غير المنشور في كتابتهم بشرط الاعتراف بفضل صاحب النص المقتبس وتوثيق النص بصورة مناسبة.

٢- يكون للجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا ومكتبتها حق الاستنساخ (بشكل الطبع أو بصورة آلية) لأغراض مؤسساتية وتعليمية، ولكن ليس لأغراض البيع العام.

٣- يكون لمكتبة الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا حق استخراج نسخ من هذا البحث غير المنشور إذا طلبتها مكتبات الجامعات ومراكز البحوث الأخرى.

٤- سيزود الباحث مكتبة الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا بعنوانه مع إعلامها عند تغير العنوان.

٥- سيتم الاتصال بالباحث لغرض الحصول على موافقته على استنساخ هذا البحث غير المنشور للأفراد من خلال عنوانه البريدي أو الإلكتروني المتوفر في المكتبة. وإذا لم يجب الباحث خلال عشرة أسابيع من تاريخ الرسالة الموجهة إليه، ستقوم مكتبة الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا باستخدام حقها في تزويد المطالبين به.

أكد هذا الإقرار: انتصار بنت محمد عصري

التوقيع: .....

التاريخ: ١٧ فبراير ٢٠٢٥ .....

إلى أمي الحبيبة،

شكرًا لحنانك ودعمك الذي لا ينضب، ولحبك الذي كان دائمًا مصدر قوتي.

إلى أبي العزيز،

أقدر كل نصيحة وتشجيع قدمته لي، واعتز بوجودك المستمر كمرشد وداعم في حياتي.

إلى أسرتي الغالية،

لكم كل الحب والتقدير لوقوفكم بجانبي في كل خطوة من هذه الرحلة.

إلى زملائي الأعزاء،

شكرًا لمساندتكم ودعمكم الذي كان له أثر كبير في مسيرتي.

إلى أساتذتي الأفاضل،

أشكر لكم إرشادكم الذي زرع في قلبي حب الله وكتابه الكريم.

إلى كل من يسعى لفهم كتاب الله والتأمل في عظمته،

أهدي هذا البحث المتواضع، راجيةً من الله القبول والتوفيق.

الشكر والتقدير

الحمد لله الذي أكرمني بفضله وأعانني على إتمام هذه الرسالة، فأشكره سبحانه وتعالى على نعمه التي لا تُحصى. والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء وسيد المرسلين محمد ﷺ. وبعد، فإنني أحمد الله سبحانه وتعالى على توفيقه في إنجاز هذا العمل، وأتقدم بخالص الشكر وأجزل العرفان إلى مشرفي الذي قضى أوقاته الذهبية في الإشراف على هذا البحث صاحب الفضيلة ورئيس القسم **الأستاذ المشارك الدكتور/ نشوان بن عبده خالد**. فقد كان لدعمه وإرشاداته الأثر الكبير في تسهيل العقبات وتجاوز الصعاب، فجزاه الله خير الجزاء. كما أقدم شكري وتقديري لأعضاء هيئة التدريس في قسم دارسات القرآن والسنة في كلية عبد الحميد أبو سليمان لمعارف الوحي والعلوم الإنسانية بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، وكذلك للكلية، والجامعة التي أتاحت ووفرت البيئة المناسبة والفعالة لطلاب العلم، وكذلك لكل من ساعدني بنصيحة، أو توجيه، أو مشورة علمية، أو شاركني بجهده ووقته. فلهم مني جزيل التقدير والاحترام على كل ما قدموه من دعم كريم.

فهرس محتويات البحث

ملخص البحث..... ب
ملخص البحث بالإنجليزية ..... ج
صفحة القبول ..... د
صفحة التصريح ..... هـ
الإقرار بحقوق الطبع..... و
الإهداء ..... ز
الشكر والتقدير ..... ح

الفصل الأول: خطة البحث وهيكله العام ١
المقدمة..... ١
مشكلة البحث ٤
أهمية البحث ٥
الدراسات السابقة ٥
أسئلة البحث..... ٩
أهداف البحث..... ١٠
حدود البحث ١٠
منهج البحث..... ١٠

الفصل الثاني: مفهوم تصريف القول وغايته وأنواعه..... ١١
المبحث الأول: مفهوم تصريف القول في القرآن ١١
المطلب الأول: التصريف في اللغة والاصطلاح ١١
المطلب الثاني: التصريف في استعمال القرآن ١٤
المطلب الثالث: تصريف القول عند المفسرين ١٥
المبحث الثاني: غاية التصريف ١٨

المبحث الثالث: أنواع تصريف القول في القرآن ٢٣
المطلب الأول: التصريف في الألفاظ ٢٤
المطلب الثاني: التصريف في المعاني ٤٢
خلاصة الفصل الثاني ٤٥

الفصل الثالث: التفكر ومفهومه، وأهميته، ومجالاته، وأهدافه ٤٨
المبحث الأول: مفهوم التفكر لغة اصطلاحا والمصطلحات المتقاربة به ٤٨
المطلب الأول: مفهوم التفكر لغةً واصطلاحًا ٤٩
المطلب الثاني: المصطلحات المتقاربة مع التفكر ٥٤
المبحث الثاني: أهمية التفكّر ٥٧
المبحث الثالث: مجالات التفكّر ٦١
المبحث الرابع: أهداف التفكّر ٧١
خلاصة الفصل الثالث ٧٥

الفصل الرابع: تصريف القول في مجالات آيات التفكر وأثرها في تربية النفس ٧٧
المبحث الأول: تصريف القول في آيات التفكر ٧٧
المطلب الأول: التفكر في الآفاق ٧٧
المطلب الثاني: تصريف القول في التفكر في النفس الإنسانية ٨٧
المطلب الثالث: تصريف القول في التفكر في الأحكام الشرعية ٩١
المطلب الرابع: تصريف القول في التفكر في آيات القرآن الكريم ٩٧
المطلب الخامس: تصريف القول في التفكر في آلاء الله ونعمه ١٠٠
المطلب السادس: تصريف القول في التفكر في الأمم السابقة ١٠٦
المبحث الثاني: أثر التصريف في تربية النفس ١١٢
المطلب الأول: مفهوم التربية لغة واصطلاحًا ١١٢
المطلب الثاني: مفهوم النفس لغة واصطلاحًا ١١٣

المطلب الثالث: أثر تصريف القول في آيات التفكر في تربية النفس..... ١١٥
خلاصة الفصل الرابع..... ١٣٠

الخاتمة..... ١٣٤

قائمة المصادر المراجع..... ١٣٩

الفصل الأول

خطة البحث وهيكله العام

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، ونشكر الله الذي أنزل القرآن هدى ورحمة للعالمين، والسلام على من أرسله الله للناس كافة بشيرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الحق بإذنه وسراجًا منيرًا، أفصح العرب لسانًا وأحسنهم بيانًا، ﷺ وعلى آله وصحبه الطيبين، ومن اتبع هديه إلى يوم الدين. أما بعد!

فإن القرآن الكريم كلام الله، المعجز ببلاغته وأحكامه وعلومه، وأنزله الله تعالى على النبي محمد ﷺ بلسان عربي مبين، وهو غني بالألفاظ والعبارات. وإن القرآن الكريم يضع كل لفظ منه في مكانه المناسب، وبأسلوبه الرفيع، وبيانه البديع دون تحريف، ولا تغيير للمعنى؛ فالجمل والكلمات والحروف في القرآن لكلٍ منها مواضعها الخاصة. ولا غرابة أن يكون للقرآن أسلوبٌ خاصٌ به، فمن خواص القرآن أن أساليبه متنوعة، وألفاظه مختلفة في عرض المعنى الواحد والقصة الواحدة.

ومن جملة الأساليب القرآنية المحسنات البديعية، والبلاغية التي تجعل للتعبير القرآني تصريفات بلاغية مختلفة. ويعرّف التصريف بأنه تحويل الأصل الواحد إلى أمثلة مختلفة لمعان مقصودة لا تحصل إلا بها.[1] أما تصريف القول في القرآن فهو التنويع، وإيراد المعنى الواحد بألفاظ مختلفة، والانتقال من حال إلى حال بأساليب متعددة، وطرق مختلفة، تارة بالترغيب والترهيب، وتارة بالوعد والوعيد، وأخرى بالتنبيه والتذكير، ومرة بالدعوة إلى التفكّر، والاعتبار بالأمم السابقة.[2]

---

[1] علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، **التعريفات**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٣هـ)، ص٥٩.

[2] ناصر الدين أبو سعيد محمد الشيرازي البيضاوي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤١٨هـ)، ج٢، ص١٦٢.

ويعد التصريف من خصائص أسلوب القرآن الكريم، ومن روعته وبراعته أن تعبيره يعدد الأساليب في أداء المعنى الواحد[٣]. وكان من الحكمة تعدد أساليبه، وتنوع طرقه لأجل ملاءمة أحوال الناس المختلفة من حيث بيئاتهم وقيمهم وعاداتهم؛ كل الأحوال المختلفة لها أسلوب خاص في مخاطبتها. ولهذا، نجد تنوع خطاب القرآن يأتي بحسب المخاطبين وعللهم، فخطاب القرآن مع المسلمين وأهل الكتاب والمشركين لا يأتي بأسلوب واحد. وتحويل الأسلوب من حال إلى حال يدل على عظمة القرآن في اشتماله على أساليب صالحة لمخاطبة البشرية على كل حال.[٤]

وقد ورد مصطلح التصريف في عدة آيات من خلال كتاب الله العظيم. ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿**ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ هُمۡ يَصۡدِفُونَ**﴾ [الأنعام: ٤٦]، فسّر ابن سعدي: "نصرّف أي: ننوّع، ونأتي بها في كل فن، ولتنير الحق، وتتبين سبيل المجرمين"[٥]. وقال تعالى: ﴿**انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ**﴾ [الأنعام:٦٥]. وكذلك قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ**﴾ [الكهف: ٥٤]، أي: بيّنّا[٦]. وهذه الآيات دالة على اعتناء القرآن بالتأمل والتدبّر في التصريف. وعلى الرغم من ذلك، لم يكن الكثير من الباحثين يستعملون هذا المصطلح، بل اعتنوا باستعمال مصطلح التكرار، والترداد، والمتشابهات. وفي رأينا، أن مصطلح التصريف أفضل وأولى؛ لأنه المصطلح الذي ارتضاه الله تعالى لنفسه في كتابه العظيم. إذن، فالأولى استخدام المصطلح الذي جاء في القرآن.

ومثال على بلاغة تصريف القول، ما أورده الزرقاني من الأمثلة لتعبير القرآن عن طلب الفعل من المخاطبين بوجوه متعددة، ومنها[٧]: الإتيان بصريح مادة الأمر كما في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا**﴾ [النساء: ٥٨]، والأخبار بأن الفعل مكتوب

---

[٣] محمد عبد العظيم الزُّرْقاني، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، تحقيق: فوّاز أحمد زمرلي، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط١، ١٤١٥هـ)، ج٢، ص٢٥٠.

[٤] محمود أحمد صالح الدوسري، **عظمة القرآن الكريم**، (الدمام: دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٢٦هـ)، ص٢١٠.

[٥] عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م)، ص ٢٥٦.

[٦] أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، تحقيق: محمد بن عاشور، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م)، ج٦، ص١٧٨.

[٧] الزُّرْقاني، المصدر نفسه، ج٢، ص٣٢١-٣٢٢.

على المكلفين نحو: ﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ**﴾ [البقرة: ١٨٣]، والإخبار عن الفعل بأنه خير ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ**﴾ [البقرة: ٢٢٠]، وتقديم وصف شنيع على ترك الفعل، كما في قوله سبحانه: ﴿**مَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ**﴾ [المائدة: ٤٤]. وهكذا نجد أن التعبير القرآني يعدد الأساليب المختلفة في أداء المعنى الواحد بألفاظ متنوعة. وقد لاحظ بعض المفسرين هذا التنوع والبلاغة في تصريف القول، مما دفعهم إلى محاولة إدراك سر هذا التصريف القرآني، الذي يعكس عمق بلاغة القرآن وقدرته على التأثير والإقناع.

ومن حِكَم تصريف القول في القرآن الدعوة للتفكير في آيات الله عزّ وجل، وعظمة القرآن الكريم، والتفكير في النفس، وإنما أعظم نِعَم وهبها الله للإنسان، والتي تجعله مميزًا عن سائر المخلوقات، هي نعمة العقل القادر على التفكير واتخاذ القرارات الحكيمة. إن التفكير هو المبدأ والأساس لمعرفة رب العالمين وصفاته سبحانه: ﴿**هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ**﴾ [يونس: ٦٧]. والتفكير واستعمال العقل كذلك يؤدي إلى معرفة الخير والشر كما قال الإمام الغزالي: "فالعمل تابع الحال، والحال تابع العلم، والعلم تابع الفكر، فالفكر إذن هو المبدأ والمفتاح للخيرات كلها"[٨]، وقال الإمام ابن القيم: "قاعدة جليلة: أصل الخير والشر من قبل التفكر؛ فإن الفكر مبدأ الإرادة، والطلب في الزهد، والترك والحب والبغض، وأنفع الفكرِ الفكرُ في مصالح المعاد، وفي طرق اجتلابها، وفي دفع مفاسد المعاد، وفي طرق اجتنابها"[٩].

وقد اهتم القرآن بالتفكر اهتمامًا كبيرًا، لكن للأسف يبدو أن بعض المسلمين يفضلون قراءة القرآن دون انتباه إلى مضمونه؛ فإن القرآن نزل لهداية البشر، وإرشادهم إلى الطريق المستقيم في العقائد والأحكام ومكارم الأخلاق. ولا يمكن أن نحققه إلا بالتفكر والفهم، كما قال الإمام ابن القيم: "التأمل في القرآن هو تحديق ناظر القلب إلى معانيه، وجمع الفكر على تدبره وتعقله، وهو المقصود بإنزاله، لا مجرد تلاوته بلا تفهم ولا تدبر"[١٠]. وقد أثنى الله تعالى على المتفكرين

---

[٨] أبو حامد محمد الغزالي الطوسي، **إحياء علوم الدين**، (بيروت: دار ابن جزم، ط١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م)، ص١٧٩٨.

[٩] أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، **الفوائد**، تحقيق: محمد عزير شمس، (الرياض: دار عطاءات العلم، ط٤، ١٤٤٠هـ/٢٠١٩م)، ص٢٨٧.

[١٠] ابن قيم الجوزية، **مدارج السالكين في منازل السائرين**، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط٧، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م)، ج١، ص٤٤٩.

في القرآن، ووصفهم بأولي الألباب كما قال عزّ وجل: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ**﴾ [آل عمران: ١٩٠]. وقال ابن كثير: ﴿لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ أي: العقول التامة الذكية التي تدرك الأشياء بحقائقها على جلياتها، وليسوا كالصم البكم الذين لا يعقلون"[١١]. لعلّ هذا البحث يسهم في تشجيع الناس على الإكثار من التدبر والتأمل في القرآن الكريم.

فإننا مع قلة العلم نحاول الخوضَ في معرفة معاني تصريف القرآني وأنواعه، وكشف أسرار تنوع أساليب القرآن وطرقه باتحاد معناه، وإدراك آيات التفكر في القرآن، وبيان أن تعبير القرآن في دعوته إلى التفكر لم يأت بأسلوب واحد، بل يأتي بأساليب متعددة، ثم توظيف تلك الأساليب، وبيان أثرها على تربية النفس.

وأخيراً نسأل الله عز وجل الإخلاص في القول والعمل، وأن يوفقنا وإياكم لكل ما يحبه ويرضاه، وأن يجعلنا من المتفكرين والعالمين والشاكرين، إنه نعم المولى ونعم النصير.

مشكلة البحث

يعد موضوع تصريف القول في القرآن الكريم من الموضوعات الجديرة بالدراسة. ولكن على الرغم من كثرة الدراسات التي تركز حول التنوع البياني في المعاني والأساليب القرآنية، إلا أنها لم تنتبه إلى استخدام المصطلح الدقيق أي التصريف القرآني؛ بل استخدمت مصطلحات التكرار، والترداد، والتشابه اللفظي[١٢]. لذلك فالباحثة تسعى إلى إحياء مصطلح التصريف الذي يعتبر أولى منها دلالة، وأوسع وأشمل[١٣]. ومن ناحية أخرى نجد معظم الدراسات الحالية تركز على الفوائد الإيجابية للتفكير بشكل عام، دون التعمق في دور التصريف القرآني في تحفيز الناس على التفكر والتأمل. يبرز هذا البحث الحاجة إلى استكشاف أساليب وطرق القرآن الكريم في دعوة

---

[١١] عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ)، ج٢، ص١٦٢.

[١٢] ومن هذه الكتب على سبيل المثال: درة التنزيل وغرة التأويل للخطيب الإسكافي، وأسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن للكرماني، وملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل لابن الزبير الغرناطي، وكشف المعاني في المتشابه من المثاني لبدر الدين جماعة.

[١٣] عبد الله محمد النقراط، **بلاغة تصريف القول في القرآن الكريم**، (دمشق: دار قتيبة، ط١، ١٤٢٣هـ)، ص١٢.

الناس إلى التفكر، مع التركيز على بيان أسرار التنويع في آياته وكيفية تدبرها. كما يسعى البحث إلى توضيح كيفية توظيف هذه الأساليب القرآنية في تعزيز تربية النفس.

أهمية البحث

تبرز أهمية هذا البحث فيما يلي:

١. يساهم البحث في إحياء مصطلح التصريف القرآني، وتعميق هذا المصطلح، وإبراز بلاغته، وفتح أبواب الدراسة فيه.
٢. تساهم الدراسة في إيجاد حلول وقائية لأزمة العقل المسلم في تعامله مع الآيات القرآنية وفق قاعدة التدبر المثمر.
٣. يبين البحث اهتمام القرآن بالتفكير، وبيان كيف عرض القرآن بطرق متعددة لحث الناس على التفكر الفعال.
٤. يُساهم البحث في تصريف القول في القرآن الكريم في فتح آفاق جديدة لتدبر القرآن وفهم معانيه، ممّا يُؤثّر إيجابًا على النفوس، ويُعزّز تماسك المجتمع، ويُوطّد ارتباطه بالقرآن الكريم.

الدراسات السابقة

وجدت الباحثة أن موضوع تصريف القول في القرآن لا يستخدمه الباحثون إلا قليلًا، قديماً وحديثًا. ومن أجل الحصول على التجارب في مجال مثل هذه الدراسة من قبل الباحثين السابقين فإن الباحثة اطلعت على عدة دراسات وكتب قيمة لها علاقة مباشرة بموضوع الدراسة وغير مباشرة. ومن الدراسات السابقة التي يمكن للباحثة الاعتماد عليها خلال هذا البحث ما يأتي:

فمن الدراسات التي أولت عنايةً كبيرةً بإبراز مسائل تصريف القول في القرآن كتاب للدكتور عبد الله محمد النقراط بعنوان: "**بلاغة تصريف القول في القرآن الكريم**"[١٤]، أصل هذا الكتاب "رسالة دكتوراه"، ويتكون الكتاب من ثلاثةٍ أبوابٍ، حيث ذكر في تمهيده الفكرة الموجزة عن بلاغة تصريف القول في القرآن، وتحدث في الباب الأول عن التصريف في بناء السور

[١٤] النقراط، المصدر نفسه، ص١٢.

والآيات، حيث قام المؤلف ببيان الطريقة التي سلكها القرآن في إيراد مقاصده وتنويعها بأساليب شتى وطرق مختلفة. ثم تطرق في الباب الثاني إلى تصريف القول في آيات العقيدة، حيث ذكر أن القرآن الكريم يصرّف القول في آيات العقيدة على وجوهٍ شتى، ويوردها بطرقٍ كثيرةٍ. وتناول في هذا الباب مقاصد التوحيد والصفات، وإثبات النبوة والرسالة، وإثبات البعث والجزاء. أما الباب الثالث فبيّن فيه تصريف القول في آيات الموعظة، حيث تناول تصريف القول في القصص والأمثال، والترغيب والترهيب. ولكن المؤلف لم يتناول تصريف القول في آيات التفكر وبيان أثره في تربية النفس، وهذا ما ستتمّ دراسته في هذا البحث. إن شاء الله.

وهناك رسالة علمية أيضًا رسالة بعنوان: **تصريف القول في القصص القرآني**[١٥]، ألّفها الدكتور امحمد محمد صافي المستغانمي. تناولت الرسالة قضية تصريف القول وتنوّعه في تقديم مضامين قصة موسى عليه السلام باستخدام أساليب وطرائق تعبيرية متعددة عبر سور قرآنية متنوعة. وقد قُسّمت الرسالة إلى سبعة فصول، حيث تناول الفصل الأول تصريف القول من حيث الكم، بينما خصص الفصل الثاني لدراسة تصريف القول في موقعيّة الكلمة، وتحدث الفصل الثالث عن أنواع أساليب التوكيد التي وردت في قصة موسى عليه السلام، وقد تطرق في الفصل الرابع إلى التكلم عن تصريف القول في نوع الجملة، والفصل الخامس يتناول نماذجًا من مواطن الفصل والوصل، ورصد الفصل السادس ظاهرة التناسب في النسيج اللغوي لآيات قصو موسى عليه السلام، ثم بيّن في الفصل السابع روعة توزيع حلقات قصة موسى عليه السلام من خلال السور القرآنية المتعددة، ومن الجوانب التي يمكن للباحثة الاستفادة منها هي الفصلان الأول والثاني اللذان تطرقا إلى أنواع تصريف القول في اللفظ والكلمة. وتجدر الإشارة إلى أن المؤلف يركز في بحثه على قصة موسى عليه السلام فقط، مما يُعدّ جديدًا في هذا البحث، حيث يناقش التصريف القرآني من خلال آيات التفكر وأثره في تربية النفس.

وأيضًا رسالة بعنوان: **خصائص الأسلوب القرآني**[١٦]، كتبها الدكتور أبو بكر محمد فوزي، وتتكون الرسالة من ثمانية فصول، والفصل الذي استفدنا منه هو الفصل الثالث في موضوع "تصريف القول في القرآن". تناول فيه ثمانية أوجه تصريف القول، وهي: تصريف القول

---

[١٥] امحمد محمد صافي المستغانمي، **تصريف القول في القصص القرآني**، (إربد: عالم الكتب الحديث، د.ط، ٢٠١١م).

[١٦] أبو بكر محمد فوزي البخيت، **خصائص الأسلوب القرآني**، (الرياض: كرسي القرآن الكريم وعلومه، ط١، ١٤٣٦هـ).

في الألفاظ والمعاني، وفواتح السور وخواتمها، وتذييل الآيات. ثم تحدث عن تصريف القول في تقرير العقيدة، والأحكام، والترغيب والترهيب، وإيراد القصص والأمثال. والباحثة سوف تستفيد منها تعريف تصريف القول وأوجهه، وستحاول أن تتوسع في هذا الموضوع من خلال آيات التفكر؛ لأن الكاتب لم يتطرق إليها، ولا أثره في تربية النفس. لذلك يسعى هذا البحث لتحقيقه.

ويليه بحث بعنوان: **تصريف المعاني في القرآن الكريم**[١٧]، للدكتور عبد العزيز بن صالح العمّار. تحدّث الباحث فيه عن أهمية التصريف القرآني في الدراسات البلاغية التطبيقية في القرآن الكريم لأنه من وجوه إعجاز القرآن الكريم؛ الذي تعذر على البشر الإتيان بمثله. وبدأ الباحث ببيان المراد من التصريف والآيات التي ذكر فيها هذا المصطلح، وعرض غاية التصريف. ثم ذكر موقف الناس جميعاً منه المؤمنين والكافرين، وبيان علاقته بإعجاز القرآن الكريم، وأورد مفهوم التصريف القرآني عند البلاغيين وجهود العلماء فيه. ثم قام تطبيق تصريف المعاني من خلال آيات التصريف نفسها للنظر في أسرارها البلاغية، ونكتها البيانية. فالبحث لم يتناول تطبيقاً من خلال آيات التفكّر، وكيفية تأثير التصريف على تربية النفس.

كما أن هنا كتاب بعنوان: "**دراسات في علوم القرآن الكريم**"[١٨]، ألّفه محمد بكر إسماعيل، بيّن فيه المؤلف شأن خصائص أسلوب القرآن. حيث ذكر فيه أربع خصائص لأسلوب القرآن، منها: جمال التعبير، ودقّة التصوير، وقوة التأثير، وأخيراً براعته في تصريف القول، وثروته في أفانين الكلام. وعرض فيه وجوه تعبير القرآن عن طلب الفعل من المخاطبين، ووردت وسائل تعبير القرآن عن النهي، وكذلك ذكر طرق تعبير القرآن عن إباحة الفعل. والجديد في هذا البحث تبيين بشكل أوسع عن تصريف القول في القرآن عامة، وفي آيات التفكر خاصة، وتأثيره على تربية النفس.

---

[١٧] عبد العزيز بن صالح العمّار، **تصريف المعاني في القرآن الكريم**، (مجلة العلوم العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٣٣هـ).

[١٨] محمد بكر إسماعيل، **دراسات في علوم القرآن الكريم**، (القاهرة: دار المنار، ط٢، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م).

ومن أهم الدراسات التي بحثت في موضوع التفكر رسالة الماجستير بعنوان: "**مع آيات التفكر والاعتبار في القرآن الكريم**"[١٩] للباحث محمد شفيق الرحمن. بدأ بحثه ببيان مفهوم التفكر والاعتبار، والعلاقة بين المفهومين وآثارهما في حياة المسلم. إن القضية الأساسية لهذا البحث هي استخراج الآيات القرآنية التي ورد فيها ذكر ألفاظ التفكر والاعتبار وما يشتق منها، وتقسيم هذه الآيات إلى مجموعات مختلفة، وترتيبها حسب الأغراض التي توصل إليها فهم الباحث، ونقل أقوال المفسرين وعلماء الكون والفلك المتعلقة بتلك الآيات والقيام بالتعليق على أقوالهم عند الحاجة. واقتصر هذا البحث على آيات التفكر فقط، ولم يتناول التصريف القرآني في تلك الآيات والأثر النفسي التربوي له، وهذا ما سيعرض في هذه الدراسة بإذن الله تعالى.

وبحث بعنوان "**مصطلح التفكر كما جاء في القرآن الكريم**"[٢٠] تأليف محمد خازر المجالي. فقد تكلّم المؤلف عن معنى التفكر، وقارن فيها بين التفكر والمصطلحات المتقاربة به، ثم بيّن منهج القرآن في عرض مصطلح التفكر، وقسَّم دلالات التفكّر إلى ستة مباحث، منها التفكر في تعظيم الخالق سبحانه، والتفكر في بيان حقيقة النبوة، والتفكر في تعظيم القرآن. وستستفيد الباحثة من هذا البحث في مفهوم التفكر وموضوعاته وكيفية عرض القرآن له. والجديد في هذا البحث أنه يبين بشكلٍ أوسعٍ عن مدى تأثير التصريف القرآني من خلال آيات التفكر في تربية النفس.

وكتاب بعنوان: **أفلا تتفكرون**[٢١]، لعبد العزيز بن ناصر الجليل. ذكر المؤلف في مقدمته أهمية التفكر والتبصر، وقد قسم كتابه إلى ثلاثة أبواب، فتكلم في الباب الأول عن بعض ما ورد في الكتاب والسنة وأقوال السلف في فضل التفكر والحث عليه. وفي الباب الثاني تحدث عن أقسام التفكر ومجاريه ومجالاته، وقد قسم الباب إلى ثمانية فصول، وفي الباب الثالث تطرق

---

[١٩] محمد شفيق الرحمن، **مع آيات التفكر والاعتبار في القرآن الكريم** (رسالة ماجستير في علوم الوحي والتراث، الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا، ٢٠٠٤م).

[٢٠] محمد جازر المجالي، مصطلح التفكر كما جاء في القرآن، **مجلة الشريعة والقانون**، (قسم أصول الدين، كلية الشريعة، الجامعة الأردنية، عمّان، ٢٠٠٥م).

[٢١] عبد العزيز ناصر الجليل، **أفلا تتفكرون**، (الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م).

إلى الخلل في التفكير ومظاهره وأسباب علاجه. ولكنّ المؤلف لم يركّز على التصريف في آيات التفكر، وهذا ما ستتمّ دراسته في هذا البحث. إن شاء الله.

وبحث منشور بعنوان: **التفكّر والتدبّر وأثرهما في تثبيت الإيمان في القرآن الكريم**[٢٢]، للدكتور أبو الفتوح عبد القادر شاكر، استعرض فيه تعريف التفكّر مع ذكر أهميته في القرآن والسنة النبوية، ثم قدّم مجالات التفكّر مع ذكر أثره في الإيمان، وذكر أيضًا تعريف التدبّر وأثره في إثبات الإيمان. ولكن المؤلف لم يتوسع في تصريف القول من خلال آيات التفكر، وأثر ذلك التصريف على تربية النفس الإنسان، وهذا ما ستتمّ دراسته في هذا البحث. إن شاء الله.

ومن الدراسات التي بحثت في تربية النفس رسالة الماجستير لصاحبها أحمد محمد يحيى المقري بعنوان: **تربية النفس الإنسانية في ظل القرآن الكريم**[٢٣]، تتكوّن الرسالة من ثلاثة أبواب، قسم الباب الأول إلى خمسة فصول، بدأ المؤلف ببيان تعريف التربية والنفس الإنسانية، وبيّن أن الإسلام دين الفطرة. وفي الباب الثاني تطرق إلى معرفة الحالة الاجتماعية قبل الإسلام، ونظرة التشريع السماوي عمومًا وأثره في تربية النفس، والفرق بين التشريعين السماوي والوضعي. وقد اشتمل هذا الباب على ثلاثة فصول، وفي الباب الثالث تحدّث عن دور القرآن الكريم في تربية النفوس وتهذيبها، وقد قسم هذا الباب أيضًا إلى ثلاثة فصول، والذي يهمنا هو مفهوم التربية والنفس الإنسانية، وتربية النفوس وتهذيبها في ظل القرآن الكريم، وستضيف إليه الباحثة آيات التفكّر وتصريف قولها، وإرشاد هذا التصريف إلى تربية النفس.

أسئلة البحث

يحاول هذا البحث الإجابة عن الأسئلة الآتية:

١. ما مفهوم تصريف القول وما غايته؟ وما أنواعه؟
٢. ما المقصود بالتفكر وما أمثلته وأهميته؟ وما مجالاته وأهدافه؟
٣. ما مجالات تصريف القول في آيات التفكر؟ وما أثرها في تربية النفس؟

---

[٢٢] أبو الفتوح عبد القادر شاكر، التفكّر والتدبّر وأثرهما في تثبيت الإيمان في القرآن الكريم، **مجلة الجامعة العراقية**، (الجامعة العراقية، بغداد، ٢٠٢١م).

[٢٣] أحمد محمد يحيى المقري، **تربية النفس الإنسانية في ظل القرآن الكريم**، (رسالة ماجستير في قسم الدراسات العليا الشرعية، جامعة الملك عبد العزيز، ١٣٩٨هـ/١٨٧٨م).

أهداف البحث

يروم هذا البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:

١. تحديد مفهوم تصريف القول، وإيضاح غايته، وبيان أنواعه.
٢. توضيح مفهوم التفكر، ومعرفة أمثلته، وأهميته، ومجالاته، وأهدافه.
٣. تحليل مجالات تصريف القول في آيات التفكر، وإبراز أثره في تربية النفس.

حدود البحث

يتناول هذا البحث بيان ودراسة تصريف القول في القرآن الكريم، ويركز على الآيات التي تحث على التفكر في القرآن، مع اختيار ثلاث آياتٍ في كل مجالٍ من مجالات التفكر التي وردت في القرآن الكريم، لتحليلها وإبراز أساليبها وبلاغتها، ثم استنتاج آثار ذلك، وتطبيقاتها على تربية النفس.

منهج البحث

إن كتابة هذا البحث تقوم على المناهج الآتية:

١. **المنهج الاستقرائي**: يتبع هذا المنهج جمع ما كتب عن جانب تصريف القول في كتب التفسير والكتب العلمية القديمة والحديثة المتخصصة كالدراسات القرآنية التي اعتنت بخصائص أسلوب القرآن، واقتباس أهم آراء العلماء والمفسّرين منها، ثم الكشف عن أنواع تصريف القول، وحِكَمه، وتقوم الباحثة بمراجعة الكتب القديمة المتعلقة بالتفكر في القرآن، وبيان مدى اهتمام القرآن بذلك. ثم جمع الآيات الدالة على التفكّر في القرآن، وتحديد المجالات لتلك الآيات.
٢. **المنهج التحليلي**: وسيتم استخدام هذا المنهج لدراسة المفاهيم الأساسية لعناصر البحث، من خلال جمع المادة العلمية من مختلف التفاسير، وكتب تصريف القول، والمؤلفات المتعلقة بالتفكّر، والدراسات البيانية للقرآن. ثم سيكون التحليل لآياتٍ مختارةٍ من مجالات التفكّر، ومناقشتها، والمقارنة بينها، مع محاولة الكشف عن أنواع تصريف القول في آيات التفكّر، وإظهار جمال التعبير القرآني، وروعة بيانه، وبيان كيف تؤثر تلك الآيات التي تصرّفت في نفوس الإنسانية.

الفصل الثاني

مفهوم تصريف القول وغايته وأنواعه

يُعتبر تصريف القول في القرآن الكريم مجالًا مهمًّا في الدراسات القرآنية، لما يُقدّمه من فهم أعمق لبلاغة القرآن وإعجازه، فهو يُتيح لنا تذوق أسلوبه الجميل، وفهم معانيه الدقيقة، والكشف عن أسراره البلاغية، وتبيان إعجازه اللغوي. ومن هنا يجدر أن نبين ما الذي نقصده بتصريف القول في القرآن الكريم، وهذا بدوره يقودنا إلى تعريفه لغة واصطلاحاً، وإلى تعريفه عند المفسرين المتقدمين والمتأخرين، وبعد ذلك بيان غايته المهمة، ثم نخلص في نهاية الفصل إلى إبراز أنواع تصريف القول في القرآن.

وقسم هذا الفصل كالآتي:

المبحث الأول: مفهوم التصريف القول في القرآن

المبحث الثاني: غاية تصريف القول في القرآن

المبحث الثالث: أنواع تصريف القول في القرآن

المبحث الأول: مفهوم التصريف القول في القرآن

في هذا المبحث تستعرض الباحثة تعريف التصريف في اللغة واصطلاح، وعدد المرات التي ورد في القرآن الكريم، ثم تأتي التعريفات عند المفسرين حول التصريف.

المطلب الأول: التصريف في اللغة والاصطلاح

التصريف لغة: إنَّ كلمة التصريف في اللغة هي مصدر للفعل الرباعي (صَرَّفَ)، يقول صاحب معجم مقاييس اللغة: "الصاد والراء والفاء معظم بابه يدل على رجع الشيء، من ذلك قولهم: صرفتُ القوم صرفًا وانصرفوا، إذا رجعتهم فرجعوا"[1]. وجاء في لسان العرب أن معنى الصرف

[1] أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (دمشق: دار الفكر، د.ط، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)، ج٣، ص٣٤٢.

هو "رد الشيء عن وجهه، صرفه يصرفه صرفا فانصرف"[٢]. وقد أشار إلى هذا المعنى كذلك الراغب الأصفهاني حين عرّف أن "الصرف: رد الشيء من حالة إلى حالة، أو إبداله بغيره، والتَّصْرِيفُ كالصّرف إلّا في التّكثير، وأكثر ما يقال في صرف الشيء من حالة إلى حالة، ومن أمر إلى أمر"[٣].

فإن الصّرف له معانٍ متعددةٍ في استخداماته في اللغة حيث يقال: "الصّرف في الدراهم أي فضل بعضه على بعض في القيمة، وتصريف الدراهم في البياعات كلها: إنفاقها. وصرف الكلام هو تزيينه والزيادة فيه، وإنما سمي بذلك لأنه إذا زين صرف الأسماع إلى استماعه"[٤]. وصرف الشيء: "أعمله في غير وجه كأنه يصرفه عن وجه إلى وجه، وتصرف هو. وتصاريف الأمور: تخاليفها، ومنه تصاريف الرياح والسحاب. وتصريف الرياح: تحويلها من وجه إلى وجه؛ جعلها جنوبا وشمالاً وصبًا ودبورًا فجعلها ضروبًا في أجناسها. وكذلك تصريف السيول والخيول والأمور والآيات. والمعنى تصريف الآيات الذي يعنينا هنا في هذه الدراسة، أي تبيينها، كما في قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ الْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾ [الأحقاف: ٢٧] أي بيّناها"[٥].

ومن خلال عرض التعريفات السابقة، اتضح أن المعنى اللغوي لكلمة التصريف، يقصد به الرجوع، وردّ الشيء من حالة إلى حالة، والتحويل من وجه إلى وجه، وهي كذلك تعني صرف الشيء من جهة إلى جهة.

التصريف اصطلاحًا: أما التصريف في الاصطلاح، فإنه لم يكن هناك الكثير من المؤلفات في البلاغة وعلوم القرآن التي تذكر وتبيّن حول هذا المصطلح. ومن التعريفات التي وجدتها ما يأتي:

---

[٢] محمد بن مكرم بن علي بن منظور الأنصاري، **لسان العرب**، (بيروت: دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ)، ج٩، ص١٨٩.

[٣] أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، (دمشق: دار القلم، ط١، ١٤١٢هـ)، ص٤٨٢.

[٤] ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، ج٣، ص٣٤٣.

[٥] ابن منظور، **لسان العرب**، ج٩، ص٤٨٩.

عرّف الجرجاني تعريف التصريف بقوله: "هو تحويل الأصل الواحد إلى أمثلة مختلفة لمعان مقصودة لا تحصل إلا بها"[٦].

وذكر الرّماني في كتاب النكت في إعجاز القرآن: "التصريف هو تصريف المعنى في المعاني المختلفة، كتصريفه في الدلالات المختلفة، وهو عقدها به على جهة التعاقب، فتصريف المعنى في المعاني كتصريف الأصل في الاشتقاق في المعاني المختلفة، وهو عقدها به على جهة العاقبة، كتصريف الملك في معاني الصفات، فصرف في معنى مالك، وملك، ذي الملكوت، والمليك، وفي معنى التمليك، والتمالك، والإملاك، والتملك، والمملوك.

وهذا الضرب من التصرف فيه بيان عجيب يظهر فيه المعنى بما يكتنفه من المعاني التي تظهره وتدل عليه، أما تصريف المعنى في الدلالات المختلفة فقد جاء في القرآن في غير قصة، منها قصة موسى عليه السلام، ذكرت في سورة الأعراف وفي طه والشعراء؛ لوجوه من الحكمة، منها: التصرف في البلاغة من غير نقصان عن أعلى مرتبة، ومنها تمكين العبرة والموعظة، ومنها حل الشبهة في المعجزة"[٧].

وقال أبو زهرة: "أنَّ القرآن كان يصرف الآيات، بمعنى أنه يتضمَّن الأمر بالتوحيد والتكليفات الشرعية التي بها صلاح المجتمع وتكوين مدينة فاضلة تحترم فيها حقوق الإنسان احترامًا كاملًا، بأوجه مختلفة من البيان، من تهديد وإنذار، إلى تبشير وتوبيخ واستنكار، ودعوة إلى التأمل في خلق الله تعالى، وفي القول ومناهج التأثير، لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد"[٨].

وأشار الزرقاني أنّ من خصائص الأسلوب القرآن هو براعته في تصريف القول وثروته في أفانين الكلام ومقصود بهذا أنه يورد المعنى الواحد بألفاظ متعددة وبطرق متنوعة بمقدرة فائقة تفوق قدرات الموهوبين من الفصحاء والبلغاء.

وأن تصريف القول في القرآن فنًا من فنون إعجاز القرآني الأسلوبي وكان في نفس الوقت منة يمنها الله للبشر؛ ليستفيدوا عن طريقها ويدفعوا إلى كثرة النظر في القرآن والإقبال عليه

---

[٦] الجرجاني، **التعريفات**، ص ٥٩.

[٧] أبو الحسن علي بن عيسى بن عبد الله الرماني، **النكت في أعجاز القرآن**، تحقيق: محمد خلف الله، محمد زغلول سلام، (القاهرة: دار المعارف، ط٣، ١٩٧٦م)، ص١٠١-١٠٢.

[٨] أبو زهرة، **المعجزة الكبرى القرآن**، ص١١٦.

وتلاوته، وتدبّره، والعمل به. فمن يُعرض عن هذه النعمة العظيمة ويُهمل القرآن الكريم، فلا عذر له في ذلك، بل هو ظالمٌ لنفسه جاهلٌ بقيمتها[٩]، قوله سبحانه: في سورة الإسراء: ﴿**وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُوراً**﴾ [الإسراء: ٨٩].

من خلال هذه التعريفات السابقة يمكن القول بأن التصريف هو التنويع، والانتقال من حال إلى حال بأساليب متعددة، وطرق مختلفة، بمعنى أنه يتضمن الأحكام التشريعية، والعقائد، والأخلاق، وغيرها، ويأتي بها بأساليب متنوعة، من وعد ووعيد، وترغيب وترهيب، ونحوها، ويعرض هذه الأساليب بطرق مختلفة.

المطلب الثاني: التصريف في استعمال القرآن

وردت مادة (صَرَّفَ) في القرآن الكريم بصيغ متعددة ومعان مختلفة، وإن مجموع ورودها ثلاثين مرة، ولكن سآتي بالآيات التي لها علاقة تخصص في دراستنا، وهذه الآيات هي كالآتي:

أولًا: صيغة فعل الماضي "صرّفنا"

١. قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا**﴾ [الإسراء: ٤١].

٢. وقال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا**﴾ [الإسراء: ٨٩].

٣. وقال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا**﴾ [الكهف: ٥٤].

٤. وقال تعالى: ﴿**وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا**﴾ [طه: ١١٣].

٥. وقال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا**﴾ [الفرقان: ٥٠].

---

[٩] الزُّرْقاني، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، ج٢، ص٣٢٢.

٦. وقال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ الْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾ [الأحقاف: ٢٧].

ثانيًا: صيغة الفعل المضارع: "نصرّف"

٧. قال تعالى: ﴿**قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ۗ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ**﴾ [الأنعام: ٤٦].

٨. وقال تعالى: ﴿**قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ**﴾ [الأنعام: ٦٥].

٩. وقال تعالى: ﴿**وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**﴾ [الأنعام: ١٠٥].

١٠. وقال تعالى: ﴿**وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ ۖ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ**﴾ [الأعراف: ٥٨].

وسنقوم بدراسة هذه الآيات تباعًا.

المطلب الثالث: تصريف القول عند المفسرين

بعد الاطلاع على آراء المفسرين، يتبيّن لنا وجود اختلافات في تعريفاتهم للتصريف. ويمكن حصر تلك التعريفات في النقاط الآتية:

١. التبيين والإيضاح

قال الفخر الرازي: "اعلم أن التصريف في اللغة عبارة عن صرف الشيء من جهة إلى جهة، نحو تصريف الرياح وتصريف الأمور هذا هو الأصل في اللغة، ثم جعل لفظ التصريف كناية عن التبيين، لأن من حاول بيان شيء فإنه يصرف كلامه من نوع إلى نوع آخر ومن مثال إلى

مثال آخر ليكمل الإيضاح ويقوي البيان"[١٠]. وقال محمد بن عاشور: "أصل معنى التصريف التغيير والتبديل لأنه مشتق من الصرف وهو الإبعاد. وكنّي به هنا عن التبيين والتوضيح لأن تعدد أنواع الأدلة يزيد المقصود وضوحًا"[١١].

وفسّر ابن كثير معنى التصريف في قوله تعالى: ﴿**انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ**﴾ [الأنعام: ٤٦]، أي: نبينها ونوضحها ونفسرها دالة على أنه لا إله إلا الله، وأن ما يعبدون من دونه باطل وضلال[١٢]. وفي تفسيره قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ**﴾ [الكهف: ٥٤]، قال: ولقد بينا للناس في هذا القرآن، ووضحنا لهم الأمور، وفصلناها، كيلا يضلوا عن الحق، ويخرجوا عن طريق الهدى[١٣]. وذكر الشوكاني في تفسير تلك الآية: بينا ضروب القول فيه من الأمثال وغيرها، أو كررنا فيه. والتصريف في الأصل: صرف الشيء من جهة إلى جهة؛ وقيل: معنى التصريف: المغايرة، أي: غايرنا بين المواعظ ليتذكروا ويعتبروا[١٤].

٢. التكرار والترديد

قال الطبري عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿**انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ**﴾ [الأنعام: ٦٥] أي: "انظر يا محمد بعين قلبك إلى ترديدنا حججنا على هؤلاء المكذّبين بربهم الجاحدين نعمه وتصريفناها فيهم[١٥]". وممن ذكر هذا المعنى كذلك البيضاوي فبيّن أن المراد بقوله تعالى، يقول: ﴿**انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ**﴾ [الأنعام: ٤٦]: "أي نكررها تارة من جهة المقدمات العقلية وتارة من جهة الترغيب والترهيب، وتارة بالتنبيه والتذكير بأحوال

---

[١٠] أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، **مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير**، (بيروت: دار إحياء والتراث، ط٣، ١٤٢٠هـ)، ج٢٠، ص٣٤٥.

[١١] محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، **التحرير والتنوير**، (تونس: الدار التونسية للنشر، د.ط، ١٩٨٤هـ)، ج٢٦، ص٥٥-٥٦.

[١٢] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج٣، ص٢٣٠.

[١٣] االمصدر نفسه، ج٥، ص١٥٤.

[١٤] محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، **فتح القدير**، (دمشق: دار ابن كثير، ط١، ١٤١٤هـ)، ج٣، ص٢٧٢.

[١٥] أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، (القاهرة: دار هجر للطباعة والنشر، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م)، ج٩، ص٣١٠.

المتقدمين"[١٦]. وكذلك ما أشار إلى هذا المعنى أبو السعود قال: "أي انظر كيف نكرّرها ونقرّرها مصروفةً من أسلوب إلى أسلوب، تارةً بترتيب المقدّمات العقلية وتارةً بطريق الترغيب والترهيب، وتارةً بالتنبيه والتذكير"[١٧]. وأكد هذا المعنى في موضع آخر، فيذكر أن معنى قوله: ﴿**وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ**﴾ [الإسراء: ٨٩] أي: كررنا وردّدنا على أنحاءٍ مختلفةٍ توجب زيادة تقريرٍ وبيان ووكادة رسوخٍ واطمئنان[١٨].

٣. التنويع والتفنن

وضّح صاحب التحرير والتنوير معنى التصريف في قوله تعالى: ﴿**انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ**﴾ [الأنعام: ٤٦]: "وتصريف الآيات: اختلاف أنواعها بأن تأتي مرة بحجج من مشاهدات في السماوات والأرض، وأخرى بحجج من دلائل في نفوس الناس، ومرّة بحجج من أحوال الأمم الخالية التي أنشأها الله"[١٩]. وفي موضع آخر، أن تصريف الآيات تنويعها باعتبار ما تدّل عليه من الغرض المقصود منها وهو الإقلاع عن الشرك وتكذيب الرسل، ومعنى تنويع الآيات أنها تارة تكون بالحجة والمجادلة النظرية، وتارة بالتهديد على الفعل، وأخرى بالوعيد، ومرة بالتذكير بالنعم وشكرها[٢٠].

وذهب السعدي أن المقصود بالتصريف في قوله تعالى: ﴿**وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ**﴾ [طه: ١١٣]: أي نوّعناها أنواعا كثيرة، تارة بذكر أسمائه الدالة على العدل والانتقام، وتارة بذكر المثلات التي أحلها بالأمم السابقة، وأمر أن تعتبر بها الأمم اللاحقة، وتارة بذكر آثار الذنوب، وما تكسبه من العيوب، وتارة بذكر أهوال القيامة، وما فيها من المزعجات والمقلقات، وتارة بذكر جهنم وما فيها من أنوع العقاب وأصناف العذاب، كل هذا رحمة بالعباد[٢١].

---

[١٦] البيضاوي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ج٢، ص١٦٢.

[١٧] أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، (بيروت: دار إحياء التراث، د.ط، د.ت)، ج٣، ص١٣٤.

[١٨] المصدر نفسه، ج٥، ص١٩٤.

[١٩] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٧، ص٢٣٥.

[٢٠] المصدر نفسه، ج٢٦، ص٥٤-٥٥.

[٢١] السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، ص٥١٤.

وفي معنى التصريف عند الثعلبي قال: لم يجعله نوعاً واحداً، بل وعداً ووعيداً، وأمراً ونهياً، ومحكماً ومتشابهاً، وناسخاً ومنسوخاً، وأخباراً وأمثالاً، مثل تصريف الرياح من صبا ودبور، وجنوب وشمال، وتصريف الأفعال من الماضي إلى المستقبل، ومن الفاعل إلى المفعول ونحوها[٢٢].

وممن ذكر هذا المعنى أخيراً سيد قطب، عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ**﴾ [الفرقان: ٥٠] أي: فعرضناه عليهم في صور شتى، وأساليب متعددة، ولفتات متنوعة؛ وخاطبنا به مشاعرهم ومداركهم، وأرواحهم وأذهانهم. ودخلنا عليهم به من كل باب من أبواب نفوسهم، وبكل وسيلة تستجيش ضمائرهم[٢٣].

وخلاصة القول: يرى الفخر الرازي وابن عاشور وغيرهما من العلماء أن التصريف يعني توضيح الأمور وتبيينها من خلال التنقل بين مختلف أنواع الأدلة. ويُفهم التصريف في هذا السياق على أنه "توسيع للفهم" باستخدام وسائل متعددة تسهم في إيصال المعنى بطرق متنوعة. أما الطبري والبيضاوي وأبو السعود يرون أن التصريف يدل على تكرار الحجج والأساليب المختلفة لتوضيح الحقائق من خلال المقدمات العقلية، والترغيب والترهيب، والتذكير بالأنبياء السابقين، بهدف تثبيت الفهم وطمأنة الناس. بينما يرى بعض المفسرين مثل السعدي والثعلبي التصريف بأنه يشير إلى تنويع أساليب الحجج والأدلة لتوصيل الرسالة بطرق مختلفة. ويتنوع التصريف ليشمل حججًا تستند إلى مشاهدات في الكون، ودلائل في النفس، وأحوال الأمم السابقة، كما يتضمن التهديد والوعيد، والتذكير بالنعم. وتختلف أساليب التصريف في القرآن لتتناسب مع الأغراض المتنوعة مثل الدعوة للإقلاع عن الشرك، وتحفيز الناس على التوبة، والتذكير بالعقاب والجزاء، من خلال أساليب متعددة تخاطب عقول الناس وقلوبهم.

المبحث الثاني: غاية التصريف

من خلال التأمل في آيات التصريف، تتضح لنا حِكَمها وغايتها المقصودةُ التي تسعى لتحقيقها، ومن الجدير أن نذكر هذه الحِكَم والغايات، كما بيّن الله جلّ وعلا في القرآن الكريم. ونجملها فيما يلي:

---

[٢٢] الثعلبي، **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، ج٦، ص١٠١.

[٢٣] سيد قطب إبراهيم حسين الشاذلي، **في ظلال القرآن**، (القاهرة: دار الشروق، ط١، ١٩٧٢م)، ج٥، ص٢٥٧٠.

الغاية الأولى: التفقه

التفقه في اللغة هو مأخوذ من فَقَّهَ، والفقه في الأصل يعني العلم الشيء والفهم له، يقال: أوتي فلانٌ فقها في الدين، أي: فَهما فيه، قال الله عز وجل: ﴿**لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ**﴾ [التوبة: ١٢٢]، أي: ليكونوا علماء به[٢٤]. وفي الاصطلاح الفقهي، فالفقه يُعرَّف بأنه "العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية، وقيل: هو الإصابة والوقوف على المعنى الخفي الذي يتعلق به الحكم، وهو علم مستنبط بالرأي والاجتهاد، ويحتاج فيه إلى النظر والتأمل"[٢٥]. وبناءً على ذلك، فإن التفقه يشمل تعلّم وتفهّم الأحكام الشرعية.

ونجد هذه الغاية في قوله تعالى: ﴿**انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ**﴾ [الأنعام: ٦٥].

قال الفخر الرازي في شرح هذه الآية: "أن ظاهر الآية يدل على أنه تعالى ما صرف هذه الآيات إلا لمن فقه وفهم، فأما من أعرض وتمرد فهو تعالى ما صرف هذه الآيات لهم"[٢٦].

وذكر صاحب التفسير المنار: "أي انظر بعين عقلك أيها الرسول ومثله في هذا كل مخاطب بالقرآن -كيف نصرف الآيات والدلائل فنجعلها على أنحاء شتى، منها ما طريقه الحس، ومنها ما طريقه العقل، ومنها ما طريقه علم الغيب- لعلهم يفقهون الحق، ويدركون كنه الأمر، فإن الفقه هو فهم الشيء بدليله وعلته، المفضي إلى الاعتبار والعمل به، وإنما يرجى تحصيله بتصرف الآيات وتنويع البينات"[٢٧].

الغاية الثانية: التبيين

جاءت الإشارة إلى هذه الغاية في قوله تعالى: ﴿**وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**﴾ [الأنعام: ١٠٥].

---

[٢٤] ابن منظور، **لسان العرب**، ج١٣، ص٥٢٢.

[٢٥] الجرجاني، **التعريفات**، ص١٦٨.

[٢٦] الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج١٣، ص٢١.

[٢٧] محمد رشيد بن علي رضا، **تفسير المنار**، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، ١٩٩٠م)، ج٧، ص٤١٠.

فالتبيين في اللغة من الفعل بَيَّنَ، تدور معانيه حول: "الإبانة، والفصاحة، والإيضاح، والكشف عن المشكل"[٢٨]. أما في الاصطلاح عرّفه الجرجاني: "هو إظهار المعنى وإيضاح ما كان مستورا قبله، وقيل :هو الإخراج عن حد الإشكال"[٢٩]

قال الطبري في تفسيره: "وأما تأويل قوله: ﴿وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْم يَعْلَمُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: كما صرّفنا الآيات والعبر والحجج في هذه السورة لهؤلاء العادلين بربهم الآلهة والأنداد، كذلك نصرّف لهم الآيات في غيرها، كيلا يقولوا لرسولنا الذي أرسلناه إليهم إنما تعلمت ما تأتينا به تتلوه علينا من أهل الكتاب، فينزجروا عن تكذيبهم إياه وتقوّلهم عليه الإفك والزور، ولنبين تصريفنا الآيات الحقّ لقوم يعلمون الحقّ إذا تبين لهم، فيتبعوه ويقبلوه، وليسوا كمن إذا بين لهم عموا عنه فلم يعقلوه وازدادوا من الفهم به بعداً"[٣٠]. ووضّح الفخر الرازي أن البيان والفهم والعلم هو الذي يظهر كالحكمة في التصريف[٣١].

وفي تفسير الألوسي: ﴿**وَلِنُبَيِّنَهُ**﴾ عطف على ﴿**لِّيَقُولواْ**﴾ "واللام فيه للتعليل المفسر ببيان ما يدل على المصلحة المترتبة على الفعل عند الكثير من أهل السنة. ولا ريب في أن التبيين مصلحة مرتبة على التصريف"[٣٢].

وفسّر رشيد رضا في قوله: ﴿**وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**﴾ "أي ولنبين هذا القرآن المشتمل على ما ذكر من تصريف الآيات الذي يقول فيه بعض المكابرين إنه أثر درس واجتهاد، أو لنبين التصريف المفهوم من "نصرف" لقوم يعلمون بالفعل وبالاستعداد، الذي لا يعارضه تقليد ولا عناد، ما تدل عليه الآيات من الحقائق، وما يترتب على الاهتداء بها من السعادة فعلم من عطف هذا على ما قبله أن الذين يقولون للرسول إنك درست أو دارست حتى جئت بهذه الآيات المنزلة إذ كانت أثر الدرس أو المدارسة هم الجاهلون الذين لم يفهموا تلك الآيات التي

---

[٢٨] أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، (بيروت: دار العلم للملايين، ط٤، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)، ج٥، ص٢٠٨٣.

[٢٩] الجرجاني، المصدر نفسه، ص٤٧.

[٣٠] الطبري، **جامع البيان**، ج٩، ص٤٧٨.

[٣١] الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج١٣، ١٠٦.

[٣٢] شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، تحقيق: علي عبد الباري عطية، (بيرت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ)، ج٤، ص٢٣٥.

صرفها الله على أنواع أو أشتات، أو لم يفهموا سرها وما يجب من إيثارها على منافع الدنيا بأسرها. وأما الذين يعلمون مدلولاتها وحسن عاقبة الاهتداء بها، فهم الذين يتبين لهم بتأملها حقيقة القرآن أو ما في التصريف لها من أنواع البيان، المؤيد بالحجة والبرهان"[٣٣].

الغاية الثالثة: التذكّر

التَّذَكُّر من مادة ذَكَرَ، ضدّ نسي، يقال: ذكرت الشيء بعد النسيان، وذكرته بلساني، وبقلبي، وتذكرته، وأذكرته غيري، وذكرته تذكيرًا[٣٤]. ونجد الذكر في الاصطلاح عند ابن تيمية هو "كل ما تكلم به اللسان، وتصوره القلب، مما يقرب إلى الله من تعلم علم، وتعليمه، وأمر بمعروف ونهي عن منكر فهو من ذكر الله"[٣٥].

ومن غايات التصريف هي التذكّر، كما يتضح من قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هذا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا**﴾ [الإسراء: ٤١].

فسّر سيد قطب في تفسيره لهذه الآية: "التوحيد لا يحتاج إلى أكثر من التذكر والرجوع إلى الفطرة ومنطقها، وإلى الآيات الكونية ودلالتها؛ ولكنهم يزيدون نفورا كلما سمعوا هذا القرآن. نفورا من العقيدة التي جاء بها، ونفورا من القرآن ذاته خيفة أن يغلبهم على عقائدهم الباطلة التي يستمسكون بها. عقائد الشرك والوهم والترهات"[٣٦].

ويرى الرازي: ﴿**وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هذا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا**﴾ يدل على أن الله سبحانه إنما أنزل هذا القرآن، من أكثر محتوياته ذكر الدلائل لأنه تعالى أراد منهم فهمها والإيمان بها، وهذا يدل على أنه تعالى يفعل أفعاله لأغراض حكمية، وكذلك يدل على أن الله أراد الإيمان من الكل سواء مؤمن أو كافر[٣٧].

---

[٣٣] رشيد رضا، **تفسير المنار**، ج٧، ص٥٥٠.

[٣٤] ابن منظور، **لسان العرب**، ج٤، ص٣٠٩.

[٣٥] تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية، **مجموع الفتاوى**، (المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م)، ج١٠، ص٥٦١.

[٣٦] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج٤، ص٢٢٣٠.

[٣٧] الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٢٢، ص١٠٣.

وقال الشوكاني: ليذكروا أي: "ليتعظوا ويتدبروا بعقولهم ويتفكروا فيه حتى يقفوا على بطلان ما يقولونه"[٣٨].

الغاية الرابعة: التقوى

ذكر ابن فارس أن التقوى في اللغة مأخوذة من مادة "وَقَى: الواو والقاف والياء: كلمة واحدة تدل على دفع شيء بغيره، والوقاية: ما يقي الشيء. واتق الله: توقه، أي اجعل بينك وبينه كالوقاية"[٣٩]. أما التقوى في الاصطلاح هو "اسم جامع لفعل الطاعات وترك المنكرات"[٤٠]. وورد البيضاوي "والوقاية :فرط الصيانة. وهو في عرف الشرع اسم لمن يقي نفسه مما يضره في الآخرة"[٤١]. فالتقوى هي حماية النفس من الوقوع فيما يغضب الله، بالتحلي بالأعمال الصالحة واجتناب المنكرات، بهدف نيل رضا الله والنجاة في الدنيا والآخرة.

والتقوى هي من غايات التصريف، كما ورد في قوله تعالى: ﴿**وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا**﴾ [طه: ١١٣].

قال الفخر الرازي: "إن التقوى عبارة عن ألا يفعل القبيح، وذلك استمرار على العدم الأصلي فلم يجز إسناده إلى القرآن، أما حدوث الذكر فأمر حدث بعد أن لم يكن فجازت إضافته إلى القرآن"[٤٢].

وفسّر ابن عاشور أن التقوى هي الخوف. وهي كنايةٌ عن الطاعة لله، أي فَعلْنا ذلك رجاء أن يؤمنوا ويطيعوا. ومعنى الذكر هنا هو التذكر، أي يُحدث لهم القرآن تذكراً ونظراً فيما يحق عليهم أن يختاروه لأنفسهم[٤٣].

الغاية الخامسة: الرجوع عن الكفر إلى التوحيد

---

[٣٨] الشوكاني، **فتح القدير**، ج٣، ص٢٧٢.

[٣٩] ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، ج٦، ص١٣١.

[٤٠] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج١، ص٣٦٠.

[٤١] البيضاوي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ج١، ص٣٦.

[٤٢] الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٢٢، ص١٠٣.

[٤٣] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١٦، ص٣١٤.

وردت الإشارة إلى هذه الغاية من التصريف في قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ الْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾ [الأحقاف: ٢٧].

في تفسير الكبير: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ معناه لكي أهل القرى يرجعوا عن كفرهم، وهذا يدل على أنه تعالى أراد رجوعهم ولم يرد إصرارهم. وأنه فعل ما لو فعله غيره لكان ذلك لأجل الإرادة المذكورة، وإنما هذا يؤول الدلائل الدالة على أنه سبحانه مريد لجميع الكائنات"[٤٤].

وقال ابن عاشور: "والرجوع هنا مجاز عن الإقلاع عمّا هم فيه من الشرك والعناد، والرجاء من الله تعالى يستعمل مجازاً في الطلب، أي توسعة لهم وإمهالاً ليتدبروا ويتّعظوا. وهذا تعريض بمشركي أهل مكة فهم سواء في تكوين ضروب تصريف الآيات زيادة على ما صرف لهم من آيات إعجاز القرآن"[٤٥].

وخلاصة ما سبق، يتضح لنا أن التصريف في الآيات يهدف إلى جعل المتلقي يفقه ويستوعب المعنى المقصود. ذلك أن فقه التوحيد من خلال تصريفه بعدد من الأساليب يجعل الإنسان يؤمن بالله ورسله وكتبه. كما أن التصريف يعد وسيلة لإيضاح وتبيين الآيات، ويترتب عليه تحقيق عدة أهداف وغايات، سواء في ردّ حجج المكذبين أو في هداية الذين يعلمون الحقّ ويتدبرون آيات الله. كما أن الغاية من التصريف هي أن يتذكر الناس ويتبعوا الحق، مع إقامة الحجة على الجميع. ويظهر في الآية أن هدف التصريف في التأثير على النفوس ودفعها نحو التقوى. فهو يعمل على إثارة مشاعر الخوف والهيبة لدى الإنسان، مما يدفعه إلى الابتعاد عن المعاصي، بالإضافة إلى تحفيز التذكر والتفكر في الحقائق الإلهية. كما يوجه التصريف الناس نحو التوبة والإقلاع عن الكفر والشرك، والعودة إلى الله بالطاعة والإيمان. والآية تربط بين التصريف والرجوع من خلال أسلوب الترغيب والترهيب، وإقامة الحجة على الخلق. والغاية النهائية هي أن يبين للناس ليتذكروا ويتفقهوا فيه، ويخشوا عذاب الله، ويقلعوا عن الكفر، ويعودوا إلى الله بالطاعة والإيمان.

المبحث الثالث: أنواع تصريف القول في القرآن

---

[٤٤] الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٢٨، ص٢٦.

[٤٥] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢٦، ص٥٥.

إنَّ في دراسة علم تصريف القول ومعرفة أسراره البلاغية إقامة للدلائل على الإعجاز البياني للقرآن الكريم، فالحكمة من وجود التصريف في القرآن الكريم هي كما يشير إلى ذلك الرماني بأن: التصريف هو من أعلى مراتب في البلاغة، ومنها تمكين العبرة بالموعظة، لما في التكرير من تثبيت للمعاني، ومنها حل الشبهة في المعجزة، لأن القدرة على الإتيان بالمعنى الواحد في معارض مختلفة متساوية في كونها في أعلى مراتب البلاغة يقطع حجة المشركين، ويؤكد أن الله الذي قدر على هذه السور يقدر أن يأتي بما يشاء من مثل القرآن[٤٦].

فالتصريف في القرآن الكريم عند أبي زهرة على نوعين: "أحدهما في المعاني، وثانيهما: في الألفاظ والأساليب، فأمَّا التصريف في المعاني فإن المؤدَّى في جملته يكون واحدًا في عدة مواضع، ولكن لها في كل مرة عبرة، وهذا تصريف في المعاني وإن كانت الألفاظ تختلف أو تتقارب أو تتحد العبارات في بعض الأحيان"[٤٧].

فالتصريف في القرآن نوعان:

الأول: التصريف في الألفاظ: يشمل التقديم والتأخير، والتعريف والتنكير، والحذف والذكر، وإبدال الكلمة، والإفراد والتثنية والجمع.

والثاني: التصريف في المعاني.

المطلب الأول: التصريف في الألفاظ

يُظهر القرآن الكريم إعجازه اللغوي من خلال دقة اختياره للألفاظ، حيث يُستخدم كل لفظ بعناية فائقة في سياق محدد لتحقيق دلالة معينة. فغالبًا ما نلاحظ أن لفظًا معينًا يُستخدم في آية لدلالة خاصة، بينما يُستخدم لفظ آخر في آية أخرى لدلالة مختلفة، رغم أن الموضوع في الآيتين قد يكون واحدًا. هذه الدقة في اختيار الألفاظ تجعل كل كلمة في القرآن الكريم تأخذ مكانها المناسب، مما يضفي على النصوص القرآنية عمقًا بلاغيًا لا يمكن معه استبدال أي لفظ بآخر دون أن يحدث تغيير جوهري في المعنى.

---

[٤٦] الرماني، **النكت في أعجاز القرآن**، ص١٠٢.

[٤٧] أبو زهرة، **المعجزة الكبرى في القرآن الكريم**، ص١١٧

وصف السيوطي أن طريقة القرآن في اختيار ألفاظه التي تتصرف على وجوه، من أعظم أوجه الإعجاز فيقول: "وهذا الوجه من أعظم إعجازه، حيث كانت الكلمة الواحدة تتصرف إلى عشرين وجهاً، وأكثر وأقل، ولا يوجد ذلك في كلام البشر. وقد صنّف في هذا النوع وفي عكسه – وهو ما اختلف لفظه واتحد معناه"[٤٨].

يُعدّ القرآن الكريم ذروةً في البلاغة والفصاحة، ومن أعظم وجوه هذه الفصاحة قدرة اللفظ الواحد على التعبير عن معان متعددة من خلال تصرفه بالحذف والذكر، أو التعريف والتنكير، أو اختلاف صيغة الجمع، أو غيرها من التغييرات التي تطرأ عليه. ويمكن إجمال ذلك فيما يلي:

أولاً: التقديم والتأخير

التقديم والتأخير هو أسلوب بلاغي يُستخدم لتقديم جزء من الجملة أو تأخيره عن موقعه المعتاد لتحقيق معاني معين، وهذا الأسلوب يُظهر براعة المتحدث في الفصاحة وحسن التصرف في الكلام، وترتيب الكلمات بما يقتضيه المعنى[٤٩].

تتميز الجملة العربية بترتيب محدد لكلماتها، يعتمد على وظيفتها اللغوية. فعادة ما يسبق الفعل الفاعل، والفاعل يسبق المفعول به. أما المتممات مثل الظرف والجار والمجرور والحال فتأتي بعد ذلك، كما يتقدم المبتدأ على الخبر في الجملة الاسمية. وأما البحث عن التقديم والتأخير وهو تّالف الرتبة الأصلية، وهذا ما أشار إليه الدكتور صلاح الخالدي بقوله: "هذا هو الأصل في صياغة الجملة في اللغة العربية. وقد تدعو بعض الأسباب والمقتضيات إلى العدول عن هذا الأصل، ونقل بعض الكلمات من مواضعها الأصلية في الجملة إلى مواضع أخرى، بتقديمها أو تأخيرها، وذلك لتحقيق غرض بلاغي مراد، والتركيز على معنى بياني ملحوظ"[٥٠].

يمكننا تقسيم أحوال التقديم والتأخير إلى قسمين:

---

[٤٨] عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، **معترك الأقران في إعجاز القرآن**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٨م/١٩٨٨م)، ج١، ص٣٨٧.

[٤٩] أحمد مطلوب أحمد الناصري الرفاعي، **أساليب بلاغية**، (الكويت: وكالة المطبوعات، ط١، ١٩٨٠م)، ص١٦٨.

[٥٠] صلاح عبد الفتاح الخالدي، **اعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني**، (دمشق: دار القلم، ط٢، ١٤٤٣هـ/٢٠٢١م)، ص٣٤٥.

الأول: تقديم اللفظ على عامله: ومِن هذا الباب تقديم المفعول به على فِعْله، وتقديم الحال على فعله، وتقديم الظرف والجار والمجرور على فِعْلهما، وتقديم الخبر على المبتدأ، ونحو ذلك. تنبني على هذا النوع، من وجه تقديم على نية التأخير، وهو يعني تقديم لفظ في ظاهره وأثبته في حكمه الذي كان عليه، وفي جنسه الذي كان فيه[٥١].

وهذا التقديم غرضه غالبًا يفيد الاختصاص فمثال قولك: (ساعدتُ خالداً) يفيد أنك ساعدتَ خالداً ولا يفيد أنك خصصت خالداً بالمساعدة بل يجوز أنك ساعدت غيره أو لم تساعد أحداً معه. فإذا قلت: خالداً ساعدتُ أفاد ذلك أنك خصصت خالداً بالمساعدة وأنك لم تساعد أحداً آخر.

ومن أمثلة آيات القرآنية قوله تعالى: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾ [الفاتحة: ٥]، فقد قدّم المفعول به ﴿إِيَّاكَ﴾ على فعل العبادة وعلى فعل الاستعانة دون فعل الهداية فلم يقل (إيانا اهد) كما قال في الأوليين؛ وغرضه أن العبادة والاستعانة مختصتان ومجردتان لله تعالى. فلا يعبد أحد غيره ولا يستعان سواه. وهذا نظير قوله تعالى: ﴿**بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ**﴾ [الزمر: ٦٦] وقوله: ﴿**وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ**﴾ [البقرة: ١٧٢] فقدم في الموضعين المفعول به على فعل العبادة وذلك لأن العبادة مختصة بالله عز وجل[٥٢].

ومثل التقديم على فعل الاستعانة قوله تعالى: ﴿**وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ**﴾ [إبراهيم: ١٢]، وقوله: ﴿**عَلَى اللهِ تَوَكَّلْنَا**﴾ [الأعراف: ٨٩]، وقوله: ﴿**عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ**﴾ [هود: ٨٨]، فقدم الجار والمجرور للدلالة على الاختصاص، وذلك لأن التوكل والإنابة جوهر العبودية لله تعالى، فلا يصحّ توجيههما إلا إليه وحده[٥٣].

والثاني: تقديم الألفاظ بعضها على بعض في غير العامل. حيث يقدّم اللفظ في آية، ويؤخر اللفظ نفسه في آية أخرى مشابهة مع حكمه، ومعناه كما يرى الخالدي: "وإذا قدّمَ القرآن لفظاً في موضع قدمه لحكمة، وإذا أخّر اللفظ نفسه في موضع آخرَ أخّره لحكمة أيضاً، والتوازن الدقيق هو الذي يحكم هذا التقديم والتأخير، ويُحقق الإعجاز البياني الرفيع، ويقرر المعنى

---

[٥١] أبو بكر عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز في علم المعاني**، تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر، (القاهرة: مطبعة المدني، ط٣، ١٤١٣هـ/١٩٩٧م)، ص١٠٦.

[٥٢] فاضل صالح السامرائي، **التعبير القرآني**، (عمان: دار عمار، ط٤، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م)، ص٤٩.

[٥٣] المصدر نفسه.

القرآني المراد"[٥٤]. وذلك نحو تقديم الشفاعة على العدل في قوله تعالى: ﴿**وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ**﴾ [البقرة: ٤٨]، وتأخر الشفاعة عن العدل في سورة أخرى: ﴿**وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ**﴾ [البقرة: ١٢٣].

شرح الكرماني في توجيه هاتين الآيتين المتشابهتين، قال: "وإنما قدم الشفاعة قطعا لطمع من زعم أن آباءهم تشفع لهم وأن الأصنام شفعاؤهم عند الله وأخرها في الآية الأخرى لأن التقدير في الآيتين معا لا يقبل منها شفاعة فتنفعها تلك الشفاعة لأن النفع بعد القبول وقدم العدل في الآية الأخرى ليكون لفظ القبول مقدما فيها"[٥٥].

هناك عدد كبير من الأسرار البلاغية لتصريف بالتقديم والتأخير، نختار منها ما يأتي:

١. التقديم لغرض **السبق**، انقسم هذا السبب إلى أربعة أقسام، وهو: السبق بالزمان أو بالإيجاد، وسبق إنزال، وسبق وجوب، وسبق تنزيه. ومنه قوله تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ**﴾ [الأنبياء: ٣٣]، "فقدم الليل لأنه أسبق من النهار وذلك لأنه قبل خلق الأجرام كانت الظلمة، وقدم الشمس على القمر لأنها قبله في الوجود"[٥٦].

٢. التقديم لغرض **التعظيم والاهتمام به**[٥٧]، كقوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ**﴾ [النساء: ٦٩]، فقدم اسم الله جل جلاله على رسوله. وقوله ﴿**وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ**﴾، [النور: ٥٦]، فبدأ بالصلاة لأنها أهم. ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾ [الفاتحة: ٥]، فقدم العبادة للاهتمام بها.

---

[٥٤] الخالدي، **اعجاز القرآن البياني**، ص٣٤٦.

[٥٥] أبو القاسم الكرماني، **أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن**، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م)، ص٧٢

[٥٦] السامرائي، **التعبير القرآني**، ص٥٤.

[٥٧] محمد بن عبد الله بدر الدين الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ط١، ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م)، ج٣، ص٢٣٥.

٣. التقديم لغرض **الفضل والشرف**[٥٨]، ومنه تقديم الله سبحانه في الذكر كقوله تعالى: ﴿**وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا**﴾ [النساء: ٦٩].

٤. التقديم **بالذات**[٥٩]، مثل ترتيب الأعداد من الأصغر إلى الأكبر بحسب عدد معين كقوله تعالى: ﴿**مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ**﴾ [النساء: ٣]، ونحوه ﴿**مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ**﴾ [المجادلة: ٧].

٥. التقديم من أجل **العلة والسببية**[٦٠]، كتقدم المضيء على الضوء، وليس تقدماً بالزمان؛ لأن جرم الشمس لا ينفك عن الضوء، ومن ذلك تقديم العليم على الحكيم، لأن الإتقان ناشئ عن العلم، ومن ذلك قوله سبحانه: ﴿**قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ**﴾ [البقرة :٣٢]. ومنه قوله تعالى: إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ [الفاتحة :٥]. قدمت العبادة لأنها سبب حصول الإعانة. وقوله: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ**﴾ [البقرة: ٢٢٢] فإن التوبة سبب للطهارة.

٦. التقديم بحسب **الكثرة والقلة**[٦١]، فقد يرتب المذكورات متدرجاً من القلة إلى الكثرة حسبما يقتضيه المقام وذلك نحو قوله تعالى: ﴿**أن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ**﴾ [البقرة: ١٢٥] فكل طائفة أقل من التي بعدها فتدرج من القلة إلى الكثرة، فالطائفون أقل من العاكفين لأن الطواف لا يكون إلا حول الكعبة، والعكوف يكون في المساجد، والعاكفون أقل من الراكعين لأن الركوع أي: الصلاة تكون في كل أرض طاهرة، أما العكوف فلا يكون إلا في المساجد، والراكعون أقل من الساجدين، ذلك لأن لكل ركعة سجدتين ثم إن كل راكع لا بد أن يسجد

---

[٥٨] عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، (بيروت: مؤسسة الرسالة ناشرون، ط١، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م)، ص٤٤٦.

[٥٩] منير محمود علي المسيري، **دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم**، (القاهرة: مكتبة وهبة، ط١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م)، ص١٣٧.

[٦٠] المسيري، **دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم**، ص١٣٧.

[٦١] السامرائي، **التعبير القرآني**، ص٥٧.

وقد يكون سجود ليس له ركوع، كسجود التلاوة، وسجود الشكر فهنا تدرج من القلة إلى الكثرة. وقوله تعالى: ﴿**فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ**﴾ [التغابن: ١٤]، لأن الكفار أكثر من المؤمن.

يعد التقديم والتأخير أحد أساليب التصريف في ترتيب الكلام، حيث يُستخدم لتحقيق أهداف بلاغية في النصوص القرآنية مثل تسليط الضوء على الأهمية أو التدرج في المعاني، أو لإظهار الترتيب المنطقي في سرد الأحداث. فهذه التقنية تُسهم في فهم المخاطب للمعاني العميقة والمترابطة للنصوص وتؤكد على الرسائل التي يريد الله عز وجل إيصالها مما يساعد المخاطب على الاستسلام لأمر الله.

إن التقديم والتأخير قد يفيد للعناية في نظم الكلام، وقد يفيد للمراعاة الفاصلة، وليس مجرد تقديم شيء وتأخيره بدون فائدة، ويُفهم هذا من قول الجرجاني: "واعلم أن من الخطإ أن يقسم الأمر في تقديم الشيء وتأخيره قسمين، فيجعل مفيدًا في بعض الكلام، وغير مفيد في بعض وأن يعلل تارة بالعناية، وأخرى بأنه توسعة على الشاعر، والكاتب، حتى تطرد لهذا قوافيه ولذاك سجعه"[٦٢].

ثانيًا: التعريف والتنكير

أما تعريفهما، فإن المعرفة هي ما يدل على شيء بعينه، لأنها متميزة بأوصاف وعلامات لا يشاركها فيها فرد من نوعها، أما النكرة فهي ما يدل على شيء غير معين[٦٣].

فالتعريف والتنكير من الظواهر البارزة في اللغة العربية، والمميزة لها، وهما مشاركان في بناء الجملة، من الناحية التركيبية والدلالية، فالمعرفة لها دلالة معينة، كذلك النكرة، لها دلالتها الخاصة بها، فليس من الصدفة أن يُعرّف الاسم أو يُنكّر.

نجد أن اللفظ الواحد قد يتصرف في الآية معرفةً ونكرةً، ولكل منهما معنى جليل لا يُمكن للآخر أن يُؤديه، ولا يأتي القرآن بالتعريف والتنكير على طريق عشوائي، بل هو اختيار

---

[٦٢] الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ج١، ص١١٠.

[٦٣] أحمد مطلوب، **أساليب بلاغية**، ص١٤٣.

دقيق مقصود ينسجم مع المعنى والسياق. فلكل معرفة ونكرة دور خاص يُساهم في إيصال المعنى بدقة ووضوح.

ومن أمثلة التعريف والتنكير، قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا**﴾ [البقرة:١٢٦]، وقوله سبحانه: ﴿**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا**﴾ [إبراهيم:٣٥]، فقد ورد لفظ ﴿الْبَلَدَ﴾ في آية البقرة نكرة مفعولاً به، بينما جاء في آية إبراهيم معرفة مشاراً إليه؛ وذلك لأن الدعوة الأولى وقعت قبل أن يكون البلد، فكأنه أشار إلى الوادي، ودعا أن يُجعل بلداً آمناً؛ أما الدعوة الثانية فقد وقعت بعد أن جُعل المكان بلداً، فعُرّف ما هو معروف موجود، ونُكّر ما كان من الأمكنة غير معروف[٦٤]. إذا نستنبط أن كل موضع يعبّر بدقة عن حالته الزمنية والمكانية، مما يعكس التماسك والانسجام في النص القرآني.

وفي سورة الإخلاص قال الله تعالى: ﴿**قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ* ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ* لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ* وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدُ**﴾ [الإخلاص: ١-٤]، فورد كلمة ﴿أَحَدٌ﴾ نكرة، وكلمة ﴿ٱلصَّمَدُ﴾ معرفة، والآيتان تتحدثان عن الله سبحانه وتعالى. شرح السيوطي حكمته إذ قال: "إنه نكر للتعظيم والإشارة إلى أن الله سبحانه وتعالى غير ممكن تعريفها والإحاطة بها. وأنه لا يجوز إدخال أل عليه كغير وكل وبعض وهو فاسد، وأن لفظ ﴿هُوَ﴾ مبتدأ، ولفظ الجلالة ﴿ٱللَّهُ﴾ خبر، وكلاهما معرفة، فاقتضى الحصر، فعرف الجزآن في ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ لإفادة الحصر ليطابق الجملة الأولى، واستغني عن تعريف ﴿أَحَدٌ﴾ فيها لإفادة الحصر دونه، فأتي به على أصله من التنكير على أنه خبر ثان. وإن جعل الاسم الكريم مبتدأ و﴿أَحَدٌ﴾ خبر، ففي ضمير الشأن ما فيه من التفخيم والتعظيم، فأتى بالجملة الثانية على نحو الأولى بتعريف الجزأين للحصر تفخيما وتعظيما"[٦٥].

وذكر مناع القطان أسباب التعريف والتنكير في القرآن، أما التنكير له عدة أسباب نختار منها ما يلي[٦٦]:

الأول: الإبهام، وهو أصل معاني التنكير.

---

[٦٤] محمد بن عبد الله الخطيب الإسكافي، **درة التنزيل وغرة التأويل**، تحقيق: محمد مصطفى آيدين، (مكة: جامعة أم القرى، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م)، ج١ ص٢٨٢-٢٨٤

[٦٥] السيوطي، **معترك الأقران**، ج٣، ص٤٧٦.

[٦٦] مناع القطان، **مباحث في علوم القرآن**، (الرياض: مكتبه المعارف، ط٨، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)، ص١٩٩.

والثاني: إرادة الوحدة، كما في قوله تعالى: ﴿**وَجاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعى**﴾ [القصص: ٢٠] أي رجل واحد.

والثالث: إرادة النوع، مثل قوله تعالى: ﴿**وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ**﴾ [ص:٤٩]، أي نوع من الحياة، وهو طلب الزيادة في المستقبل، لأن الحرص لا يكون على الماضي ولا على الحاضر.

والرابع: التعظيم بمعنى أنه أعظم من أن يعين ويعرف، نحو: ﴿**فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ**﴾ [البقرة: ٢٧٩]، أي حرب عظيمة.

والخامس: التكثير، كقوله تعالى: ﴿**إِنَّ لَنا لَأَجْراً**﴾ [الأعراف: ١١٣]، أي أجرًا وافرًا.

والسادس: التحقير، معنى انحطاط شأنه إلى حد لا يمكن أن يعرف، مثل قوله تعالى: ﴿**مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ**﴾ [عبس: ١٨]، أي من شيء هين حقير مهين.

السابع: التقليل: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ**﴾ [التوبة: ٧٢]، أي رضوان قليل منه أكبر من الجنات لأنه رأس كل سعادة.

وأما التعريف فله مقامات تختلف باختلاف كل نوع من أنواع التعريف، ونجملها فيما يلي[٦٧]:

الأول: التعريف بالإضمار: فيؤتى به للدلالة على المتكلّم أو المخاطب أو الغائب، ولاختصار الكلام بما يُغني عن إعادة الاسم الظاهر، وللربط بين الجمل، وقد يقع الالتفات بين أنواع الضمائر لأغراض بلاغية. وقد يقع ضمير الجمع للمتكلّم الفرد على سبيل التعظيم كما في قول الله تعالى: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ**﴾ [الحجر: ٩].

والثاني: التعريف بالعلمية: لإحضاره بعينه في ذهن السامع ابتداء باسم يخصه، أو لتعظيمه كقوله تعالى: ﴿**مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ**﴾ [الفتح: ٢٩]، أو إهانته كقوله: ﴿**تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ**﴾ [المسد: ١].

والثالث: التعريف بالإشارة، لبيان حاله في القرب كقوله: ﴿**هَٰذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ**﴾ [لقمان: ١١]، أو لبيان حاله في العبد كقوله ﴿**وَأُولَٰئِكَ هُمُ**

---

[٦٧] المصدر نفسه، ص٢٠٠.

الْمُفْلِحُونَ﴾[البقرة: ٥]، أو لقصد تعظيمه بالبعد كقوله: ﴿**ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ**﴾ [البقرة: ٢] أو لقصد تحقيره بالقرب كقوله: ﴿**وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**﴾ [العنكبوت: ٦٤]، أو التنبيه على أن المشار إليه المعقب بأوصاف جدير بما يرد بعده من أجلها كقوله: ﴿**أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [البقرة: ٥].

والرابع: التعريف بالموصول، لكراهة ذكره باسمه سترا عليه، أو غير ذلك كقوله: ﴿**وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا**﴾ [الأحقاف: ١٧]، أو لإرادة العموم كقوله: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ**﴾ [فصلت: ٣٠]، أو للاختصار كقوله: ﴿**لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا**﴾ [الأحزاب: ٦٩].

والخامس: التعريف بالألف واللام، لإشارة إلى معهود ذكري، كقوله: ﴿**اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ۖ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ**﴾ [النور: ٣٥]، أو معهود ذهني كقوله: ﴿**لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ**﴾ [الفتح: ١٨]، أو معهود حضوري كقوله: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ**﴾ [المائدة:٣]، أو لاستغراق الإفراد كقوله: كما في قول الله تعالى: ﴿ **إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ**﴾ [العصر: ٢]، فالتعريف يعمّ كلّ إنسان، وعلامتها أن يصح تقدير "كلّ" موضع "أل".

والسادس: التعريف بالإضافة، لتعظيم المضاف كقوله تعالى: ﴿**إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ**﴾ [الحجر: ٤٢]، أو لإرادة العموم، نحو: ﴿**فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ**﴾ [النور: ٦٣].

يتضح من السابق أن التنويع بين التعريف والتنكير لا يقتصر على الجمال اللفظي فحسب، بل يخدم أهدافًا دلالية ومعنوية ترتبط بسياق الخطاب الزمني والحالي. فالتعريف يمنح المعنى تحديداً ووضوحاً في ذهن المتلقي، حيث يقدّم الشيء على أنه معروف أو ثابت وواقعي. أما التنكير، فيفتح المجال أمام التصورات المختلفة، مما يضفي على المعنى طابعاً شمولياً، أو يشير إلى حالة غير مكتملة أو مرتبطة بالمستقبل. كل كلمة تُستخدم بالتعريف أو التنكير بناءً على

ما يناسب معناها في السياق المحدد. لهذا السبب، تجد أن كلمات القرآن تتناسب بشكل رائع مع معانيها وتأتي مبنية بطريقة متقنة.

ثالثًا: الحذف والذكر

الذكر "هو وجود كلمة على جهة التذكير بالمعنى"[٦٨]، أما الحذف هو "إسقاط جزء الكلام أو كله لدليل"[٦٩].

إن القرآن الكريم وردت ألفاظه متصرفة محكمة تصرفاً يقتضيه المعنى والسياق، فحذف الحرف أو الكلمة في الآية مقصود، وذكره في الآية مراد، كل ذلك لغرض بلاغي تلحظ فيه غاية الفن والجمال.

فالحذف فن عظيم من فنون القول، كما قال الجرجاني: "هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تبن"[٧٠].

وللحذف أسباب تدفع إليه، وتسوغ اللجوء إليه، نختار منها ما يلي[٧١]:

١. الاختصار والاحتراز عن العبث بناء على الظاهر، نحو قولك: الهلال والله، والتقدير: هذا الهلال والله، فحذف المبتدأ استغناء بدلالة الحال؛ إذ لو ذكره لكان عبثاً.
٢. التنبيه على أن الزمان لا يُسعف بالإتيان بالمحذوف، وأن الاشتغال بذكره يفضي إلى تفويت المهم، نحو قوله تعالى: ﴿**فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا**﴾ [الشمس: ١٣]، فحذف الفعل على التحذير، والتقدير: احذروا ناقة الله فلا تقربوها.

---

[٦٨] عقيد خالد حمودي محيي العزاوي، **الأساليب البلاغية في تفسير نظم الدُّرر في تناسب الآيات والسّور**، (رسالة دكتوراه في اللغة العربية وآدابها، جامعة بغداد، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م)، ص١٤٧.

[٦٩] الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، ج٣، ١٠٢.

[٧٠] الجرجاني، **دلائل الاعجاز**، ج١، ص١٤٦.

[٧١] الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، ج٣، ص١٠٥.

٣. التفخيم والإعظام، من ذلك قوله تعالى في وصف حال أهل الجنة: ﴿**حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا**﴾ [الزمر: ٧٣]، فحذف جواب الشرط؛ إذ كان وصف ما يجدونه ويلقونه عند ذلك لا يتناهى، فجعل الحذف دليلاً على ضيق الكلام عن وصف ما يشاهدونه.

٤. التخفيف؛ لكثرة جريانه في كلام العرب، كما حذف حرف النداء في قوله سبحانه: ﴿**يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا**﴾ [يوسف: ٢٩]، وتقدير الكلام: يا يوسف.

٥. رعاية خواتم الآيات (الفاصلة)، نحو قوله تعالى: ﴿**مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ**﴾ [الضحى:٣]؛ إذ الآيات السابقة واللاحقة لها منتهية بالألف المقصورة.

من أسرار تصرف اللفظ بالحذف والذكر:

أ. وقال تعالى على لسان ذي القرنين: ﴿**آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا * فَمَا أَسْطَعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبا**﴾ [الكهف: ٩٦-٩٧]. قال: ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ﴾ أي: يصعدوا عليه. فحذف التاء فقال: ﴿أَسْطَعُوا﴾ ثم قال: ﴿وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبا﴾ بإبقاء التاء، والأصل (استطاعوا). وذلك أنه لما كان صعود السد أيسر من نقبه وأخف عملاً، خفف الفعل للعمل الخفيف فحذف التاء، فقال ﴿فَمَا اسْطَعُوا أَن يَظْهَرُوهُ﴾، وطول الفعل، فجاء بأطول بناء له للعمل الثقيل الطويل، فقال: ﴿وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبا﴾ فحذف التاء في الصعود وجاء التاء في النقب[٧٢].

ب. قال تعالى: ﴿**فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا**﴾ [النساء: ٤] وقوله في خطاب أهل الجنة: ﴿**كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا**﴾ [الطور: ١٩] ذكرت في الآية الأولى كلمة مريئاً وحذفت في الآية الثانية. ذلك أن كثيراً مما يبدو للإنسان لذيذًا وهنيئًا لا تكون عاقبته حسنة، بل تكون عاقبته وخيمة، ولذا ذكرت كلمة مريئاً، كأنه يقول لهم: كلوا ما لذ لكم وطاب، وما حسنت عاقبته، وهذا الآية

---

[٧٢] أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي، **ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل**، تحقيق: عبد الغني محمد علي الفاسي، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط، د.ن)، ج٢، ص٣٢٣.

تخاطب المؤمنين في هذه الدنيا، ولما كان الخطاب في الآية الثانية في الآخرة، فلا يمكن أن يستلذ الإنسان شيئاً وتسوء عاقبته، ولذا لم تذكر كلمة مريئاً [٧٣].

ج. قال تعالى: ﴿**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ* وَاخِذِينَ مَا وَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ* كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ الَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ* وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ* وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ**﴾ [الذاريات: ١٥-١٩]. وقال تعالى: ﴿**إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا* إِذَا مَتَهُ الشَّرُّ جَزُوعًا* وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا* إِلَّا الْمُصَلِّينَ* الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ* السَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ**﴾ [المعارج: ١٩ - ٢٥].

ذكرت في سورة المعارج كلمة ﴿مَعْلُومٌ﴾، وعدم ذكرها في سورة الذاريات، وسبب ذلك أن في سورة الذاريات، هو وصفٌ لأصحاب لا يبالون بمصير أموالهم المنفقة، فهم لا يترددون ويخافون من نقص المال، وكلما زكت نفس الإنسان ازدادت سخاءً وكرمًا، وتخلصت من صفة الشح والبخل. ومثال ذلك أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فحين سأله النبي ﷺ عن ماله عند الهجرة، ما أبقيتَ لأهلك يا أبا بكر؟ فيقول: أبقيت لهم الله ورسوله[٧٤]. وهذه كلمة الشهيرة تدل على عمق إيمانه وتوكله التام على الله تعالى[٧٥].

د. ومن أمثلة ذكر بعض الكلمات في آية وحذفه من أخرى، قوله تعالى: ﴿**وَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَرُ**﴾ [التغابن: ٩] وقوله: ﴿**وَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَرُ**﴾ [الطلاق: ١١] فقد ذكر في سورة التغابن قوله: ﴿يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ﴾ دون ذكرها في سورة الطلاق، وذلك أن آية التغابن خطاب موجه للكافرين، يدعوهم فيه إلى الإيمان، أما آية الطلاق فهي خطاب للمؤمنين وقد

---

[٧٣] فهد خليل زايد، **الاعجاز العلمي والبلاغي في القرآن الكريم**، (عمان: دار النفائس، ط١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٨م)، ص١٣٧.

[٧٤] محمد بن عيسى الترمذي، **سنن الترمذي**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، (القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط٢، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م)، كتاب المناقب، ج٤، ص٦١٤، رقم: ٣٦٧٥. هذا حديث حسن صحيح.

[٧٥] فضل حسن أحمد عباس، **إعجاز القرآن**، (عمان: جامعة القدس المفتوحات، ط٢، ١٩٩٧م)، ص٢١٢-٢١٣.

دعوتهم إلى التقوى. فكان ذكر تكفير السيئات مع الكافرين الذين يعيشون في حالة عصيان مستمر، بينما لا تنقطع خطاياهم، بدلًا من ذكره مع المؤمنين[٧٦].

إن معرفة أسلوب التصريف في الحذف والذكر تساعد على فهم دقة التعبير القرآني وبلاغته. فالحذف يُستخدم لتحقيق الإيجاز والتلميح، مما يعزز الجمال البلاغي ويوفر مجالًا للتفسير والتفكر، بينما يُظهر الذكر المعاني بوضوح ويسهم في تأكيد الفكرة أو توضيحها. من خلال دراسة هذين الأسلوبين، يمكن للمتدبر أن يتعمق في فهم الرسائل القرآنية ويدرك كيف أن كل كلمة أو حرف يحمل غاية بلاغية ودلالية تتناسب مع السياق وتساعد في تسهيل الفهم الروحي والعقلي.

رابعًا: إبدال اللفظ

الإبدال هو إقامة حرف مكان حرف مع الإبقاء على سائر أحرف الكلمة[٧٧]. أما الإبدال في الدراسات القرآنية هو نوع من المتشابه اللفظي، ويختص بالآيات القرآنية المتشابهة التي تتشابه في معظم مكوناتها، مع اختلاف في حرف أو كلمة.

وقد تصرف اللفظ القرآني بالإبدال، بحيث قد يختار لفظًا معينًا في بعض الآيات ليعبر عن معنى محدد، بينما يختار لفظًا آخر في آية أخرى لنفس الغرض. قد يظنّ بعض القارئين أنّ هذين اللفظين مترادفين وأنّ معناهما واحد. وذلك نحو ﴿مَكَّةَ﴾ و﴿بَكَّةَ﴾، و﴿يَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ﴾ وفي موضع آخر ﴿وَيَقْتُلُونَ الْأَنبِيَاءَ﴾، و﴿يَفْعَلُ﴾ و﴿يَخْلُقُ﴾، والتذكر والتفكر، فهل لهذا الإبدال غرض؟ فإن كل تصريف في التعبير القرآني مهما كان فله سببه، ولا يكون تصريفً من دون سبب، وسنذكر أمثلة توضح هذا الأمر.

ويشمل إبدال الحروف والأسماء والأفعال والجمل، فمن ذلك:

١. إبدال الحرف بالحرف

إبدال حرف العطف الواو إلى الفاء، وذلك في قوله تعالى: ﴿**وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا**﴾ [البقرة: ٣٥] وفي قوله تعالى:

---

[٧٦] فهد خليل زايد، **الاعجاز العلمي والبلاغي**، ص ١٥١.

[٧٧] السيوطي، **الإتقان**، ص٥٩٥.

﴿**وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا**﴾ [الأعراف: ١٩]. وقد عطف ﴿كُلاَ﴾ على قوله ﴿اسْكُنْ﴾ في سورة البقرة بالواو وبدلّه في سورة الأعراف بالفاء. وقيل أن السكنى في البقرة للإقامة، وفي الأعراف لاتخاذ المسكن. فأتى بالواو في البقرة الدالة على الجمع السكنى والأكل؛ حيث لا يراد ترتيب زماني فيهما. أما في الأعراف وردت بالفاء الدالة على ترتيب السكنى المأمور على الأكل، وإنما ذكرته من قصد تجريد التفصيل المحصل لتعداد النعم، كما قدّمها من قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ**﴾ [الأعراف: ١٠][٧٨].

٢. إبدال الكلمة بالكلمة: ومنه:

كإبدال الفعل ﴿يَفْعَلُ﴾ في قوله تعالى في قصة زكريا: ﴿**قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ**﴾ [آل عمران: ٤٠]، وتصرف بفعل ﴿يَخْلُقُ﴾ في قوله تعالى في قصة مريم: ﴿**قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ**﴾ [آل عمران: ٤٧]. ومن سر في تصريفه أن عبر في سورة البقرة بالكلمة الفعل لأن الفعل غالباً ما يتبع قانون الأسباب المعروفة، وعبر بالكلمة الخلق في سورة آل عمران ليشير إلى الإبداع والإيجاد من العدم. فاستخدم لفظ "فعل" لوصف إيجاد يحيى من زوجين جرى وفقًا لسنة الكون الطبيعية كسائر الناس. بينما استخدم "خلق" لوصف إيجاد عيسى عليه السلام، وذلك لأن إيجاده معجزة خارقة للعادة، حيث ولد من أم دون أب[٧٩].

وكإبدال الاسم ﴿خَيْرًا﴾ في قوله تعالى: ﴿**إِن تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَن سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوا قَدِيرًا**﴾ [النساء: ١٤٩]، وتصرف بإبدال كلمة ﴿شَيْئًا﴾ في قوله تعالى: ﴿**إِن تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا**﴾ [الأحزاب: ٥٤]. وتصرّفه لأن آية النساء وردت بعد قوله تعالى: ﴿**لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ**﴾ [النساء: ١٤٩]، فذكر أن الله لا يحب الجهر بالسوء، ولذا قال

---

[٧٨] الغرناطي، **ملاك التأويل**، ج١، ص٢٨-٢٩.

[٧٩] فضل حسن أحمد عباس، **لمسات ولطائف من الإعجاز البياني للقرآن الكريم**، عمان: دار النفائس، ط١، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م)، ص١١٨

بعدها: ﴿إِن تُبْدُوا خَيْرًا﴾ أي: "إن تظهروا خيراً، وهو عكس الجهر بالسوء فالله سبحانه لا يحب السوء ولا الجهر به بخلاف الجهر بالخير. وأما آية الأحزاب فالسياق يتعلق بعلم الله بالأشياء الخافية والظاهرة فقد قال فيها: ﴿**وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ**﴾ [الأحزاب: ٥١]. وختم بقوله: ﴿**فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا**﴾ [الأحزاب: ٥٤] ومعنى الآية إنه يستوي عنده السر والجهر، فناسب أن يقول: ﴿إِن تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ﴾ لا أن يقول: ﴿إِن تُبْدُوا خَيْرًا﴾ هذا علاوة على مناسبة كلمة (شيء) الواقعة قبلها وبعدها فوضع كل لفظة في مكانها المناسب لها"[٨٠].

٣. إبدال الجملة بالجملة: ومنه:

مثل في سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾ [البقرة: ٢٣٤] وبعدها قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ۚ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ [البقرة: ٢٤٠]. ختم الآية الأولى بجملة ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾، والآية الثانية بجملة ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، وسر تصريف هذين تعقيبين قال صاحب الملاك التأويل: "إن تعقيب الأولى مناسب لما قبله من تأمينهن على أنفسهن فيما يلزمهن في مدة العدة المذكورة من إحداد وما يتعلق به وفيما يفعلن بعده فإن أضمرن أو كتمن شيئا لا يجوز فعلم الله سبحانه محيط بذلك وهو الخبير به ولما وقع في الآية بعد قوله ﴿فَإِنْ خَرَجْنَ﴾ وقام فيه احتمال أن يخرجن غير طائعات فيستعجلن أو يتعدين ناسبه ذكر قدرته سبحانه عليهن بالمعاقبة بما شاء أو العفو عن مرتكبهن فهو العزيز الذى لا مغالب له والذى لا يفوته هارب ولا يغيب عنه شيء"[٨١].

---

[٨٠] السامرائي، **التعبير القرآني**، ص١٧٤.

[٨١] الغرناطي، **ملاك التأويل**، ج١، ص٧٠.

الإبدال بين الكلمات المتشابهة في المعنى قد يحمل دلالات إضافية تُثري المعنى وتفتح أفقًا أوسع للتفسير. من خلال فهم التصرفات اللفظية، يمكن للمتدبر أن يلتقط الفروق الدقيقة التي قد تؤثر في المعنى وتوضح الرسائل القرآنية بطرق متنوعة. هذه القدرة على استخدام الألفاظ المتنوعة بكل دقة وبلاغة تؤكد أن القرآن ليس من كلام البشر، بل هو كلام الله الذي لا يقدر أحد على الإتيان بمثله، وذلك لما فيه من انسجام بين اللفظ والمعنى وإعجاز في التأثير.

خامسًا: الإفراد التثنية والجمع

يتميّز القرآن الكريم ببراعةٍ لغويةٍ فائقةٍ، تتجلّى في تنوّع الألفاظ المستخدمة، وتصريفها وفقاً لسياقها ومقاصدها. فنجد استعمال القرآن بعض ألفاظه تارةً بالإفراد، وتارةً بالتثنية، وفي موضع آخر بالجمع، ولو حاولنا التغيير والتبديل، أو إحلال أحدهما محل الآخر، فسد التعبير، وذهبت حلاوته، وفاتتة طلاوته. فجاء بعض الألفاظ القرآن بالإفراد يؤدي إلى معنى خاص، وجمعه لإشارة معينة، أو يؤثر جمعه على إفراده أو العكس.

من عجيب أمر هذا القرآن أننا نجد فيه كلمات لم تستعمل إلا مفردة، وأخرى ذكرت في صيغة الجمع، وإن كان أكثر كلماته ونعني بها الأسماء ذكرت بالصيغتين معاً. فمن ذلك أننا نرى "اللب" فإنها لم يقع إلا مجموعًا كقوله تعالى: ﴿**إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ**﴾ [الزمر: ٢١]، ولم يجئ في القرآن مفرده، بل جاء مكانه "القلب" كقوله سبحانه: ﴿**إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ**﴾ [ق: ٣٧]، وكلمة "الكوب" لم تأت مفردة كذلك، وقد أتى الجمع: ﴿**وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ**﴾ [الغاشية: ١٤]. وعكس هذا النوع ألفاظ لم تأت إلا بصيغة المفرد في كل موضع من مواضع القرآن، كقوله تعالى: ﴿**اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ**﴾ [الطلاق: ١٢]، ولم يقل سبحانه: "وسبع أرضين" بل قال "أرض" مفردة، لما في ذلك من الخشونة واختلال النظم[٨٢].

ومن ذلك السر في ذكر السماء والأرض بين الإفراد والجمع، حيث وقع في القرآن ذكر الأرض فإنها مفردة ولم تجمع بخلاف السماوات، ولهذا لما أريد ذكر جميع الأرضين قال: ﴿**وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ**﴾ [الطلاق: ١٢]. وأما السماء: فذكرت تارة بصيغة الجمع وتارة بصيغة الإفراد،

[٨٢] القطان، **مباحث في علوم القرآن**، ص٢٠٢.

أما أريدَ بيان سعة العظمة والكثرة جاء بصيغة الجمع نحو: ﴿**سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ**﴾ [الصف: ١] أي: جميع سكانها على كثرتهم. وحيث أريد الجهة جاء مفردًا كقوله تعالى: ﴿**أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ**﴾ [الملك: ١٦] أي من فوقهم[٨٣].

ومن ذلك إفراد كلمة "النور" وجمع كلمة "الظلمات"، وإفراد "سبيل الحق" وجمع "سبل الباطل" لأن طريق الحق واحدة واضحة، وطرق الباطل مختلفة متعددة. ولهذا من حكمة إفراد "ولي المؤمنين" وجمع "أولياء الكافرين" لتعددهم كما في قوله تعالى: ﴿**اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ**﴾ [البقرة: ٢٥٧]، وقوله: ﴿**وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ**﴾ [الأنعام: ١٥٣][٨٤].

ومن ذلك لفظة "الريح" ذكرت تارة مجموعة وتارة مفردة، فتذكر مجموعة في سياق الرحمة وتفرد في سياق العذاب، وذكر في حكمة ذلك لأن الريح تكون من جانب واحد فتدفع، وإذا اشتدت أهلكت، وأما الرياح فتكون من عدة جوانب ومختلفة الصفات، والمنافع، فتكون لينة وتحدث توازنًا، وتنفع الحيوان والنبات من نشأة ريح لطيفة. فكانت في الرحمة رياحا، وأما في العذاب فإنها تأتي من وجه واحد، لا يشعر الناس فيها بتحول ولا تغير، ولا يحسون بهدوء يلم بها، وقد أخرج ابن أبي حاتم وغيره عن أبي بن كعب قال: كل شيء في القرآن من الرياح فهو رحمة، وكل شيء من الريح فهو عذاب. ولهذا ورد في الحديث: "اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا"[٨٥].

ومن ذلك "المشرق والمغرب" بالإفراد والتثنية والجمع. فالإفراد باعتبار الجهة، والإشارة إلى ناحيتي الشرق والغرب كقوله: ﴿**رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ**﴾ [المزمل: ٩]، والتثنية باعتبار مشرق الصيف والشتاء مغربهما، كقوله: ﴿**رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ**﴾ [الرحمن: ١٧].

---

[٨٣] السيوطي، **الإتقان**، ص٤١٠.

[٨٤] المصدر نفسه.

[٨٥] المصدر نفسه.

والجمع باعتبار مشارق الشمس ومغاربها في أيام السنة كلها، وهي متعددة، كقوله: ﴿**فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ**﴾ [المعارج: ٤٠][٨٦].

قال تعالى: ﴿**وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة: ٨٠] وفي سورة آل عمران قال تعالى: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ**﴾ [آل عمران: ٢٤]. فالآيتان متشابهتان في دلالاتهما اللفظية والمعنوية، بيد أن هناك فرقاً في تصريف لفظ ﴿مَعْدُودَةً﴾ إذ أفرد في السورة الأولى، فقال: ﴿مَعْدُودَةً﴾ وجمع في الثانية فقال: ﴿مَعْدُودَات﴾ والسر في تصريف اللفظ في الآيتين قد نبه إليه الغرناطي بقوله: "إن المجموع بالألف والتاء منحصر في أربعة أضرب، ثلاثة متفق عليها، والرابع مختلف فيه"[٨٧]، وأرجع سر ذلك إلى ما وقع في آية البقرة من الإيجاز، وما في الأخرى من الإطناب، فناسب الإفراد الإيجاز، وناسب الجمع الإسهاب.

إن الإفراد والتثنية والجمع في القرآن لا تتصرّف بشكلٍ عشوائيٍ، بل إن لكل منها دلالات بلاغية محددة يُراعيها القرآن الكريم في سياقاته المختلفة. هذه الأساليب تفتح المجال للتفكير في كيفية توافق القرآن مع العقل والواقع، حيث تتناغم الألفاظ مع السياق لتعبر عن معانٍ ثابتة أو متغيرة حسب الموقف. لذلك، دراسة هذا التصريف تساهم في تعميق الفهم القرآني بما يتوافق مع العقل والعلم، ويؤكد أن القرآن لا يخالف الحقيقة أو المنطق بل يتناغم معهما بشكل كامل.

إن التصريف في القرآن الكريم، مثل التقديم والتأخير، التعريف والتنكير، الحذف والذكر، الإبدال، والإفراد والتثنية والجمع، تحمل دلالات بلاغية دقيقة تهدف إلى تعزيز الفهم العميق للمعاني القرآنية. فالتقديم والتأخير يُستخدمان لتحقيق الترتيب المنطقي والتدرج في المعاني، مما يساعد في تسليط الضوء على الأهمية ووضوح الرسائل الإلهية. أما التعريف والتنكير يعزز الجمال البلاغي ويضفي أبعادًا دلالية متنوعة، حيث يُحدد التعريف المعنى بوضوح، بينما يفتح التنكير المجال لتصورات متعددة. الحذف يُسهم في إيجاز المعنى وإضفاء الجمال البلاغي، في حين يوضح

---

[٨٦] عبد الفتاح لاشين، **من أسرار التعبير القرآن صفاء الكلمة**، (الرياض: دار المريخ للنشر، ط٣، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)، ص ١٢٦.

[٨٧] الغرناطي، ملاك التأويل، ج١، ص٤٦.

الذكر الفكرة ويؤكدها. الإبدال بين الألفاظ المتشابهة يفتح آفاقًا جديدة للتفسير ويُظهر دقة التعبير القرآني، ما يعكس إعجاز القرآن وبلاغته. كما أن الإفراد والتثنية والجمع تعكس تناغم القرآن مع الواقع والعقل، حيث يُستخدم كل منها لتحقيق معاني تتناسب مع السياق. هذه الأساليب تؤكد أن القرآن لا يخالف الحقيقة أو المنطق بل يتناغم معهما بشكل كامل، مما يعكس إعجازه البلاغي ويعزز فهم المتلقي للرسائل الإلهية بدقة ووضوح.

نكتفي بهذا القدر من بيان التصريف في الألفاظ القرآنية، وقد اتضح لنا أن إن الألفاظ في القرآن وردت متصرفةً في بناء محكم بالتقديم والتأخير، والتعريف التنكير، والحذف والذكر، والإفراد والتثنية والجمع، والإبدال. إنه لا يحذف أو يذكر إلا لحكمة تتفق السياق، ولا يتقدم أو يتأخر أو يبدل أو غيره إلا بُنيت الألفاظ في الآية لسياقها ومقاصدها؛ حيث تتصرف تصرفًا بديعًا لخدمة المعاني المراد إيصالها. فكل حرف وكلمة ولفظ في الآية مكانها المناسب، وهذا التصرف هو من وجه من وجوه الإعجاز القرآني، وسر من أسرار بلاغته.

المطلب الثاني: التصريف في المعاني

إن هذا الموضوع دراسة عن ألفاظ تكرر ورودها في القرآن، مع ذكر معانيها المختلفة التي جاءت بها في الآيات؛ يعني إيراد الوجوه التي يصرف إليها اللفظ الواحد في القرآن الكريم، وقد ألّف الشيخ يحيى بن سلام كتابًا حول هذا العلم ويسمى كتابه: "التصاريف: تفسير القرآن مما اشتبهت أسماؤه وتصرفت معانيه"[٨٨].

ورغم تعدد مؤلفات العلماء في هذا المجال، إلا أنهم لم يُقدموا تعريفًا دقيقًا لهذا المصطلح مثل ابن سلام، عرف في الكتب التي تحدثت عن تلك العلوم بعلم الوجوه والنظائر. ومن الجدير أن نبيين معاني الوجوه والنظائر لفهم دقيق حول هذه الدراسة.

إن ما ذكره الزركشي في التعريف الأول للوجوه والنظائر، يلتحق بالتعريف اللغوي للكلمتين، إذ تبين في الوجوه معنى التعدد، وفي النظائر معنى التشابه والاتفاق. ولعل ترجمة عبارة الزركشي في الوجوه، تصبح أقرب للأذهان لو قلنا: "الوجوه هي المعاني المختلفة التي تكون للفظ

---

[٨٨] يحيى بن سلام، **التصاريف تفسير القرآن اشتبهت أسماؤه وتصرفت معانيه**، (عمان: مؤسسة آل البيت، د.ط، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م).

الواحد في سياقات متعددة فيسمى اللفظ من أجل ذلك مشتركا، يعني تتشارك فيه معان متعددة"[٨٩].

يقول حاجي خليفة في حديثه عن علم الوجوه والنظائر: "ومعناه أن تكون الكلمة واحدة، ذكرت في مواضع من القرآن على لفظ واحد، وحركة وحرك واحدة وأريد بها في كل مكان معنى غير الآخر، هو النظائر، وتفسير كل كلمة بمعنى غير معنى الأخرى، هو الوجوه. فإذا النظائر اسم الألفاظ، والوجوه اسم المعاني"[٩٠].

فمصطلح الوجوه والنظائر يعني أن تكون الكلمة الواحدة قد ذُكرت في مواضع متفرّقة من القرآن على لفظٍ واحدٍ وحركةٍ واحدة، ولكن يُراد بها في كل مكانٍ ذُكرت فيه معنًى يخالف معناها في المكان الآخر. فذكر الكلمة في موضع وذكر نظيرها في موضع آخر هو ما يسمّى بالنظائر، أمّا تفسير الكلمة بمعانيها المختلفة فهو ما يُسمّى بالوجوه.

ومن الأمثلة التي تصرفات معانيه باتحاد كلمته، نختار كلمة الهدى كما يلي:

الدلالات التصريفية لكلمة الهدى

قال الراغب الأصفهاني: "دلالة بلطف، ومنه الهدية. وخُص ما كان دلالة بـ (هديت)، وما كان إعطاء بـ (أهديت)، نحو: أهديت الهدية، وهديت إلى البيت"[٩١].

تصرّف هذه الكلمة على سبعة عشرة وجها[٩٢]، فمن معانيها:

الأول: البيان، وذلك قوله في البقرة: ﴿**أُولَئِكَ عَلَى هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ**﴾ [البقرة: ٥]، أي: على بيان من ربهم.

الثاني: الدين، وذلك قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ**﴾ [البقرة: ١٢٠]، أي: دين الله، يعني دين الإسلام، هو الدين وهو الحق.

---

[٨٩] الزركشي، **البرهان**، ج١، ص١٠٢.

[٩٠] مصطفى بن عبد الله المعروف بالحاجي خليفة، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، تحقيق: محمد شرف الدين، (إسطنبول: وكالة المعارف، د.ط، ١٤٢٩م/٢٠٠٨م)، ج٢، ص٢٠٠١.

[٩١] الأصفهاني، **المفردات**، ص٣٣٥.

[٩٢] ابن سلام، **التصاريف**، ص١٦١، وأبو هلال الحسن العسكري، **الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري**، تحقيق: محمد عثمان، (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ط١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م)، ص٢٤٧، ومقاتل بن سليمان، **الوجوه والنظائر في القرآن العظيم**، تحقيق: حاتم صالح الضامن، (الرياض: مكتبة الرشد، ط٢، ١٤٣٣هـ/٢٠١١م)، ص٣٨.

الثالث: الإيمان، وذلك قوله تعالى: ﴿**وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدىً**﴾ [مريم: ٧٦]، أي: يزيدهم إيمانا.

الرابع: الدعاء، وذلك قوله تعالى: ﴿**وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ**﴾ [الرعد: ٧]، أي: داعيًا يعني نبيًا. وقوله تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا**﴾ [الأنبياء: ٧٣]، أي: يدعون.

الخامس: القرآن، وذلك قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى**﴾ [النجم: ٢٣]، أي: القرآن، فيه بيان كل شيء.

السادس: الإرشاد، وذلك قوله تعالى: ﴿**أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ**﴾ [القصص: ٢٢]، أي: أي يرشدني.

إن تعدد دلالات كلمة "هدى" في القرآن يخدم غايات بلاغية مهمة، أهمها إبراز المعاني المتعددة التي تلائم السياقات المختلفة، وتوضيح دور الهداية في الدين والإيمان، وتأكيد وظيفة القرآن كأداة للهداية، بالإضافة إلى تسليط الضوء على أهمية الدعوة والإرشاد في نشر الحق.

ومن الفوائد البلاغية من تعدد هذه الدلالات التصريفية، مثل ما يلي:

١. **الإيجاز والتكثيف المعنوي:**

يتيح هذا التعدد تقديم معانٍ متعددة باستخدام كلمات قليلة، مما يجعل النص القرآني غنياً بالدلالات دون حشو أو تكرار.

٢. **تنوع السياقات:**

كل دلالة من دلالات "الهدى" ترتبط بسياق معين يُبرز جانباً من المعنى. على سبيل المثال:

أ. الهدى بمعنى البيان يعبر عن الإيضاح الذي يقود إلى الحق.

ب. الهدى بمعنى الإرشاد يوضح الهداية العملية والقيادة نحو الطريق المستقيم.

ج. الهدى بمعنى الدين يشير إلى النظام الشامل الذي يرشد حياة الإنسان.

٣. **التدرج في المعنى:**

الكلمة تأخذ معاني تتدرج من اللطف والتوجيه إلى البيان الكامل أو الدعوة إلى الدين والإيمان، مما يتيح تفاعلاً ديناميكياً مع النصوص.

٤. **الربط بين المفهوم العام والخاص:**

يعكس استخدام "الهدى" القدرة على الانتقال بين المعاني العامة مثل الإرشاد والدعوة والمعاني الخاصة مثل القرآن أو الدين، مما يجسد شمولية الكلمة في التعبير عن مختلف أشكال الهداية.

٥. **تعزيز التفكر والتدبر:**

تعدد المعاني يدعو القارئ للتأمل في سياقات ورود الكلمة وكيفية ارتباطها بالمعاني المختلفة، مما يعزز الفهم العميق للنص القرآني.

٦. **التجدد والإثراء الدلالي:**

الكلمة تحمل في طياتها قدرة على التكيف مع المواقف المختلفة التي تستدعي معاني متنوعة، مما يجعل النص القرآني مرناً ودائماً قابلاً للفهم والتطبيق في سياقات متعددة.

وقد اتضح لنا منه، أن الكلمة الواحدة تتصرف في القرآن الكريم إلى معان مختلفة، وهذا التنوع يدل على قدرة القرآن الكريم على استعمالات الدلالية للكلمة الواحدة قي تصريفاتها المختلفة. ولا أحدٌ قادرٌ أن يؤتي مثل القرآن العظيم. وهذا الذي يجعل القرآن معجزًا في ألفاظه ومعانيه، كما أن هذا التنوع من تخصص القرآن دون غيره.

خلاصة الفصل الثاني

يمكن تلخيص ما سبق بما يأتي:

١. أن المعنى اللغوي لكلمة التصريف، يقصد به الرجوع، وردّ الشيء من حالة إلى حالة، والتحويل من وجه إلى وجه، وهي كذلك تعني صرف الشيء من جهة إلى جهة.

٢. وأن التصريف في الاصطلاح هو التنويع، والانتقال من حال إلى حال بأساليب متعددة، وطرق مختلفة، بمعنى أنه يتضمن الأحكام التشريعية، والعقائد، والأخلاق، وغيرها، ويأتي بها بأساليب متنوعة، من وعد ووعيد، وترغيب وترهيب، ونحوها، ويعرض هذه الأساليب بطرق مختلفة.

٣. وردت مادة (صَرَّفَ) في القرآن الكريم ثلاثين مرة، بصيغة فعل الماضي "صرفّنا"، وبصيغة فعل المضارع "نصرّف".

٤. إن من مجمل التعريفات الاصطلاحية عند المفسرين في التصريف هي التبيين والإيضاح، والتكرار والترديد، والتنويع والتفنن.

٥. من غايات وحكم تصريف القول في القرآن الكريم هي والتفقه، والتبيين، والتذكر، والتقوى، والرجوع.

٦. التقديم نوعان، إما إن يكون تقديم الألفاظ بعضها على بعض في غير العامل، أوْ تقديم اللفظ على عامله، والتقديم غالبًا يفيد الاختصاص. ومن الحكمة التَّقديم وأسراره: السبق، والتعظيم والاهتمام به، والتشريف والتفضيل، والعلة والسببية، والكثرة والقلة.

٧. يعد التقديم والتأخير من أساليب التصريف في ترتيب الكلام، ويُستخدم لتحقيق أهداف بلاغية مثل تسليط الضوء على الأهمية أو إظهار الترتيب المنطقي للأحداث، مما يساعد في فهم المعاني العميقة وتأكيد رسائل الله عز وجل.

٨. إن التنويع بين التعريف والتنكير لا يقتصر على الجمال اللفظي فقط، بل يخدم أهدافًا دلالية ومعنوية تتناسب مع سياق الخطاب. فالتعريف يضفي تحديدًا ووضوحًا، بينما التنكير يفتح المجال للتصورات المختلفة ويضفي طابعًا شموليًا أو يشير إلى حالة غير مكتملة.

٩. وتصرف اللفظ بالحذف والذكر في القرآن، فكلّ زيادة في موضع معيّن تُقابلها نقصان في موضع آخر، وكلّ ذكر في موضع معيّن يُقابلها حذف في موضع آخر. من خلال دراسة هذين الأسلوبين، تساعد المتدبر على فهم دقة التعبير القرآني وبلاغته. فالحذف يعزز الإيجاز والتلميح، بينما الذكر يوضح المعاني ويؤكد الفكرة.

١٠. الإبدال بين الكلمات المتشابهة قد يضيف دلالات ثرية تفتح أفقًا واسعًا للتفسير. من خلال فهم التصرفات اللفظية، يمكن للقارئ أن يلاحظ الفروق الدقيقة التي توضح الرسائل القرآنية وتؤكد إعجاز القرآن في انسجام اللفظ والمعنى.

١١. إن الإفراد والتثنية والجمع في القرآن لا تتصرّف بشكلٍ عشوائيٍ، بل إن لكل منها دلالات بلاغية محددة يُراعيها القرآن الكريم في سياقاته المختلفة.

١٢. تتجلى عظمة القرآن الكريم في قدرته على استخدام الكلمة الواحدة بمعانٍ متعددةٍ، فكلمة الهدى لها معاني متنوعة كالبيان، والدين، والإيمان، والدعاء. ومن الفوائد البلاغية لتعدد هذه الدلالات التصريفية الإيجاز والتكثيف المعنوي، والتدرج في المعنى، وتعزيز التفكر والتدبر، والتجدد والإثراء الدلالي.

الفصل الثالث

التفكر ومفهومه، وأهميته، ومجالاته، وأهدافه

إن من أعظم نعم الله للإنسان، والتي تُميّزه عن سائر المخلوقات، هي نعمة التفكر. فالعقل هو جوهرة تتيح للإنسان الإدراك، والتفكير، والإبداع، والتمييز، ممّا يجعله قادرًا على فهم العالم من حوله، والتفاعل معه، وبناء حضارته. من واجبنا كمسلمين أن نتدبر كتاب الله العظيم، ونستلهم منه الفهم الصحيح والشامل لأمور الدنيا والدين، فهو سبيل لمعرفة حكمة منح الله لنا هذه النعمة العقل، ففي القرآن الكريم دعوة صريحة إلى كثرة التفكّر والتأمل العميق في عجائب خلق الله تعالى، استدلالاً على وجوده، ووحدانيته، وكمال صفاته. وفي هذا الفصل ستبين الباحثة موضوع التفكر كما ورد في القرآن الكريم، وتوضّح مفهومه وأهميته، وتبرز مجالاته، وتشرح أهدافه وغايته.

يحتوي هذا الفصل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم التفكر لغة اصطلاحًا والمصطلحات المتقاربة معه

المبحث الثاني: أهمية التفكر

المبحث الثالث: مجالات التفكر

المبحث الرابع: أهداف التفكر

المبحث الأول: مفهوم التفكر لغة اصطلاحا والمصطلحات المتقاربة به

يتطرق هذا المبحث إلى المعنى اللغوي والاصطلاحي للتفكر، وعدد المرات التي ذكر القرآن الكريم هذا اللفظ، ثم يتحدث عن المصطلحات المتقاربة مع التفكر التي وردت في القرآن الكريم. وفيما يلي توضيح ذلك:

المطلب الأول: مفهوم التفكر لغةً واصطلاحًا

التفكر في اللغة: إن كلمة التفكّر مأخوذة من فعل الرباعي (فَكَّرَ)، قال ابن منظور: "الفِكْرُ بالفتح والفكر بالكسر: إعمال الخاطر في الشيء"[١]. ويحدد ابن فارس الجذر الثلاثي لمصطلح التفكر بقوله: "الفاء والكاف والراء تردد القلب في الشيء، يقال :تفكر إذا ردد قلبه معتبرًا، ورجل فكير كثير الفكر"[٢].

عرّف التفكّر في المعجم الوسيط: "فكر: في الأمر مبالغة في فكر، وهو أشيع في الاستعمال من فكر، وفي المشكلة أعمل عقله فيها ليتوصل إلى حلفها فهو مفكر. التفكير: إعمال العقل في مشكلة؛ للتوصل إلى حلها، "الفكر": إعمال العقل في المعلوم؛ للوصول إلى معرفة مجهول"[٣].

وذكر الفيروزآبادى أن: "الفكر، بالكسر والفتح: إعمال النظر في الشيء"[٤].

وورد في المصباح المنير: "الفكر بالكسر: تردد القلب بالنظر، والتدبر لطلب المعاني، ولي في الأمر فكر: أي نظر ورؤية، والفكر بالفتح: مصدر فكرت في الأمر من باب ضرب، وتفكرت فيه وأفكرت بالألف والفكرة اسم من الافتكار: مثل العبرة والرحلة من الاعتبار والارتحال، وجمعها فكر مثل سدرة وسدر، ويقال: الفكر ترتيب أمور في الذهن يتوصل بها إلى مطلوب يكون علمًا أو ظنًا"[٥].

ومن خلال المعاني اللّغويّة السّابقة، يمكن تعريف التفكّر: بأنه عملية عقلية وجدانية، تعمل على استثمار المعارف والدلائل للتوصل إلى حقائق الأمور، بالنظر فيها، والاعتبار بنتائجها.

---

[١] ابن منظور، **لسان العرب**، ج٥، ص٦٥.

[٢] ابن فارس، **مقاييس اللغة**، ج٤، ص٤٤٦.

[٣] مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، (القاهرة: مجمع اللغة العربية، ط٢، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م)، ج٢، ص٥٩٨.

[٤] مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، **القاموس المحيط**، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٨، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م)، ص٤٥٨.

[٥] أحمد بن محمد بن علي الفيومي، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، (بيروت: مكتبة لبنان، د.ط، ١٩٨٧م)، ص١٨٢.

التفكر في الاصطلاح

هناك عدد كبير من التعريفات الاصطلاحية لمفهوم التفكّر نختار منها الآتي:

ما عرّف به الجرجاني التفكّر بأنه: "تصرف القلب في معاني الأشياء؛ لدرك المطلوب"[٦].

ويذكر الراغب الأصفهاني أن "الفكرة" قوة مطرقة للعلم إلى المعلوم، والتفكر : "جولان تلك القوة بحسب نظر العقل؛ وذلك للإنسان دون الحيوان، ولا يقال إلا فيما يمكن أن يحصل له صورة في القلب، ورجل فكير كثير الفكرة، قال بعض الأدباء: الفكر مقلوب عن الفرك، لكن يستعمل الفكر في المعاني، وهو فرك الأمور وبحثها طلبًا للوصول إلى حقيقتها"[٧].

وأشار بعضهم بقوله: التفكير في أبسط تعريف له عبارة عن سلسلة من النشاطات العقلية التي يقوم بها الدماغ عندما يتعرض لمثير يتم استقباله عن طريق واحدة أو أكثر من الحواس الخمس[٨].

يفرق أحمد حسن فرحات بين الفكر والتفكر بقوله: "فالفكر للقوة التي يكون بها التفكير، والتفكّر لحركة القوة بحسب نظر العقل، فكأن الفكر عنده غير العقل"[٩].

وعرف بعضهم: كل نشاط ذهني أو عقلي يختلف عن الإحساس والإدراك الحسي، أو يتجاوز الاثنين إلى الأفكار المجردة، أو هو البحث عن المعنى، سواء كان هذا المعنى موجودًا بالفعل[١٠].

ومن تعريفاته في العصر الحديث تعريف فاديم روزين بأنه: "مجال من النشاط الإنساني وقدرة الفرد الواحد التي تسمح له بالحصول على المعارف عن الواقع على أساس الاستدلال والأفعال التفكيرية والتصورات والمعارف أو المفاهيم"[١١].

---

[٦] الجرجاني، **التعريفات**، ص٦٣.

[٧] الأصفهاني، **المفردات**، ص٥٤٣.

[٨] فتحي عبد الرحمن جروان، **تعليم التفكير**، (الإمارات: دار الكتاب الجامعي، د.ط، ١٩٩٩م)، ص: ٣٣.

[٩] أحمد حسن فرحات، **الفكر الإسلامي: مفهومه ومعالمه**، (عمان: دار عمار، ط١، ٢٠٠٣م)، ص ٨.

[١٠] زياد بركات، **التفكير الإيجابي والتفكير السلبي**، (عمان: دار الشروق، ط١، ٢٠١٨م)، ص ١٠٨.

[١١] فاديم روزين، ترجمة نزار عيون السود، **التفكير والإبداع**، (دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب وزارة الثقافة، ط١، ٢٠١١م)، ص ١٨

وخلاصة القول أن هذه التعريفات اتفقت على ما يأتي:

أ. التفكر عملية ذهنية أو عقلية.

ب. التفكر حالة خاصة بالإنسان دون حيوان.

ج. عملية اكتساب المعرفة والمهارات من خلال العقل والتجربة.

د. يهدف التفكر إلى حل المشكلة، واتخاذ القرارات، والوصول إلى حقائق حديدة مطلوبة.

التفكر في استعمال القرآن

ولقد جاء في القرآن الكريم الحث على التفكير في مواضع عديدة؛ حيث وردت مادة: (فَكَّرَ) في القرآن الكريم بصيغ متعددة، إن مجموع ورودها ثمانية عشر مرة، وهي:

أولًا: صيغة الفعل الماضي "فكّر"

وردت مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿**إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ**﴾ [المدثر: ١٨]

ثانيًا: صيغة الفعل المضارع: "تتفكرون"، "يتفكرون"

١. قال تعالى: ﴿**كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ**﴾ [البقرة: ٢١٩-٢٢٠].

٢. قال تعالى: ﴿**كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ**﴾ [البقرة: ٢٦٦].

٣. ﴿**الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾ [آل عمران: ١٩١].

٤. قال تعالى: ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلا تَتَفَكَّرُونَ**﴾ [الأنعام: ٥٠].

٥. قال تعالى: ﴿**فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [الأعراف: ١٧٦].

٦. قال تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلا نَذِيرٌ مُبِينٌ**﴾ [الأعراف: ١٨٤].

٧. قال تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى**﴾ [الروم: ٨].

٨. قال تعالى: ﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [الروم: ٢١].

٩. قال تعالى: ﴿**كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [يونس: ٢٤].

١٠. قال تعالى: ﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [الرعد: ٣].

١١. قال تعالى: ﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [النحل: ١٠-١١].

١٢. قال تعالى: ﴿**وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [النحل: ٤٤].

١٣. قال تعالى: ﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [النحل: ٦٩].

١٤. قال تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ**﴾ [سبأ: ٤٦].

١٥. قال تعالى: ﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [الزمر: ٤٢].

١٦. قال تعالى: ﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [الجاثية: ١٣].

١٧. قال تعالى: ﴿**وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [الحشر: ٢١].

هذا الكم الهائل من الآيات التي تدعو إلى التفكر له دلالات عظيمة منها:

١. تأكيد مركزية العقل في الخطاب القرآني:

تكرار دعوة التفكير يبرز دور العقل كأداة لفهم الكون والوصول إلى الحقائق الإيمانية. القرآن يخاطب الإنسان ككائن عاقل ومميز بقوة التفكير. مثال: قوله تعالى: ﴿**أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ**﴾ [الأنعام: ٥٠] يعبر عن لوم من لا يستخدم العقل للوصول إلى الإيمان.

٢. احترام القرآن للعقل:

من خلال الآيات السابقة، يظهر احترام القرآن العميق للعقل، باعتباره أداة رئيسية للتفكير والتدبر في الرسالة الإلهية وفهم الحقائق الكونية. إن استخدام العقل في التأمل والتفكر هو السبيل للوصول إلى الهداية والمعرفة التي تقود الإنسان إلى الصراط المستقيم. كما قوله تعالى: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ**

يَتَفَكَّرُونَ* الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١].

٣. رحمة الله في تبيين آياته:

رحمة الله في تبيين آياته تظهر بوضوح في دعوته للإنسان للتفكر والتدبر في مخلوقاته وآياته القرآنية. الله سبحانه وتعالى لم يترك الناس في ظلام الجهل، بل أرسل إليهم رسالات واضحة، مليئة بالدلالات التي تدعو إلى التفكير والتأمل، كي يهتدي الناس إلى الحق. ومثال قوله تعالى: ﴿**كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ**﴾ [البقرة: ٢٦٦].

٤. القصص القرآني مجال عظيم للتفكر:

قال تعالى: ﴿**فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [الأعراف: ١٧٦]. يعرض القرآن العديد من الأحداث التي تحمل دروسًا وعبرًا، تتيح للمؤمنين التأمل في مواقف الأنبياء والأمم السابقة. من خلال هذه القصص، يتعلم الإنسان كيفية التعامل مع التحديات، وكيف أن الإيمان بالله يؤدي إلى النصر، بينما التكذيب والطغيان يؤديان إلى الهلاك.

٥. المقارنة والأمثلة من أسلوب القرآن للتفكر:

استخدم القرآن أسلوب المقارنة وضرب الأمثال كوسيلة لتحفيز التفكير والتأمل. ففي قوله تعالى: ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ**﴾ [الأنعام: ٥٠]، تتم المقارنة بين الأعمى الذي يُمثل الكافر والبصير الذي يُمثل المؤمن الذي هدى الله قلبه. كما يعرض القرآن مثالًا على عظمة كتابه في قوله: ﴿**لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [الحشر: ٢١]، حيث يُظهر القرآن تأثير عظمته على النفوس. هذان الأسلوبان يلعبان دورًا مهمًا في تحفيز التفكر والتأمل.

المطلب الثاني: المصطلحات المتقاربة مع التفكر

وقد وردت في القرآن الكريم مصطلحات مرادفة وقريبة من معنى التفكّر، منها المعاني التالية:

١. التعقل

يدل على إعمال العقل، "هو القوة المتهيئة لقبول العلم، ويقال للعلم الذي يستفيده الإنسان بتلك القوة عقل"[١٢]. وقد كثر ورود مادتها في القرآن الكريم، منها قال الله تعالى: ﴿**وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ**﴾ [العنكبوت: ٤٣]، وقوله تعالى: ﴿**وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ**﴾ [الملك: ١٠].

الفرق بين التعقّل والتفكّر

يُوضح النص الفرق بينهما في أن التعقل هو عملية ربط المعلومات الناتجة من الحواس بشكل منظّم، بينما التفكر هو مرحلة أعمق تتضمن تحليل هذه المعلومات واستخلاص المعاني والدروس منها. وبهذا، يعدّ التعقل خطوة أساسية في عملية التفكر[١٣].

٢. التدبر

هو النظر في عواقب الأمور، كما قال الألوسي: "أصل التدبر التأمل في أدبار الأمور وعواقبها ثم استعمل في كل تأمل سواء كان نظرا في حقيقة الشيء وأجزائه، أو سوابقه وأسبابه، أو لواحقه وأعقابه"[١٤].وورد في القرآن الكريم كثيرًا، منها. قال الله تعالى: ﴿**كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ**﴾ [ص: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ على قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**﴾ [محمد: ٢٤].

الفرق بين التدبّر والتفكّر

---

[١٢] الراغب الأصفهاني، **المفردات**، ص٥٧٧.

[١٣] مركز تفسير الدراسات القرآنية، **موسوعة التفسير الموضوعي للقرآن الكريم**، (الرياض: مركز تفسير الدراسات القرآنية، ط١، ١٤٤٠هـ/٢٠١٩م)، ج٩، ص ٢٨٣.

[١٤] الألوسي، **روح المعاني**، ج٣، ص٨٩.

يظهر الفرق بينهما من خلال أن التدبر تصرف القلب بالنظر في العواقب، والتفكر تصرف القلب بالنظر في الدلائل[١٥].

٣. التذكّر

هو محاولة النفس استرجاع ما زال من المعلومات إلى الذهن، يقول الرازي: "والذكر والذكرى والذكرة ضد النسيان، ويقول صاحب المفردات: تارة يقال ويراد به هيئة للنفس بها يمكن للإنسان أن يحفظ ما يقتنيه من المعرفة، وهو كالحفظ إلا أن الحفظ يقال اعتبارًا بإحرازه، والذكر يقال اعتبارًا باستحضاره، وتارة يقال لحضور الشيء القلب أو القول"[١٦]. قال الله تعالى: ﴿**وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ**﴾ [الأنعام: ٨٠]، وقوله تعالى: ﴿**مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ**﴾ [السجدة: ٤٠].

الفرق بين التذكّر والتفكّر

قال ابن القيم مبينًا الفرق بينهما: "التذكر فوق التفكر، لأن التفكر طلب، والتذكر وجود. يريد أن التفكر التماس الغايات من مباديها، كما قال: التفكر تلمس البصيرة لاستدراك البغية .وأما قوله: التذكر وجود، فلأنه يكون فيما قد حصل بالتفكر، ثم غاب عنه بالنسيان، فإذا تذكره وجده فظفر به"[١٧]. وقاله أيضا بأن "التذكّر يفيد تكرار القلب على ما علمه وعرفه ليرسخ به ويثبت، ولا ينمحي فيذهب أثره من القلب جملة. أما التفكّر يفيد تكثير العلم واستجلاب ما ليس حاصلًا عند القلب. فالتفكّر يحصله والتذكّر يحفظه"[١٨].

٤. التفقّه

---

[١٥] أبو هلال الحسن العسكري، **الفروق اللغوية**، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، (القاهرة: دار العلم والثقافة، د.ط، د.ت)، ص٧٥.

[١٦] الراغب الأصفهاني، **المفردات**، ص٣٢٨.

[١٧] ابن القيم، **مدارج السالكين**، ج١، ص٤٤٠.

[١٨] ابن القيم، **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**، (القاهرة: دار ابن عفان، ط١، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م)، ج١، ص٥٤٥.

هو الفهم والعلم بالشيء وحسن إدراكه، وورد في القرآن الكريم كثيرًا، قال الراغب: "التوصل إلى علم غائب بعلم شاهد، فهو أخص من العلم"[١٩]. قال الله تعالى: ﴿**انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ**﴾ [الأنعام: ٦٥]، وقال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا**﴾ [الأعراف: ١٧٩].

الفرق بين التفقّه والتفكّر

ذهب عماد الدين إلى أن التفقه هو مرحلة عقلية تتجاوز حدود التفكير السطحي، يُمثّل التفكير عملية تحليلية ذهنية، بينما التفقه هو النتيجة النهائية لهذه العملية، حيث يُمكّن الإنسان من فهم أعمق لما يحيط به، وإدراك أوسع لأبعاد وجوده وعلاقته بالكون[٢٠].

٥. الاعتبار

هو النظر في حقائق الأشياء المعلومة ودلالتها على أسبابها ونتائجها والاتعاظ بها. قال الكوفي "أن الاعتبار هو النظر في حقائق الأشياء وجهات دلالتها ليعرف بالنظر فيها شيء آخر من جنسها"[٢١]. وجاء في التحرير والتنوير: "هو النظر في دلالة الأشياء على لوازمها وعواقبها وأسبابها، وهو افتعال من العبرة، وهي الموعظة"[٢٢]. قال الله تعالى: ﴿**وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ**﴾ [آل عمران: ٣]، وقوله تعالى: ﴿**يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ**﴾ [النور: ٤٤].

الفرق بين الاعتبار والتفكّر

---

[١٩] الراغب الأصفهاني، **المفردات**، ص٥٤٢.

[٢٠] عماد الدين خليل، **مدخل إلى موقف القرآن من العلم**، (بيروت: دار المؤسسة الرسالة، ط١، ١٩٨٣م)، ص٩٤.

[٢١] أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، (بيروت: مؤسسة الرسالة، د.ط، د.ت)، ص١٤٧.

[٢٢] ابن عاشور، **التحريري والتنوير**، ج٢٨، ص٧٢.

إذا كان التفكر هو عملية عقلية تتضمن تحليل المعلومات واستخلاص المعاني والدروس، بينما يمثّل الاعتبار ثمرة هذا التفكر، حيث يُشير إلى فهم عميق لما تمّ التوصل إليه من خلال التفكر[٢٣].

٦. التبصّر

هو وظيفة من الوظائف العقلية وليس البصر بمعنى نظر العين بل هو البصيرة العقلية، ومن الآيات التي وردت فيها هذه الكلمة قال الله تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ**﴾ [السجدة: ٢٧]، وقوله تعالى: ﴿**قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ [يوسف: ١٠٨].

٧. النظر

هو تقليب البصر والبصيرة لإدراك الشيء ورؤيته، وقد يراد به التأمل والفحص، وقد يراد به المعرفة الحاصلة بعد الفحص، وهو الرؤية[٢٤]، ومن الآيات التي وردت فيها هذه الكلمة قال الله تعالى: ﴿**قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ**﴾ [يونس: ١٠١].

المبحث الثاني: أهمية التفكّر

لا يخفى على أحدٍ أهمية التفكر، وما لذلك من نتائج تعود بالهداية والبصيرة على المتفكر، فلتفكير أهمية كبيرة في حياة الإنسان وبخاصة المسلم، وفي هذا المبحث نناقش أبرز الجوانب التي تظهر أهمية التفكر، حيث نجملها فيما يلي:

١. تكريم الله تعالى للإنسان على سائر المخلوقات. قال الله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا**﴾ [الإسراء: ٧٠]. يكرم الإنسان لمجموعة من الصفات التي تميزه

---

[٢٣] مركز تفسير للدراسات القرآنية، **موسوعة التفسير الموضوعي**، ج٩، ص٢٨٦.

[٢٤] الراغب الأصفهاني، **المفردات**، ص٣١٢.

عن باقي المخلوقات، فمنها العقل والفكر، وحسن الصورة، وامتداد القامة، وكسب المال ولبس الثياب، والنطق، والعقل، والتمييز، وتسخير الخلق لهم.

٢. التفكّر رفع قيمة الإنسان. وقد بين القرآن أهمية التفكير في حياة الانسان، ورفع قيمة الإنسان الذي يستخدم عقله وتفكيره في معرفة الله عزّ وجل، بينما من يُهمل عقله ولا يُفكّر عنه، وصف الله بأنه أدنى درجة من الحيوان، قال تعالى: ﴿**إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ**﴾ [الأنفال: ٢٢]، يعني إن شر من دب على وجه الأرض من خلق الله عند الله ﴿الصُّمُّ﴾ عن سماع الحق ﴿الْبُكْمُ﴾ عن النطق به فلا يقولونه. ﴿الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ يعني لا يفهمون عن الله أمره ونهيه ولا يقبلونه وإنما سماهم دواب لقلة انتفاعهم بعقولهم[٢٥].

٣. يُكثر القرآن الكريم من الحث على التفكّر والتدبّر في آياته، ونظر عظمة الله تعالى في خلقه، والتأمل في مخلوقاته، واستقراء سننه في الكون. ويُكرّر القرآن الكريم الحث على هذه العبادة الجليلة، ويبيّن فضائلها وثمارها، ويوجّه المؤمنين إلى كيفية القيام بها. كما قال الامام الغزالي: "كثر الحث في كتاب الله تعالى على التدبر والاعتبار والنظر والافتكار، ولا يخفى أن الفكر هو مفتاح الأنوار ومبدأ الاستبصار، وهو شبكة العلوم ومصيدة المعارف والفهوم، وأكثر الناس قد عرفوا فضله ورتبته لكن جهلوا حقيقته وثمرته ومصدره"[٢٦].

٤. التفكّر هو نور الإيمان. إن التفكر يورث العلم والمحبة، والنور، والإيمان، وهي عبادة أهل الصلاح والتقوى، يقول الحسن بن عامر: "سمعت غير واحد ولا اثنين ولا ثلاثة من أصحاب الرسول ﷺ يقولون: إن ضياء الإيمان أو نور الإيمان هو التفكر"[٢٧].

---

[٢٥] علاء الدين علي بن محمد الخازن، **لباب التأويل في معاني التنزيل**، تحقيق: محمد علي شاهين، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ)، ج٢، ص٣٠٣.

[٢٦] الغزالي، **إحياء علوم الدين**، ص ١٧٩٨.

[٢٧] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج٢، ص١٦٣.

٥. التفكّر من أفضل الأعمال. إن منزلة التفكر تعدّ من أفضل الأعمال وأشرفها، كما قال ابن القيم: "وذلك لأن الفكرة عمل القلب، والعبادة عمل الجوارح، والقلب أشرف من الجوارح؛ فكان عمله أشرف من عمل الجوارح"[٢٨].

٦. التفكير هو حجر الأساس لبناء الحضارة ونهضتها، فلا يجهل أحد أن العلم والفكر هما أساس تقدّم الأمم وارتقائها على جميع المستويات، المادية والمعنوية على حدٍ سواء. ففي مجالات الأخلاق، والقيم، والسلوك، والتشريع، أو في مجال العمران، والإدارة، والزراعة والصناعة، والتجارة، وكل ما يتصل بالجانب المادي. لا يمكن تصور نهضة الأمم وازدهار حضارتها، وعودة التاريخ إلى مساره الصحيح دون منهج التفكير واضح، ولكن ليس أيّ منهج يحقق هذه الأهداف، بل المنهج الإسلامي هو الذي يُمثّل المسار الصحيح لبلوغها. فالتفكير هو أساس نهضة الأمم، ولا تقاس حضارة المجتمعات إلا بما لديها من أفكار تبدع في صياغة نهجها نحو المستقبل[٢٩].

٧. التفكير هو وسيلة أساسية لمعرفة حقائق الكون وفهم سننه، فالقرآن الكريم يكثر من استخدام الأفعال التي تدل على التفكر والنظر والرؤية والسمع في بداية أو نهاية الآيات التي تصف حوادث الطبيعة، ومشاهدها، وأنواع المخلوقات الموجودة فيها[٣٠]، كقوله تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ**﴾ [السجدة: ٢٧]، وقال تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ**﴾ [الروم: ٨].

٨. التفكير السليم هو مفتاح للطاعة، بينما التفكير الخاطئ هو مفتاح للمعصية. كما قال الإمام ابن القيم: "الفكر هو المبدأ والمفتاح للخيرات كلها"[٣١]. فحين يدرك الفرد أن الدنيا زائلة وأنّ الآخرة هي الدار الباقية، وأن الموت هو حقٌ قادم لا محالة،

---

[٢٨] ابن القيم، **مفتاح دار السعادة**، ج١، ص٥٤٠.

[٢٩] محمود الخالدي، **التفكير**، (القاهرة: مكتبة الرسالة الحديثة، ط١، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م)، ص٧.

[٣٠] محمد المبترك، **الإسلام والفكر العلمي**، (بيروت: دار الفكر، ط١، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م)، ص٣٧.

[٣١] ابن القيم، **مفتاح دار السعادة**، ج١، ص٥٤٦.

سواء كان صحيحًا أو مريضًا، كما يخبرنا الباري عزّ وجل في قوله: ﴿**وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلِلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾ [الأنعام:٣٢]، وقوله تعالى: ﴿**وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾ [القصص: ٦٠]. وهذا الإدراك يُساعد الإنسان على اتخاذ القرارات الصحيحة، والسير في طريق الطاعة، والابتعاد عن طريق المعصية. وإن الدنيا ليست هي النهاية، وإنّ الآخرة هي الدار الحقيقية التي سيُحاسب فيها الإنسان على أفعاله. فصاحب التفكير العميق، هو من يتفكر في آيات الله تعالى في خلقه وفي نفسه، فيزداد إيمانه ويقينه ويُصبح أكثر حرصًا على اتباع أوامر الله وتجنب معاصيه.

٩. التفكير يشبع رغبة الاستطلاع لدى الفرد. والقرآن الكريم هو أوسع أبواب هذه الرغبة لما يزخر به من معارف وحقائق عن جوانب الحياة المتعددة. ففي آياته الكريمة، يجد المسلم إجاباتٍ لِتساؤلاته حول الكون والحياة والإنسان، وكلّ ما يتعلق بمجريات الوجود، سواء في الماضي البعيد الذي لم يؤرخ في الحضارات القديمة كقوله تعالى: ﴿**ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [الأعراف: ١٧٦]، أو في الحاضر المستمر كما في قوله تعالى: ﴿**وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ *وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ**﴾ [الذاريات: ٢١-٢٢]، أو في المستقبل المبهم الذي لم يأت بعد، وأمور الغيب لم يكشف عنها كقوله تعالى: ﴿**لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ**﴾ [ق: ٢٢][٣٢].

من هنا، فإن التفكر يعد عبادة عظيمة تقرب العبد من ربه، حيث يعزز الإيمان ويقوي العلاقة بالله من خلال التأمل في آياته وفي مخلوقاته. كما أن التفكر يُسهم في توسيع مدارك الإنسان ويجعله أكثر وعيًا وفهمًا للعالم من حوله، مما ينعكس إيجابيًا على حياته اليومية. ولذلك، فقد حثّ القرآن الكريم على التفكر في كل شيء، داعيًا المؤمنين إلى جعله عادةً يومية في

[٣٢] عبد الواحد حميد الكيسي، **دعوة للتفكير من خلال القرآن**، (عمان: مركز ديبونو، ط١، ٢٠٠٦م)، ص١٩.

حياتهم، فبالتفكر تتفتح أمامهم أبواب العلم والإيمان، ويصبحون أكثر قدرة على مواجهة تحديات الحياة بروح من الحكمة واليقين.

المبحث الثالث: مجالات التفكّر

دعانا القرآن الكريم إلى الاهتمام بالتفكير والتدبّر والتأمّل في مختلف المجالات، فهو وظيفة الطبيعية للعقل الذي يجب علينا أن نوظفه خير توظيف، ويُعدّ تعطيله إهمالًا لهذه النعمة الربّانية التي ميّز الله بها الإنسان، وجعل العقل أداةً للتفكر، واستنباط الدروس والعبر، والوصول إلى ما يُفيده في حياته الدنيا والآخرة. ويُشير القرآن الكريم إلى العديد من المجالات التي ينبغي للعقل التفكر فيها، ويمكن تلخيصها فيما يلي:

١. التفكّر في الآفاق

قال عطاء بن زيد أنّ معنى الآفاق "هو أقطار السماوات، والأرض؛ من الشمس، والقمر، والنجوم، والليل، والنهار، والرياح، والأمطار، والرعد والبرق، والصواعق، والنبات، والأشجار، والجبال، والبحار، وغيرها"[٣٣]. وإنّ التفكّر في الآفاق من أعظم العبادات، وأجلّ القربات إلى الله تعالى. ففي كلّ سماءٍ مرفوعةٍ، وفي كلّ أرضٍ بسطها الله، وفي كلّ بحرٍ متّسعٍ، تتجلى عظمة الخالق جلّ وعلا، تكمن ندرس وتعتبر من خلال ذلك.

يعتبر الآفاق أوسع مجالات في موضوع التفكّر حتى غلب عليه، فإذا أطلق مصطلح التفكر، فهو يشير إلى آيات الله المنظورة المنتشرة في أرجاء هذا الكون الفسيح. ولذلك يعدّ مجال التفكّر في الآفاق غنيّاً بتنوع صوره ومظاهره، وتعدد آياته ودلائله، وكثرة أسراره وحكمه.

ومن الأمثلة على آيات الله في الآفاق قوله تعالى: ﴿**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**﴾ [فصلت: ٥٣].

---

[٣٣] محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ط٢، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م)، ج١٥، ص٣٧٤-٣٧٥.

وقال تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**﴾ [آل عمران: ١٩١].

وقال الله تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [الرعد: ٣].

وقال تعالى: ﴿**إِنَّ فِي خَلقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرضِ وَاختِلافِ اللَّيلِ وَالنَّهَارِ وَالفُلكِ الَّتِي تَجرِي فِي البَحرِ بِما يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَاءٍ فَأَحيَا بِهِ الأَرضَ بَعدَ مَوتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ المُسَخَّرِ بَينَ السَّمَاءِ وَالأَرضِ لآيَاتٍ لِقَومٍ يَعقِلُون**﴾ [البقرة:١٦٤].

وقال تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ**﴾ [الروم: ٨].

وقال تعالى: ﴿**لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ [غافر: ٥٧].

هذه الآيات الكريمة تكونت عجائب خلق الله وهي السماوات والأرض وما بينهما من المخلوقات، وقد أنزل الله هذه الآيات لنتدبرها ونعمل بما جاء فيها، والتفكر في خلق السماء والأرض وما بينهما لا يكون بمجرد النظر إليهم، بل من خلال دراسة العلوم المتخصصة، كعلم الفلك، وعلم الجيولوجيا، وعلم الذرة، وغير ذلك. فمن خلال هذه العلوم، نفهم حقائق الكون وإدراك عظمة النظام الذي أودعه الله في هذا الكون.

يقول وهبة الزحيلي في تفسيره: "إن في مخلوقات الله، وعجائب خلقه، وآلائه، وحكمه، لدلائل وبراهين لمن يتفكّر فيها، ويعتبر بعظمتها؛ فيستدلّ بها على وجود الله تعالى، وقدرته، وكمال علمه، وإرادته، مما لا يوجد له مثيل في الكون؛ وذلك يستوجب تخصيصه بالعبادة، والخضوع لسلطانه، والتزام أوامره"[٣٤].

---

[٣٤] وهبة الزحيلي، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، (دمشق: دار الفكر، ط١، ١٤١١هـ/١٩٩١م)، ج١٣، ص١٠٦.

إن توجيه العقل إلى تدبر آيات الله في الكون رحلة مثيرة لاستكشاف أسراره، وفهم النواميس التي تحكمه، والاستفادة منها في عمارة الأرض، وتنطلق هذه الرحلة من حقيقة مسلمة وهي أن الله سخر الكون للإنسان، وأن العقل هو أداة الإنسان في استثمار هذا الرصيد العظيم: ﴿**وَسَخَّرَ لَكُم مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ**﴾ [الجاثية: ١٣]، لذلك، يوجه القرآن الكريم العقل إلى استخلاص ما أودع الله في الكون من أسرار وطاقات، دون أن يُصبح أسيرًا لهذه الأسرار أو مفتونًا بها، ودون أن يفقد بوصلة حياته وهدفه. ويدرك أن الله جعله مالكًا لأمره، متحكمًا في مسار حياته، غير مستعبدًا لها، ولا منحرفًا عن طريقه[٣٥].

وختامًا، فإنّ التفكّر في الآفاق رحلة مُذهلة تُثري العقل وتنمّي الإيمان، وتحفّز الإنسانَ على الإبداع والعطاء. فليوجه كلّ إنسان عقلهَ نحو هذه الرحلة، وإدراك عظمة الله تعالى وقدرته على الإبداع. وقال يوسف القرضاوي: "فالكون كله، بما يه ومن فيه: مسرح للفكر، يصول فيه ويجول"[٣٦].

٢. التفكّر في النفس الإنسانية

يعتبر الإنسان معجزة الله الكبرى على هذه الأرض؛ فهو الكائن الحيّ الذي يمتلك مزايا هائلة لا مثيل لها في أي مخلوق آخر في هذا الكون؛ فالإنسان هو خليفة الله على الأرض، وهو الكائن المكرم بنعمة العقل، وأعظم ما يميزه هو نفخ الله تعالى فيه من روحه الكريمة.

وقد دعا الله سبحانه الإنسان إلى التفكّر في خلقه، وأحواله، وصفاته، وإلى التأمل في نفسه، لما أودع الله في داخل هذا المخلوق من عجائب قدرته.

قوله تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ**﴾ [الروم: ٨].

وقوله تعالى: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [الروم: ٢١].

---

[٣٥] عبد الكريم نوفان عبيدات، **الدلالة العقلية في القرآن**، (عمان: دار النفائس، ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م)، ص٩٢.

[٣٦] يوسف القرضاوي، **العقل والعلوم في القرآن الكريم**، (القاهرة: مكتبة وهبة، ط١، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م)، ص٣٣.

وقوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾ [غافر: ٦٧].

وقوله تعالى: ﴿**وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ**﴾ [الذاريات: ٢١].

ومن هذه الآية العظيمة تضمنت دعوة للنظر في النفس من الجوانب المتعددة. منه جانب خلق الإنسان وذكرت فيها مراحل خلقه ونشأته، بدأ من بطن أمه يتقلب بين النطفة والعلقة والمضغة؛ بتشكل الجنين وخرجه إلى الحياة، ثم نموه إلى طفل وشاب يافع، وصولا إلى شيوخه وفقدان قوته، ثم يموت في النهاية. فالحياة قصيرة والدنيا فانية، لذا يجب علينا أن نسعى جاهدًا لتحقيق السعادة الأبدية في الجنة. فهذه الآيات التي تنبئ حول حقيقة نشأة الإنسان وأصله، أتت كتنبيه كي لا ننسى بفضل الخالق علينا وما أمره به من واجبات وتكاليف. وذكرت فيها جانب النظر في أفعالها ومقاربتها للصواب، وصفاتها وكيفية تهذيبها[٣٧].

كل هذه الآيات العظيمة التي تستدعى التفكّر في النفس الإنسانية تؤدي إلى معرفة الله عزّ وجل وعظمته؛ الذي صوَّره على أحسن صورة، وأن يدخل اليقين إلى النفس، وكم من أشخاص اهتدوا سبيل الرشاد نتيجةً لمثل هذا التفكر.

كما أن في الأرض والسماء آيات تبين قدرة الله وخلقه، كذلك في نفس الإنسان آيات تظهر عظمة الخالق سبحانه وتعالى. فمن أعطى الإنسان السمع ليسمع الأصوات، والبصر ليرى به المرئيات، واللسان ليعبر عن أفكاره ومشاعره، والعقل ليفكر به؟ إن هذه الحواس وغيرها هي آيات في أنفسنا تدلّ على قدرة الله تعالى وإبداعه. ولذلك، فإنه من واجبنا أن نتفكّر في هذه الآيات ونشكر على نعمة التي أنعم بها علينا، فالله هو الخالق الذي خلق الإنسان يستحق العبادة والطاعة.

٣. التفكر في الأحكام الشريعة

[٣٧] مركز تفسير للدراسات القرآنية، **موسوعة التفسير الموضوعي**، ج٩، ص٣٠٦.

الحكم لغة: القضاء وأصله المنع[٣٨]، والحكم الشرعي هو: خطاب الله تعالى، المتعلق بأفعال المكلفين، اقتضاءً أو تخييراً أو وضعاً[٣٩].

يوجّه القرآن الكريم العقل البشري إلى التدبّر في آياته التي أنزلها على نبينا محمد ﷺ، والدعوة إلى تفكر وتدبر حكمة التشريع نجدها في كثير من الآيات: ومنها:

قال الله تعالى: ﴿**وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة: ١٨٤].

وقوله تعالى: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ**﴾ [البقرة: ٢١٩].

وقوله تعالى: ﴿**وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ**﴾ [البقرة: ٢٤١].

وقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ [الجمعة: ٩].

تتجلى حكمة التشريع وضوحًا في الآيات السابقة، فالتشريع ليس تطبيقًا آليا على كل حالة من حالات البشر، بل هو منهج محكم يتطلب إعمال العقل لمعرفة الحكم المناسب في الحالة المعروضة، وكيفية تطبيقه بشكلٍ صحيحٍ. فإن التشريع الإلهي ليس مجرد قواعد جامدة، بل هو منظومة متكاملة تراعي ظروف الإنسان واحتياجاته المختلفة، وتوجهه نحو الخير والعدل. لذلك، يصبح إعمال العقل ضروريًا لفهم النصوص الشرعية، ومراعاة سياقها ومقاصدها، واستنباط الأحكام المناسبة بالعدالة الإحسان.

وإن الشريعة الإسلامية جاءت لتواجه المتغيرات التي تطرأ في حياة الناس، لم تتناول الشريعة كل التفاصيل الدقيقة التي تواجه الإنسان في حياته، وذلك لما فيها من تغييرٍ مستمرٍ وتطورٍ دائمٍ، بل وضعت لها الأسس والضوابط العامّة. فقد تركت المجال للعقل المهتدي بالهدى الرباني المتفقه في الدين أن يستنبط لها من الأسس الثابتة ما يناسبها كل حالة جديدة[٤٠].

---

[٣٨] الفيومي، **المصباح المنير**، ص٥٦.

[٣٩] سليمان بن عبد القوي بن الكريم الطوفي، **شرح مختصر الروضة**، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)، ج١، ص٤١٤.

[٤٠] محمد قطب، **مذاهب فكرية معاصرة**، (القاهرة: دار الشروق، ط٧، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م)، ص٥٤٥.

وقد كان انطلاق الفكر الإسلامي في هذا الميدان صدى للتوجيه القرآني الحكيم، الذي حث على تدبر الآيات وتعلمها، وحذّر من الخوض في مسائل الفقه بغير عدتها الواجبة من العلم والتبين والتفكير[٤١].

ومن أجل فهم مقاصد الشريعة على أكمل وجه، خصص علماء الشريعة علمًا مستقلًا يسمى: علم المقاصد الشريعة. وشرح الخادمي أن لعلم مقاصد الشريعة تعبيرات منها: "المصلحة، والحكمة، والعلة، والمنفعة، والمفسدة، والأغراض، والغايات والأهداف، والمرامي، والأسرار، والمعاني، والمراد والضرر والأذى وغير ذلك"[٤٢].

فمن خلال التدبر في هذه الآيات، يصبح الإنسان قادرًا على فهم أحكام دين الله الحنيف، واستخراج الحِكم ومقاصد الإسلام منه. ولذلكَ، فقد تركَ الشارع الحكيم مجالًا واسعًا للتفكير والاجتهاد في فهم مقاصد الشريعة واستنباط أحكامها المناسبة لكلّ زمانٍ ومكانٍ.

٤. التفكّر في آيات القرآن الكريم

إن التدبر في آيات القرآن لا يقتصر على إحسان تلاوته وحفظ حروفه، بل يتطلب منا تأمل بمعانيه وفهم مراد الله تعالى. ففي كل آية من آيات القرآن الكريم عبر ودروس تُعلمّنا طريق الحياة وترشدنا إلى صراط المستقيم. ولذلك، فإن التدبّر في آيات القرآن الكريم يساعدنا على فهم أنفسنا، وقرب علاقتنا بالله تعالى، وتقوية إيماننا.

ذكر جملة من الآيات التي تحث على وتدبر كتاب الله عز وجل وتفكر في عظمته، ومن ذلك قوله تعالى: وقوله تعالى: ﴿**بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [النحل: ٤٤].

وقوله تعالى: ﴿**كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾ [ص:٢٩].

وقوله تعالى: ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا**﴾ [النساء: ٨٢].

---

[٤١] محمد قطب، **منهج التربية الإسلامية**، (القاهرة، دار الشروق، ط١٤، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م)، ج١، ص٨٧.

[٤٢] نور الدين بن مختار الخادمي، **علم المقاصد الشرعية**، (الرياض: مكتبة العبيكان، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م)، ص١٥.

وقوله تعالى: ﴿**لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [الحشر: ٢١].

تبين هذه الآيات المعجزة أن دور القرآن في كونه ذكر الإنسان لما فطر عليه، وموعظة للغافلين، وعظم تأثير القرآن في النفوس، وعجز الناس أن يأتي بمثل كتاب الله العظيم، وتحصيل هذه المعاني لا يكون إلا بالتفكر فيه والتدبر لمعانيه.

أهتم الله بالتدبر القرآن، "فالتدبر هو النظر في عواقب الأمور وما تؤول إليه، ومن هذا نستطيع أن نفهم أن التدبر هو: التفكر الشامل الواصل إلى أواخر دلالات الكلام ومراميه البعيدة"[٤٣].

قال الزركشي: "القرآن كله لم ينزله منزله تعالى إلا ليُفْقه ويُعْلم ويُفْهم، ولذلك خاطب به أولي الألباب الذين يعقلون، والذين يعلمون، والذين يفقهون، والذين يتفكرون ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب"[٤٤].

فأن القرآن الكريم يتضمن فيه العلم العميق، والخير العزيز، ويُنير دروب المسلمين ويرشدهم إلى طريق الهدى والصلاح. ففيه كل ما يحتاجه الإنسان من هدايةٍ، وشفاءٍ، ونورٍ، وفيه كل الأحكام والقواعد التي تنظم حياته على أكمل وجه. ولقد أنزل الله تعالى القرآن الكريم هدىً للبشرية، ونورًا ينير لهم طريق الحق، وليكون شفاءً من داء الجهل والضلال. ولذلك، قد حثّنا الله تعالى عباده على تدبّر القرآن الكريم والتأمل في آياته، ليفهموا معانيه ويتدبروا حكمته، وليستخرجوا من العبر والدروس، وليطبّقوها في الحياة. فبالتدبّر في آيات الكريمة، ندرك عظمة هذا الكتاب المعجز، وبركته وخيره، ونصبح أكثر إخلاصًا وإيمانًا. وهذا ما يدلّ على أن التدبّر القرآن من أفضل الأعمال وأهمها، فلا تقارن قراءة سريعة لا تُدرك معانيها بقراءة متدبرة تُفكّر في دلالاتها. إن القرآن هو نور الله في الأرض، وهو هداية المؤمنين وشفاء صدورهم، وهو خير كتاب الله تعالى على عباده.

---

[٤٣] عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، **قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل**، (دمشق: دار القلم، ط٤، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م)، ص١٠

[٤٤] الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، ج٢، ص١٤٥.

٥. التفكر في آلاء الله ونعمه

النعمة هي "المنفعة المفعولة على جهة الإحسان إلى الغير"[٤٥]. ويعد عرض آلاء الله ونعمه المتكررة من أكثر الأساليب انتشارًا في القرآن الكريم، ويقصد ذلك تنبيه الناس على آيات الله، وإظهار قدرته وعظمته وحكمته في الخلق، ودعوتهم إلى التأمل والتفكر فيها، مما يؤدي إلى زيادة إيمانهم وشكرهم لخالقهم. قد ملاء الله تعالى السماء والأرض بآياته ونعمه، لكن قلوب الناس غافلة عنها في كثير من الأحيان. فإن تكرير ذكر هذه الآلاء والنعم في القرآن يساعد على إيقاظ القلوب وإثارة العقول للتأمل فيه.

ومن الأمثلة على ذلك: ﴿**الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة: ٢٢].

وقال عز وجل: ﴿**هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ* يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ* وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾ [النحل: ١٠-١٢].

وقال سبحانه: ﴿**أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ**﴾ [السجدة: ٢٧].

وقال تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ**﴾ [لقمان: ٢].

وقوله تعالى: ﴿**اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ* وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [الجاثية: ١٢-١٣].

---

[٤٥] زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف المناوي، **التوقيف على مهمات التعاريف**، (القاهرة: عالم الكتب، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م)، ص٣٢٧.

إن التفكير في نعم الله ضرورة للإنسان، لأن بذكر نعم الله وآلائه حصل الناس المحبة الله، فالذي ينعم علينا هو الله. وإن نعمة الخلق والإيجاد، نعمة الرزق والإمداد، نعمة العافية والإسعاد، نعمة الإيمان، كل النعم من الله تبارك وتعالى، فإذا تفكرنا فيها، وعرفنا هذه النعم، حصل لنا حب منعمها ومسديها، وطريق النظر أن ننظر إلى من هو دوننا، طريق معرفة نعم الله عليك أن نعرف وننظر إلى من هو دوننا في النعمة، لحديث النبي ﷺ: «انظروا إلى من هو أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم، فإنه أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم»[٤٦].

ومن أعظم نعم الله تعالى على عباده نعمة الهداية الربانية، هذا الكتاب الذي لم يكن إنزاله عبثًا بل هو الحق الذي به تستبين حياة الناس، وتنار دروبهم نحو الهدى والصلاح. فلولا القرآن الكريم ما كان العقل وحده قادرًا على كشف نظم الحياة، وإدراك مغزاها العميق، وفهم أسرارها. ولذلك، أرسل الله تعالى رسله الكرام، ليبينوا للناس معاني الذكر الحكيم، وليكونوا قدوةً لهم في تطبيق تعاليمه، وأيدهم بالمعجزات لإقامة الدليل القاطع على منكري الرسالة. فكان القرآن الكريم معجزة خالدة، تعجز العقول عن فهم بعض آياته، ممّا يدلّ على عظمة الله وقدرته[٤٧].

ومما يلاحظه المتدبر في آلاء الله ونعمه هو تركيز القرآن الكريم على قضية رئيسة، وهي: شكر لله على نعمه الكثيرة من خلال عبادته وطاعته، والالتزام بأوامره واجتناب نواهيه، وعدم الاعتزاز بزخارف الدنيا الفانية.

٦. التفكّر في الأمم السابقة

دعا القرآن الكريم في آياته إلى التفكر في أحوال الأمم الماضية؛ والنظر في مصيرهم، وكيف كانت عاقبة المكذبين منهم والصادقين، حيث أهلك الله الكافرين وأنجى المؤمنين، ومن ذلك:

---

[٤٦] الترمذي، **سنن الترمذي**، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، ج٤، ص٦٦٥، رقم: ٢٥١٣. هذا حديث صحيح.

[٤٧] مركز تفسير للدراسات القرآنية، **موسوعة التفسير الموضوعي**، ج٩، ص٣١١.

قال الله تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾ [يوسف: ١١١].

وقله تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا**﴾ [فاطر:٤٤].

وقوله سبحانه: ﴿**ذَٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [الأعراف: ١٧٦].

وقوله تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾ [يوسف: ١٠٩].

إن الدعوة المتكررة في القرآن الكريم لدراسة التاريخ ليست دعوةً عابرةً، بل هي دعوة عميقة تلفت انتباه الناس وتلح عليهم أن ينظروا في تاريخ من قبلهم، ويدرسوا عوامل الفناء، والبقاء في المجتمعات، دراسة واعية متفتحة بصيرة معتبرة. وليس المقصود من هذه الدعوة التظاهر بالعلم أو التفاخر بمعرفة الماضي، بل هو استخلاص الدروس والعبر من تجارب البشرية السابقة، والاستفادة منها في بناء حياة قيمة[٤٨].

لا تأتي دعوة القرآن الكريم للتفكر في قصص الأمم السابقة بدافع حب الاستطلاع أو نسج الخيال، بل هي دعوة إلى التعمق في حقائق ووقائع عاشها بشر حقيقيون في الماضي، وكانت لعلاقاتهم مع الله ومع بعضهم البعض آثار عملية على مصيرهم وعاقبتهم. ومن هنا تأتي ضرورة التفكر في هذا الأمر، لتعلم الدروس والعبر، واتخاذ العظة من أخطائهم، وتحسين علاقتنا مع الله والآخرين، وتحقيق السعادة في الدنيا والآخرة. فالسرد القصصي في القرآن الكريم ليس مجرد حكايات من الماضي، بل هو أداة لتعلم كيفية رسم حاضرنا وتحديد مسار مستقبلنا.

---

[٤٨] محمد قطب، **منهج التربية الإسلامية**، ج١، ص١١٣.

لقد حثّنا القرآن الكريم على التفكّر في آياته، وفي خلقه، وفي نعمه، وفي أنفسنا، وفي عواقب الأمم السابقة، وفي غير ذلك من مجالات التفكر التي تثري العقل، وتنير القلب، وتقوي الإيمان، وتثبت القدم على طريق الحق.

المبحث الرابع: أهداف التفكّر

التفكّر هو عمليةٌ عقليةٌ تُمكّن الإنسان من فهم نفسه والعالم من حوله بشكلٍ أفضل. وعندما يدعو الله عزّ وجل الإنسان إلى التفكر والتدبر، فإنّه لا يقصد بذلك تفكيرًا عشوائيًا، بل تفكيرًا منتجًا يوصله إلى أهداف وغاية سامية. ومن هذه الأهداف هي:

١. الاستدلال على وجود الخالق سبحانه وتعالى

اهتم القرآن الكريم بدعوة الإنسان إلى والتفكر في آفاق الكون الفسيح، وذلك بهدف ترسيخ إيمانه بحقيقة الخلق، ومعرفة خالق هذا الكون، وإدراك عظمته وجلاله، والتدبّر في بديع صنعته، والتأمل في عجائب خلقه، ولطيف حكمته.

يكاد يكون هذا هو الهدف الأقصى من جميع العمليات العقلية. فالله تبارك وتعالى يثني على عباده الذين يستعملون عقولهم استعمالًا حسنًا، ويوظفونها التوظيف الموفق. يقول الله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**﴾ [آل عمران: ١٩١]، فمن خلال تفكرهم عرفوا أن للكون خالقًا وأن الكون لم يخلق عبثًا، بل خلق لمقصدٍ هامٍ. وكذا قوله تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ**﴾ [الأعراف: ١٨٥]، أي "أولم ينظروا فيها نظر تفكر وتدبر، حتى يستدلوا بكونها محلاً للحوادث والتغيرات على أنها محدثات، وأن المحدث لا يستغني عن صانع يصنعه على هيئة لا يجوز عليه ما يجوز على المحدثات"[٤٩]. فالمؤمن الصادق عندما يتأمل عجائب الخلق من سماء وأرض، وجبالٍ شامخةٍ، وشمسٍ ساطعةٍ، ونجومٍ

[٤٩] أحمد بن الحسين البيهقي، **الاعتقاد والهداية إلى السبيل الرشاد**، (الرياض: دار الفضيلة، ط١، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م)، ص٣٤.

لامعة، وكواكب تدور في مداراتها، وقمرٍ يُنير الليل، وبحارٍ واسعةٍ، وأنهارٍ جاريةٍ، وتناوب الليل والنهار، يتوضّح بلا شك أن وراء هذا الكون المنظم خالقًا عظيمًا مبدعًا.

٢. تزكية النفس واستقامتها على هدى والوحي

إن من أسمى أهداف التفكّر، بعد الإيمان الجازم بوجود الله خالقًا وربًا لهذا الكون، هو تعزيز الإيمان في القلب، وحمايته من أي عوامل قد تُهدده. ويُساهم التأمل في آيات الله تعالى، سواءً في آيات الكون أو آيات الوحي، في هداية الضال إلى الإيمان، وترسيخ هذا الإيمان في القلوب. قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ* وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ* وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ* وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ* أولئك يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ**﴾ [المؤمنون: ٥٧ -٦١]. يربط الله تعالى في هذه الآيات الكريمة بين الخشية والإيمان، سواء كان ذلك إيمانًا بالآيات الكونية أو القرآنية التي توحدّ قلوب المؤمنين وتؤسس إيمانهم، فتحوّل حياتهم إلى ميدانٍ للعمل الصالح، سعيًا لنيل رضى الله سبحانه. وهذه الأعمال الصالحة هي الهبة التي يمنحها الله لقارئ القرآن الكريم وسامعه. فالتفكر يؤدي إلى تهذيب للأخلاق، وتليين قسوة القلب، وترويح عن النفس، وإثراء العقل، وحفظ الجوارح من الوقوع في الحرام. ففي الخلوة التفكر، يحس الإنسان بمراقبة الله، ويتذكر ذنوبه ويتوب منها، فتصبح المناجاة، وتزداد محاسبة النفس ومعاتبتها، مما يساعده على التحرر من قيود الحياة الدنيا[٥٠].

قال ابن القيم: "أصل كل طاعة إنما هي الفكر، وكذلك أصل كل معصية، إنما يحدث من جانب الفكرة؛ فإن الشيطان يصادف أرض القلب خالية فارغة فيبذر فيها حب الأفكار الردية، فيتولد منه الإرادات والعزوم، فيتولد منها العمل، فإذا صادف أرض القلب مشغولة ببذر الأفكار النافعة فيما خلق له وفيما أمر به وفيما هيء له، وأُعدّ له من النعيم المقيم أو العذاب الأليم لم يجد لبذره موضعًا[٥١]".

---

[٥٠] مركز تفسير للدراسات القرآنية، **موسوعة التفسير الموضوعي**، ص٣٢٥-٣٢٦.

[٥١] ابن القيم، **مفتاح دار السعادة**، ج١، ص٥٤٦.

٣. زيادة الإيمان واليقين

التفكر هو طريق العبد إلى اليقين وسبيله إلى قوة الإيمان، وهو من أعظم أهداف التفكر حيث يستدل على صفات الله الكاملة، ويدرك لا مثيل له في الخلق والتدبير. فمن خلال التفكر والتأمل في آيات الله وخلقه في الكون، وفي الآفاق، وفي الأنفس؛ يؤدي إلى زيادة الإيمان، فيترسخ في قلوب المتفكرين معاني قدرة الله تعالى، وتقوية صلتهم بربهم عز وجل. قال تعالى: ﴿**إِنَّ فِي اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ**﴾ [يونس:٦].

يؤدي التأمل لآيات الله وصفاته، وخلقه للإنسان والحيوان والكائنات، وما في هذا الكون من دلائل وحدانية الله تعالى، إلى ازدياد إيمانه ويقينه، مما يدفعه إلى العبادة خضوعًا لله. فكلما ازداد تفكّره، ازداد يقينه وإيمانه، وتضاعفت رغبته في العمل الصالح وطاعته سبحانه.

٤. الكشف عن السنن الإلهية.

السنن الإلهية هي القوانين الثابتة التي أوجدها الله تعالى لتحكم حركة الكون والإنسان، وإن سنن الله في خلقه كثيرة، ربط الله منها عدة سنن بموضوع التفكر، وجعله أساسًا للوصول إلى معرفتها، وبيان حقيقتها، من هذه السنن ما يأتي:

أولًا: الكشف عن سنة التسخير. وهي من السنن التي ذكرها الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز، يعلم البشر طرق التعامل معه، والاستفادة منه، وأن هذا الكون مبنيٌ من أجل تسخيره للإنسان، قال الله تعالى: ﴿**اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ* وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [الجاثية: ١٢-١٣]، فتسخير الله البحر وما في السماوات وما في الأرض للإنسان يقتضي أن يبذل الإنسان وسعه للاستفادة من هذه المسخرات، ولا سيما أن التسخير معللًا: ﴿لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ﴾، ﴿لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾. فإهمال الإنسان لهذه المسخرات وعدم انتفاعه بها تقصير وعجز لا يليق بالمسلم، ثم إن تسخيرها يحتاج إلى تفكر وتدبر، ولذا فقد ختمت الآيات بقوله: ﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾[٥٢].

---

[٥٢] عبد الرحمن النحلاوي، **التربية بالآيات**، (بيروت: دار الفكر، د.ط، ١٩٨٩م)، ص٦٠.

ثانيًا: الكشف عن سنن الاجتماعية. هي القوانين الثابتة المتعلقة بسلوك الناس وأفعالهم ومعتقداتهم وموقفهم من شرع الله وأنبيائه، وما يترتب على ذلك من نتائج في الدنيا والآخرة[٥٣]. مثل: السعة والضيق، والسعادة والشقاء، والعزّ والذّل، والرقي والتخلّف، والقوة والضعف. لقد كان القرآن الكريم أول كتاب في تاريخ البشرية يشير إلى السنن الاجتماعية، مثل قوله تعالى: ﴿**قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ**﴾ [آل عمران: ١٣٧]. يدعونا الله تعالى إلى التفكر في حقائق الحياة وأحداثها، فهي ليست عبثية، بل تُسيّر بسنن وأسباب محددة. والمسلمون " ليسوا بدعاً في الحياة فالنواميس التي تحكم الحياة جارية لا تتخلف، والأمور لا تمضي جزافاً، إنما هي تتبع هذه النواميس، فإذا هم درسوها، وأدركوا مغازيها، تكشفت لهم الحكمة من وراء الأحداث، وتبينت لهم الأهداف من وراء الوقائع، واطمأنوا إلى ثبات النظام الذي تتبعه الأحداث، وإلى وجود الحكمة الكامنة وراء هذا النظام"[٥٤]

ثالثًا: الكشف عن سنة الحياة والموت. الحياة والموت من سنن الله عز وجل في هذا الكون، وقد أنعم الله تعالى على جميع المخلوقات بالإحياء والإيجاد، وجعل الموت حقًا على كل منها، فمهما طال عمر الإنسان أو قصر فإن مصيره إلى الموت. وتمثّل هذه السنة حكمة الخالق ودقة تدبيره، وعظم قدرته في تنظيم شؤون الكون. ولا تقتصر هذه السنة على الحياة البشرية فحسب، بل تشمل الكون بأسره بكافة مكوناته، فتسير كل المخلوقات نحو أجله المقدّر[٥٥]. قال الله تعالى: ﴿**كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ**﴾ [آل عمران: ١٨٥]. يدفعنا التفكّر في هذه السنة إلى الإيمان بفناء الكون، ويؤكد بأن الموت حقيقة لا مفر منه. فهذا التفكّر يُساعدنا على أداء واجباتنا في الحياة، وتحفزنا على السعي لنيل رضا الله، فنبتعد عن المعاصي، ونقترب منه بالأعمال الصالحة.

٥. إدراك مقاصد الحياة

---

[٥٣] عبد الكريم زيدان، **السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية**، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م)، ص١٣.

[٥٤] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج١، ص٤٧٨.

[٥٥] مركز تفسير للدراسات القرآنية، **موسوعة التفسير الموضوعي**، ص٣٣٢.

يعدّ كشف أسرار الحياة ومعرفة مقاصدها من أسمى أهداف التفكر، خاصةً كثير للذين يجهلونه. فمن خلال الوحي المنزل والهداية الإلهية، ودعوة القرآن الكريم لاستكشاف هذه المقاصد، مما يسهل عليهم فهم الحياة وإدراك سر خلقهم ووجودهم، وتحديد مهمتهم على الأرض، وإتباع الطريق الصحيح الذي يجب أن يسلكوه.

لما كان التفكّر من أرقى العمليات العقلية، لزم أن ترتبط مواضيعه بمعرفة حكمة الحياة، وكشف مقاصد الشريعة، فجاءت آيات الكتاب العظيم واضحة مؤيدة لهذا المعنى؛ من خلال عرض مشاهد الكون والاستدلال بها على عدم عبثية الخلق. ومن خلال ذلك، تنبها الآيات إلى مسؤوليات الإنسان كخليفة على الأرض، مكلف بحمل رسالة إلهية. فالتفكّر في خلق الله يدرك الإنسان حكمة الخلق ورسالة الوجود، وأن هذه الحياة دار الاختبار لقدرة الإنسان حمل الأمانة والوفاء بالتزاماتها[٥٦]. فلم يخلق سبحانه هذا الكون لكي يبعث الإنسان أو يعبد غير خالقه. فكلما ازداد تفكير الإنسان، ازداد يقينه بأن الله خلقه لغاية العبادة الله وحده. كما قال الله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**﴾ [آل عمران: ١٩١].

هذه أهمّ الأهداف التي يجب أن يسعى الإنسان لتحقيقها من خلال عملية التفكير. وهي حقائق لا بدّ من أن يدركها المفكّر الصادق، المتمسك بمنهج التفكير الصحيح.

خلاصة الفصل الثالث

توصلت الباحثة إلى النتائج التالية:

١. أن تعريف التفكّر في اللغة أنه عملية عقلية وجدانية، تعمل على استثمار المعارف والدلائل للتوصل إلى حقائق الأمور، بالنظر فيها، والاعتبار بنتائجها. أما تعريفه في الاصطلاح أنه عملية ذهنية أو عقلية، وحالة خاصة بالإنسان دون حيوان، ويهدف التفكر إلى حل المشكلة والوصول إلى حقائق حديدة مطلوبة.
٢. وردت مادة: (فَكَّرَ) في القرآن الكريم بصيغ متعددة، وأن مجموع ورودها ثمانية عشر مرة، وردت مرة واحدة بصيغة الفعل الماضي "فَكَّرَ"، والباقية بصيغة الفعل

[٥٦] مركز تفسير للدراسات القرآنية، **موسوعة التفسير الموضوعي**، ص٣٣٦.

المضارع "تتفكّرون"، "يتفكرون". ومن الدلالات العظيمة في هذه الآيات تأكيد مركزية العقل في الخطاب القرآني، واحترام القرآن للعقل، ورحمة الله في تبيين آياته.

٣. أن من المصطلحات المرادفة والقريبة من معنى التفكّر في القرآن: التعقّل، والتدبّر، والتذكّر، والتفقّه، والاعتبار، والتبصّر، والنظر.

٤. إن أهمية التفكر في القرآن تكمن في العديد من الجوانب، منها: تكريم الله تعالى للإنسان على سائر المخلوقات، وأن التفكّر نور الإيمان، وأفضل الأعمال، وحجر الأساس لبناء الحضارة ونهضتها، ووسيلة أساسية لمعرفة حقائق الكون وفهم سننه، وأنه يشبع رغبة الاستطلاع لدى الناس.

٥. إن من مجالات التفكر الأمور التالية: التفكر في الآفاق، والتفكر في النفس الإنسانية، والتفكر في الأحكام الشريعة، والتفكر في آيات القرآن الكريم، والتفكر آلاء الله ونعمه، والتفكر في الأمم السابقة.

٦. إن للتفكر أهداف، منها: الاهتداء إلى وجود الخالق، وتزكية النفس، وزيادة الإيمان واليقين، وإدراك مقاصد الحياة، والكشف عن سنن الإلهية، ويشمل: سنة التسخير، وسنن الاجتماعية، وسنة الحياة والموت.

الفصل الرابع

تصريف القول في مجالات آيات التفكر وأثرها في تربية النفس

يهدف هذا الفصل إلى إبراز فنون التعبير القرآني في الآيات التي تحث على التفكر، ومن خلال هذا الفصل نقوم بتحليل التصرفات البلاغية البيانية والأساليب المتنوعة التي استخدمها القرآن الكريم في هذه الآيات، ونسعى إلى كشف الأسرار الكامنة وراء اختيار الكلمات والعبارات والأساليب، وتأثيرها العميق في النفوس. علاوة على ذلك، استخراج الدروس والعبر المستفادة من هذه الآيات، والتي تساهم في بناء شخصية المسلم المتفكر والعابد الصالح.

ويحتوي هذا الفصل على المبحثين الآتيتين:

المبحث الأول: تصريف القول في آيات التفكر.

المبحث الثاني: أثر التصريف في تربية النفس من خلال آيات التفكر في القرآن الكريم.

المبحث الأول: تصريف القول في آيات التفكر

يتناول هذا المبحث دراسة تحليلية لتصريف القول في مجالات آيات التفكر. وقد اختارت الباحثة ثلاثة نماذج لكل مجال من مجالات التفكر في القرآن الكريم، حيث قامت بكشف الألفاظ والأساليب البيانية المتنوعة التي استخدمها القرآن الكريم في توصيل دعوته إلى التفكر، مع بيان الحكمة من وراء اختيار هذه الألفاظ والأساليب.

المطلب الأول: التفكر في الآفاق

يتطرق هذا المطلب إلى إثبات تصريف القول ودلالاته البيانية في آيات التفكر في الآفاق، وذلك على النحو الآتي:

١. النموذج الأول: قال الله عزّ وجل: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ* الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١]

المعنى الإجمالي: عرضت هاتين الآيتين الكريمتين ضرورة التفكر في خلق السماوات والأرض، فإن في إبداع السموات والأرض، وما فيهما من الآيات المشاهدة العظيمة، من كواكب ومجرات، وجبال وبحار، وزروع وأشجار، وتعاقب الليل والنهار مع الطول والقصر والاعتدال، لأدلة دالة على وجود الخالق وقدرته وعلمه وحكمته، ولا يظهر ذلك إلا لذوي العقول ينظرون في ذلك بطريق الفكر والاستدلال، وليسوا كالصم البكم الذين لا يعقلون. وأن نستخلص من هذا التفكر الإيمان بالله واليقين به، وأن ندعوه سبحانه وتعالى في كل حال.

وقد اشتمل هذا الموضع على كثير من التصرفات البلاغية والبيانية، نقف عند بعض منها، كالآتي:

أ. قدّم السماوات على الأرض في قوله: ﴿**خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾ "لشرفها وعظم ما احتوت عليه من الأفلاك والكواكب والنجوم والمجرات والعرش وغير ذلك. وآياتها: ارتفاعها من غير عمد تحتها، ولا علائق من فوقها، ثم ما فيها من النيرين، الشمس والقمر والنجوم السيارة والكواكب الزاهرة، شارقة وغاربة، نيرة وممحوّة، وعظم أجرامها وارتفاعها"[٥٧].

ب. وجاء السماوات بالجمع دون الأرض لأن السماوات أجناس مختلفة؛ كل سماء من جنس غير الأخرى، ووحد الأرض؛ لأنها من جنس واحد وهو التراب، وأن الأرض عالم واحد[٥٨].

ج. وأفاد تنكير لفظ ﴿لَآيَاتٍ﴾ للتفخيم كمًا وكيفًا؛ أي لآيات كثيرة عظيمة لا يقادر قدرها دالة على تعاجيب شؤونه[٥٩].

---

[٥٧] أبو حيان محمد بن يوسف بن علي أثير الدين الأندلسي، **البحر المحيط في التفسير**، (بيروت، دار الفكر، د.ط، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م)، ج٢، ص٧٧.

[٥٨] أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، تحقيق: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، (الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٤، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م)، ج١، ص١٧٧.

[٥٩] أبو السعود، **إرشاد العقل السليم**، ج٢، ص١٢٧.

د. وقدّم الليل على النهار في قوله ﴿**وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ**﴾ لسبقه في الخلق، كما قال تعالى: ﴿**وَءَايَةٌ لَّهُمُ الَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ**﴾ [يس: ١٣٧]؛ ففيها إشارة إلى القائلين بأن الليل هو بداية اليوم[٦٠].

هـ. وجمع لفظ ﴿الأَلْبَابِ﴾ دون المفرد، لأن كلمة الألباب لم تذكر إلا بصيغة الجمع، أما المفرد وهو كلمة (لب) فإنها لم تذكر لأن ثقيل لفظًا[٦١].

و. وقد بين أبو حيان تقديم القيام على القعود في قوله: ﴿**الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا**﴾ لأنه "أخف على الإنسان، ثم انتقل إلى حالة القعود والذكر فيه أشق منه في حالة القيام، لأن الإنسان لا يقعد غالباً إلا لشغل يشتغل به من صناعة أو غيرها. ثم انتقل إلى هيئة الاضطجاع والذكر فيها أشق منه في هيئة القعود، لأن الاضطجاع هو هيئة استراحة وفراغ عن الشواغل. ويمكن في هذه الهيئات أن يكون التقديم لما هو أقصر زماناً، فبدئ بالقيام لأنها هيئة زمانها في الغالب أقصر من زمان القعود، ثم بالقعود إذ زمانه أطول، وبالاضطجاع إذ زمانه أطول من زمان القعود"[٦٢].

ز. وجملة: ﴿**وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾ عطفت على ﴿يَذْكُرُونَ﴾، وتقديم الذكر على التفكّر لما "أن فيهما الاعتراف بالعبودية، والعبد مركب من النفس الباطنة والبدن الظاهر، وفي الأول: إشارة إلى عبودية الثاني، وفي الثاني: إشارة إلى عبودية الأول لأن التفكر إنما يكون بالقلب والروح، وفي بيان العبودية بعد الفراغ من آيات الربوبية ما لا يخفى من اللطف"[٦٣].

ح. وجاء التعبير بصيغة المضارع ﴿يَذْكُرُونَ﴾ و﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾ للدلالة على تذكرهم لله عز وجل وتفكرهم في خلق السموات والأرض بشكل متجدد ومستمر.

ط. وكلمة ﴿هَٰذَا﴾ إشارة إلى السماوات والأرض، متضمنة لضرب من التعظيم.

---

[٦٠] أبو حيان، **البحر المحيط**، ج٢، ص٧٨.

[٦١] السيوطي، **معترك الأقران في إعجاز القرآن**، ج٣، ص٤٨٢.

[٦٢] أبو حيان، **البحر المحيط**، ج٣، ص٤٦٩.

[٦٣] الألوسي، **روح المعاني**، ج٢، ص٣٦٩.

ي. وفي تعقيب الآية بالدعاء ﴿فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ دلّ على الخوف بعذاب النار، وترتيب الخوف على التفكّر؛ لأن نهاية التفكر هو الخوف؛ إذ ينتهي إلى أعلى درجات الشعور بالمهمات الله تعالى، وهو يجعل المؤمن يستصغر حسناته، ويستكثر سيئاته، فنتيجة هذا الترتيب: الذكر، والفكر، والإقرار، والتنزيه[٦٤].

والسبب في تصريفها كما ذكر الرازي: "اعلم أن المقصود من هذا الكتاب الكريم جذب القلوب والأرواح من الاشتغال بالخلق إلى الاستغراق في معرفة الحق، فلما طال الكلام في تقرير الكلام والجواب عن شبهات المبطلين، عاد إلى إثارة القلوب بذكر ما يدل على التوحيد والألوهية والكبرياء والجلال فذكر هذه الآية"[٦٥].

وذكر آيات تفكر في خلق الله، لتجنب عن التفكر في الخالق، وحماية للعقل من الانحراف بتأمل ماهية الخالق.

٢. النموذج الثاني: قال تعالى: ﴿**اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ* وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ* وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾ [الرعد: ٢-٤].

المعنى الإجمالي: تحدثت هذه الآيات عن قدرة الله في خلق السماوات بغير أعمدة ظاهرة، وجعل الشمس والقمر في خدمة الخلق، وشكّل الأرض وجعلها صالحة للحياة، حيث فيها الجنات والأنهار والثمار والأشجار المختلفة، التي تسقى بماء واحد وتختلف في طعمها وقيمتها الغذائية. وتدعو هذه الآيات إلى التأمل في خلق الله العظيم، والاعتراف بقدرته وعظمته وحكمته سبحانه وتعالى.

ومن التصرفات البلاغية والبيانية في ذلك ما يأتي:

---

[٦٤] محمد أحمد مصطفي أبو زهرة، **زهرة التفاسير**، (القاهرة: دار الفكر العربي، د.ط، د.ت)، ج٣، ص٥٤٩.

[٦٥] الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٩، ص٤٥٨.

أ. ابتدأت الآية باسم الجلالة ﴿اللَّهُ﴾، واختير بذلك الاسم بدلًا من أسماء الله تعالى الأخرى لتربية المهابة وللتنبيه على أنّ القادر على هذه الأفعال العجيبة لا يكون إلا الموصوف بجميع صفات الكمال[٦٦].

ب. والتعبير بالاسم الموصول بدلًا من الفعل في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ﴾؛ كأن يُقال: (الله يرفع السماوات)، وذلك لكون الصلة معلومة الدلالة على أن الله وحده هو القادر على رفع السماوات، وأن هذه الصفة لا تنطبق إلا عليه، وذلك لكون هذه الحقيقة بديهية لا تحتاج إلى إثبات. قال الله: ﴿**ولأنَّه مُسَلَّم له ذلك وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ**﴾ [لقمان: ٢٥][٦٧].

ج. ورتبت جملة ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ بعد جملة رفع السماوات، لذكر دليل آخر على قدرة الله تعالى، "عن طريق الغائب الهائل الذي تتقاصر دونه المدارك، بعد أن أقام الأدلة على ذلك عن طريق الحاضر المشاهد"[٦٨].

د. وذكر الشمس والقمر كمثال على قدرة الله على تسخير كل شيء في الكون؛ "لأنهما أظهر الكواكب السيارة السبعة التي هي أشرف وأعظم من الثوابت، فإذا كان قد سخر هذه، فلأن يدخل في التسخير سائر الكواكب بطريق الأولى والأخرى، كما نبه بقوله تعالى: ﴿**لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ**﴾ [فضلت: ٣]، مع أنه صرح بذلك بقوله: ﴿**وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾ [الأعراف: ٥٤]"[٦٩] وذكر الشمس والقمر أيضا؛ لأنهما أبرز في الدلالة على التسخير الذي فيه المصلحة للخلق.

---

[٦٦] نخبة علماء مجمع القرآن الكريم بالشارقة، **موسوعة التفسير البلاغي**، (الشارقة: مجمع القرآن الكريم بالشارقة، ط١، ١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م)، ج٢٣، ص٦٠١.

[٦٧] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١٣، ص٨٠.

[٦٨] محمد سيد طنطاوي، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، (القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩٧م)، ج٧، ص٤٣٩.

[٦٩] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج٤، ص٣٦٩.

هـ. وقدّم الشمس على القمر إشارة إلى أهمية دور الشمس في نظام الكوني، فهي المصدر الأساسي للضوء والحرارة على الأرض، وتحدد الفصول والأوقات، مما يجعلها أساس الحياة على أرضنا. أما القمر، فمع أنه له أهميته، إلا أنه يعتمد على ضوء الشمس في إضاءته، ودورته أقصر وأقل.

و. والألف واللام في ﴿الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ للتحديد والتخصيص، مما يجعله يشير إلى شيء واحد محدد. وهذا يعني أنه لا يوجد شيء آخر يمكن أن يحمل هذا الاسم بنفس المعنى والدلالة.

ز. فقد جاء في هذه الآية باللام ﴿لِأَجَلٍ﴾، وجاء في سورة لقمان بـ (إلى) في قوله ﴿**كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى**﴾ [لقمان: ٢٩]، والفرق بينهما أن ما ورد باللام يفيد التعليل بمعنى: أي: كل يجري لهذه الغاية، كما تقول: كلهم يجري لوصول الهدف وبلوغه. وأما جاء بـ (إلى) فهو يفيد الانتهاء أي: لا يزال جاريًا حتى ينتهي إلى آخر وقت جرية المسمى له. إنما خص ما في سورة لقمان خص بـ(إلى) لأن الآيات محاطة بآيات منبهة على النهاية والحشر والإعادة، فقبلها: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [لقمان: ٢٨]، وبعدها ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا﴾ [لقمان: ٣٣]، فكأن المعنى: كل يجري إلى ذلك الوقت، وهو الوقت الذي تكور فيه الشمس وتنكدر فيه النجوم. وفي سورة الرعد، إنما هي في الإخبار عن ابتداء الخلق. فالآيات محاطة بذكر ابتداء خلق السموات والأرض وابتداء جري الكواكب وهي إذ ذاك تجري لبلوغ الغاية[٧٠].

ح. وقال سبحانه: ﴿تَرَوْنَهَا﴾، و﴿كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ﴾، و﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾، و﴿يُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾، جاء التعبير بصيغة الفعل المضارع لدلالة على التجدد المتتابع؛ لأن أحوال الرؤية والجريان والتدبير والتفصيل فيها معنى التجدد والاستمرار، وهذا التوالي في صيغة المضارع، يدل على التجدد المستمر إلى يوم

[٧٠] السامرائي، **التعبير القرآني**، ص٢٤٨.

القيامة، وأنه لا انقطاع له، فهو متوال إلى يوم الدين، ينبه العبد على ضرورة الانتباه إلى سرعة الانقضاء[٧١].

ط. وفي الجُمَلِ: ﴿رَفَعَ السَّمَوَاتِ﴾، و﴿اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾، و﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ جاء التعبير بصيغة الفعل الماضي للدلالة عن إنشاء هذه الأمور وإحداثها في زمن محدد وانقضائه، مما يشير إلى استمرارها على حالتها الحالية، وأما رفع السماوات وتسخير الشمس والقمر، فقد تم واستقر دفعة واحدة[٧٢].

ي. وتقديم الجار والجرور ﴿بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ﴾ على الفعل ﴿تُوقِنُونَ﴾ لمزيد الاهتمام[٧٣].

ك. واستعمال الجعل دون الخلق في قوله: ﴿**وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا**﴾ دال على وظيفته، وهي لبيان الحكمة من خلق الأرض وتجهيزها للحياة. فبعد أن مدّ الأرض، جعل فيها الجبال والأنهار لتثبتها وتنظم مواردها. وبهذا يكون الفعل (جعل) قد دل على عملية الخلق والإعداد والتجهيز في آن واحد[٧٤].

ل. وقدّم الجار والمجرور في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ اهتمامًا بهذا الجعل العظيم، حيث يوجه الانتباه إلى المكان الذي تم فيه هذا الجعل العظيم وهو الأرض.

م. وتنكير ﴿رَوَاسِيَ﴾ و ﴿أَنْهَارًا﴾ لقصد التكثير والتعظيم؛ أي: وجعل فيها رواسي كثيرة عظيمة، وأنهارا كثيرة عظيمة منفجرة منها مياه كثيرة، فأنبتت فيها من كل الثمرات والأشجار.

ن. وجاء لفظ ﴿يُغْشِي﴾ مضارعًا و﴿جَعَلَ﴾ ماضيًا، لأن المضارع يدل على التجدد وإغشاء الليل والنهار فهو أمرٌ متجدّد كل يوم وليلة، وجعل الأشياء المتقدم، وذكره ماضيًا يدل على ثابت مستمر[٧٥].

---

[٧١] نخبة العلماء بالشارقة، **موسوعة التفسير البلاغي**، ج٢٣، ص٦١٢.

[٧٢] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١٣، ص٨٢.

[٧٣] أبو زهرة، **زهرة التفاسير**، ج٧، ص٣٩٣.

[٧٤] نخبة العلماء بالشارقة، **موسوعة التفسير البلاغي**، ج٢٣، ص٦٢٠.

[٧٥] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١٣، ص٨٤.

س. وذكر لفظ ﴿لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ دون أن يقال للذين يعقلون أو للعاقلين، لأن "إجراء الوصف على لفظ قوم يومئ إلى أن ذلك الوصف سجية فيهم، ومن مكملات قوميتهم، وقد تكرر هذا في مواضع كثيرة من القرآن"[٧٦]؟

ع. وجاء التعبير عن التفكر وبصيغة المضارع للإشارة إلى تفكير أمر شديد ومُكرر.

ف. جاء التعبير في قوله تعالى: ﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾ دون (يعقلون) ونحوه؛ لأن في هذه المخلوقات، وبديع صنعها، وتسخيرها ما يستوجب التفكر، والتأمل في ملكوت الكون، فلما ساق سبحانه هذه الآيات مفصلة إلى أربع، وكان فيها دقة، جمعها وناطها بالفكر؛ لأن الفكر هو تصرف القلب في طلب الأشياء[٧٧].

ص. ورتب التعبير في ذكر الجنات في قوله تعالى: ﴿أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ﴾، وابتدأ بجنات الأعناب؛ لأنها كانت أحب الثمار إليهم، وتأخير النخيل لئلا يقعَ بينها وبين صفتها وهي قوله تعالى: ﴿صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾ فاصلة. وذكر الزرع بين الأعناب والنخيل لأنها كثيراً ما تكون كذلك في الوجود كقوله ﴿**جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا**﴾ [الكهف: ٣٢][٧٨].

ق. وخصت آية الأولى بالتفكر والثانية بالتعقل، لأن الأول يؤدي إلى معرفة الشيء، والاستدلال بالآيات التي تدل على وحدانية الله تعالى كالسموات والأرض، فهو قبل، ولأن التفكر في الشيء سبب لتعقله، والسبب مقدم على المسبب، فناسب تقديم التفكر على التعقل[٧٩].

---

[٧٦] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢، ص٨٩.

[٧٧] نخبة العلماء بالشارقة، **موسوعة التفسير البلاغي**، ج٢٣، ص٦٣٢.

[٧٨] أبو زهرة، **زهرة التفاسير**، ج٧، ص٣٩٧، وأبو السعود، **إرشاد العقل السليم**، ج٥، ص٥، ونظام الدين الحسن القمي النيسابوري، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، تحقيق: زكريا عميرات، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٦هـ)، ج٤، ص١٣٨.

[٧٩] صديق حسن خان القنوجي، **فتح البيان في مقاصد القرآن**، (بيروت: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، د.ط، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م)، ج٧، ص١٧.

ر. وقد اجتمع في هذا السياق ذكر العقل والفكر، فالعقل يشير إلى الموضوعات المدركة، التي يمكن الإحساس بها، وتوظيف العقل في فهم عظمة حقيقتها. أما التفكر فهو أيضًا موضوع يمكن ملاحظته؛ ولكنه يتطلب عمقًا فكريًا للوصول إلى الدلالات الإيمانية الكامنة فيه. لذا، لا يكفي الاعتماد على القدرة العقلية فقط لإدراك مغزى هذه الأمور؛ بل ينبغي أن تترافق تلك القدرة بعملية تفكير تساهم في إيضاح العلاقة بين الأمور المذكورة.

والسرُّ في عرض هذه الآية هو إشارة إلى معرفة رحمة الله بعباده ولطفه بهم، وأنه بيّن لهم الأدلة الدالة على وجوده وكمال قدرته وعلمه وإرادته، ووجه أنظارهم إلى ما يشير إلى ذلك. فكل مخلوق خُصّ بصفاته وموقعه وطبيعته وزينته، وهذا التخصيص لا يكون إلا من الله تعالى[٨٠]

٣. النموذج الثالث: قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ* فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ* وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**﴾ [الأنعام: ٩٥-٩٧].

المعنى الإجمالي: يخبر الله سبحانه في هذه الآيات الكريمة عن كماله، وعظمة سلطانه، وقوة اقتداره، وسعة رحمته، وعموم كرمه، وشدة عنايته بخلقه، وبيان سننه في خلقه وحكمه في الحياة والموت، وجعل الليل كراحة للجسد وسكينة للنفس، مما يمنح الإنسان الفرصة للاسترخاء بعد يوم شاق. كما يُشير إلى أن الشمس والقمر قد جُعل لحساب الأوقات، والنجوم كعلامات إرشادية قيمة لكل من يسير في البر والبحر.

ومن طرق تصريف القول الواردة في هذه الآيات ما يلي:

أ. تقديم الحب على النوى في قوله: ﴿فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ﴾ لأنه سبحانه يخرج النبات من الحب، ويخرج الشجر من النوى، وهو من باب تقديم العموم على

---

[٨٠] الزحيلي، **التفسير المنير**، ج١٣، ص١٠٧.

الخصوص؛ فإن النبات عام، والشجر داخل تحته، لكنه مخصوص بشكله وحجمه وثمره[٨١].

ب. والاسم مع الميت ﴿مُخْرِجُ﴾، وذلك لأن أبرز صفات الحي الحركة والتجدد فجاء معه بالصيغة الفعلية الدالة على الحركة والتجدد، وجاء بصيغة الاسمية للميت لأنه يدل على الثبات وأن الميت في حالة همود وسكون وثبات[٨٢].

ج. وإن الإشارة في الآية ﴿ذَٰلِكُمُ﴾ تهدف إلى التمييز والبيان والتنبيه لغفلة المشركين عن حقيقة واضحة؛ أن الله هو الفاعل للأفعال العظيمة، مثل الفلق وإخراج الحي من الميت، وهو الإله المعروف بوحدانيته المطلقة. هذه الإشارة بمثابة توبيخ صريح لهم على شركهم وتكذيبهم بالحق[٨٣].

د. وعبّر ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾ باسم الفاعل وعطف بـ﴿وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا﴾ ولا يعبّر بالفعل دون اسم الفاعل (جاعل)، ذلك قال ابن عاشور: "لأنّ الظلمة عدم فتعلّق القدرة فيها هو تعلّقها بإزالة ما يمنع تلك الظلمة من الأنوار العارضة للأفق. والمعنى أنّ الله فلق الإصباح بقدرته نعمة منه على الموجودات ولم يجعل النّور مستمراً في الأفق فجعله عارضاً مجزءاً أوقاتاً لتعود الظّلمة إلى الأفق رحمة منه بالموجودات ليسكنوا بعد النّصَب والعمل فيستجمّوا راحتهم"[٨٤].

هـ. وتقديم العزيز على العليم لأن "العزيز الذي لا يمانع ولا يخالف العليم بكل شيء، فلا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، وكثيرًا ما إذا ذكر الله تعالى خلق الليل والنهار والشمس والقمر، يختم الكلام بالعزة والعلم"[٨٥].

---

[٨١] نخبة العلماء بالشارقة، **موسوعة التفسير البلاغي**، ج١١، ص٤٤٨.

[٨٢] السامرائي، **التعبير القرآني**، ص٢٨.

[٨٣] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٧، ٣٨٩.

[٨٤] المصدر نفسه، ج٧، ص٣٩١.

[٨٥] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج٣، ص٥٧٩.

و. وقدّم ﴿لَكُمُ﴾ على المفعول به ﴿النُّجُومَ﴾ لغرض العناية والاهتمام بأمر المخاطبين، والعناية بإظهار نعمه تعالى عليهم، وهذا التقديم يشير إلى دلالة قريبة من التخصيص، فكأنه تعالى جعل النجوم لكن؛ أي: لأجلكم[٨٦].

ز. وتقديم البر على البحر في قوله سبحانه ﴿ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ لأن "الأصل في مستقر الإنسان وسفره هو البر، وهو الأكثر في معيشته ورحلته، ولا يسلك المرء البحر إلا لعارض"، فالأصل مقدّم على الفرع[٨٧].

ح. وختمت الآية ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ لأن حساب النجوم والاهتداء بها يختص بالعلماء من ذلك المجال، فناسب ختمه بـ(يعلمون)[٨٨].

قد بين الخازن سر الاستدلال بهذه الآيات المتنوعة من الآفاق، فقال: "لما تقدم الكلام على تقرير التوحيد وتقرير النبوة، أردفه بذكر الدلائل على كمال قدرته وعلمه وحكمته تنبيهاً بذلك على أن المقصود الأعظم هو معرفة الله سبحانه وتعالى بجميع صفاته وأفعاله وأنه مبدع الأشياء وخالقها ومن كان كذلك كان هو المستحق للعبادة لا هذه الأصنام التي كانوا يعبدونها وتعريفاً منه خطأ ما كانوا عليه من الإشراك الذي كانوا عليه"[٨٩].

المطلب الثاني: تصريف القول في التفكر في النفس الإنسانية

ركزت الباحثة في هذا المطلب على مناقشة التصرفات البيانية والبلاغية في الآيات التي تحث على التفكر في النفس الإنسانية، وذلك من خلال النماذج الآتية:

١. النموذج الأول: قال تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ ۗ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ**﴾ [الروم: ٨].

---

[٨٦] نخبة العلماء بالشارقة، **موسوعة التفسير البلاغي**، ج١١، ص٤٧٠.

[٨٧] المصدر نفسه، ج١١، ص٤٧٢.

[٨٨] السيوطي، **معترك الأقران في إعجاز القرآن**، ج١، ص٣٤.

[٨٩] الخازن، **لباب التأويل في معاني التنزيل**، ج٢، ص١٣٧.

المعنى الإجمالي: تؤكد هذه الآية على حقيقة خلق الله للكون بأسره، بما في ذلك خلق الإنسان دلائل واضحة على قدرة الله وعظمته، وكذلك في خلق السماوات والأرض وما بينهما، وأن هذا الخلق لم يكن عبثًا أو صدفة، بل تم وفق حكمة بالغة وأجل محدد، ولكن الكثير من الناس ينكرون بهذه الحقيقة رغم وضوح الدلائل على ذلك.

ومن التصرفات في هذه الآية كالآتي:

أ. غرض الاستفهام ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا﴾ للتعجيب من غفلتهم وعدم تفكرهم. أي: هم غافلون وعجيب عدم تفكرهم[٩٠].

ب. وقدّم دلائل الأنفس على دلائل الآفاق في هذه الآية، وفي قوله تعالى: ﴿**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ**﴾ [فصلت: ٥٣]، قد قدّم دلائل الآفاق على دلائل الأنفس. وحكمة ذلك أن المفيد يذكر الفائدة على وجه يختارها، فإن فهمت وإلا انتقل إلى الأوضح، والمستفيد يفهم أولا الأوضح ثم يرتقي إلى الأخفى، وفي قوله: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا﴾، الفعل مسند إلى السامع أي المستفيد، فبدأ تعالى بما يفهم أولا، ثم ارتقى إلى الأخفى الذي يفهم ثانيا، وفي قوله: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا﴾ الفعل مسند إلى المفيد، فذكر أولا الآفاق، فإن لم يفهموا فالأنفس، إذ لا ذهول للإنسان عن دلائلها في ذاته، بخلاف دلائل الآفاق لأنه قد يذهل عنها، وهذا مراعى في ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا﴾ [آل عمران: ١٩١]، بدأ تعالى بأحوال الأنفس، ثم بدلائل الآفاق[٩١].

ج. وجاء التعبير بالجملة ﴿كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ﴾ بدلا بالجملة (ولكن أكثر الناس)، قال ابن عاشور المراد بالكثير هنا: "مشركو أهل مكة وبقية مشركي العرب المنكرين للبعث ومن ماثلهم من الدهريين. ولم يعبر هنا بـ﴿أكثر الناس﴾ [العنكبوت: ٦٠] لأن المثبتين للبعث كثيرون مثل أهل الكتاب والصابئة والمجوس والقبط"[٩٢]. (التحرير)

---

[٩٠] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢١، ص٥١.

[٩١] الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٢٥، ص٨٢.

[٩٢] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢١، ص٥٥..

ومن سر التصريف في عرض هذه الآية توبيخًا لهؤلاء الكافرين الذين يغفلون عن الدار الآخرة وما فيها من حساب، وحثًا على التفكر في أنفسهم وفي الكون من حولهم، فإن كل ذلك يهدي إلى الحق أي وجود خالق حكيم، وذكرًا بأن الحياة الدنيا لها النهاية، ولقاء الله هو عظيم الأمر، فيه النجاة والهلكة.

٢. النموذج الثاني: قال تعالى: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ* وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [الروم: ٢٠-٢١].

المعنى الإجمالي: عرضت هاتين الآيتين أدلة باهرة على عظمة الله وكمال قدرته، ومنها: خلق آدم من تراب، ثم تنتشرون بشر في الأرض، تبتغون من فضل الله، ثم خلق لأجلهم أزوجًا من جنسهم لتطمئن نفوسهم وتسكن إليها، وجعل بين المرأة وزوجها محبة وشفقة، إن في خلق الله ذلك لآيات دالة على قدرة الله ووحدانيته.

ومن التصرفات البلاغية في هذا السياق على النحو الآتي:

أ. ذكر هنا التراب في صوّر خلق البشر في قوله: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ وذكر في الموضع آخر في القرآن ذكر بالطين كما في قوله: ﴿**خَلَقَكُم مِّن طِينٍ**﴾ [الأنعام: ٢]، قد بين سيد قطب أن التراب ميت ساكن؛ ومنه نشأ الإنسان، أما الطين هو الأصل البعيد للإنسان، ولكن هنا يذكر هذا الأصل ويعقبه مباشرة بصورة البشر منتشرين متحركين، للمقابلة في المشهد والمعنى بين التراب الميت الساكن والبشر الحي المتحرك[٩٣].

ب. وتقديم الجار والجرور على المفعول في قوله: ﴿خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ دلالة على حرمة التزوج من غير النوع[٩٤].

ج. وقدّم المودّة على الرحمة في قوله: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ للسبق، قال الحسن، ومجاهد، وعكرمة: المودة كناية عن النكاح والرحمة كناية عن الولد[٩٥].

---

[٩٣] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ج٥، ص٢٧٦٣.

[٩٤] إبراهيم بن عمر بن علي بن أبي بكر البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، د.ط، د.ت)، ج١٥، ص٦٦.

[٩٥] الألوسي، **روح المعاني**، ج١١، ص٣٢.

د. تنكير ﴿لَآيَاتٍ﴾ يفيد التعظيم، وجاء بالجمع لأن يتضمن فيه آيات متعددة منها: "وهي آية تنطوي على عدة آيات منها: أن جُعل للإنسان ناموس التناسل، وأن جُعل تناسله بالتزاوج، وأن جعل أزواج الإنسان من صنفه ولم يجعلها من صنف آخر، وأن جعل في ذلك التزاوج أنساً بين الزوجين، وأن جعل بين كل زوجين مودة ومحبة، وأن جعل بينهما رحمة فهما قبل التزاوج لا عاطفة بينهما فيصبحان بعده متراحمين كرحمة الأبوة والأمومة"[٩٦].

وسر التصريف في عرض هذه الأدلة هو التنبيه على اتحاد الغرض في خلق الإنسان وإمكانية إحيائه بعد الموت، وذلك من خلال الربط بين خلق الإنسان من العدم وإمكانية إحيائه بعد الموت، فخلق الإنسان من تراب وإيقاظ الروح فيه يعتبر دليلًا قاطعًا على أن الله قادر على إخراج الحي من الميت، فإن هذه الأدلة تؤكد على حقيقة البعث والإعادة وتعظيم قدرة الله سبحانه وتعالى.

٣. النموذج الثالث: قال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾ [غافر: ٦٧].

المعنى الإجمالي: هذه الآية الكريمة تتحدث عن مراحل خلق الإنسان وتطوره منذ نشأته الأولى في الأرض وحتى وفاته. وهي بمثابة تذكير للإنسان بعظمة الخالق وقدرته على الإبداع والتغيير.

ومن أوجه التصريف في هذه الآية على النحو الآتي:

أ. جاء الطفل بلفظ المفرد والشيخ بلفظ الجمع، لأن الطفل أفرده لإرادة الجنس على الواحد والاثنين والجمع، للمذكر والمؤنث، أو على معنى: ثم يخرج كل واحد منكم طفلا[٩٧].

ب. وعطف التعبير ﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ﴾ بـ(ثم) متعلقات بمحذوف تقديره: "ثم يبقيكم لتكونوا شيوخا"[٩٨].

---

[٩٦] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢١، ص٧١.

[٩٧] القنوجي، **فتح البيان في مقاصد القرآن**، ج١٢، ص٢١٠.

[٩٨] أبو حيان، **البحر المحيط**، ج٩، ص٢٧١.

ج. وعطفت الجملة ﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ﴾ بالواو ولم يعطف بـ(ثم) كما عطفت المجرورات الأخرى لأن الأجل المقدر "من قبل بعض هذه الأطوار، أي يتوفى قبل أن يخرج طفلاً وهو السقط أو قبل أن يبلغ الأشدّ، أو يتوفّى قبل أن يكون شيخاً"[٩٩].

د. وقال ابن عاشور أن الفعل ﴿تَعْقِلُونَ﴾ "لم يؤت بمفعول ولا بمجرور لأنه نزل منزلة اللازم، أي رجاء أن يكون لكم عقول فهو مراد الله من ذلك الخلق فمن حكمته أن جعل ذلك الخلق العجيب علة لأمور كثيرة"[١٠٠].

ومن سر التصريف في عرض هذه الآية أنها استعرضت بعد آيات الله في الآفاق، وهي آية الحياة الإنسانية وأطوارها العجيبة؛ وليتخذ من هذه الحياة مقدمة لتقرير حقيقة الحياة كلها بين يدي الله، وأن الله رتّب عمر الناس على ثلاث مراحل: الأول: كونه طفلًا، والثاني: بلوغ سن الشدة والقوة، والثالث: الشيخوخة، وإذا عرفنا هذا التقسيم نعرف أن مراتب العمر بحسب هذا التقسيم لا تزيد على هذه الثلاثة، وأن كل الناس لهم أجل محدود فعليهم أن يبتغوا مرضاة الخالق الرازق سبحانه وتعالى في كل وقت.

المطلب الثالث: تصريف القول في التفكر في الأحكام الشرعية

تحاول الباحثة في هذا المطلب تحليل التصرفات البلاغية والبيانية في آيات الأحكام التي شرعها الله لعباده، وذلك من خلال النماذج الآتية:

١. النموذج الأول: قال تعالى: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ**﴾ [البقرة: ٢١٩]

المعنى الإجمالي: تتناول هذه الآية الكريمة سؤالاً طرحه الصحابة على النبي ﷺ حول حكم الخمر والميسر. وقد جاء الرد الإلهي حكيماً وشاملاً، حيث بيّن الله

[٩٩] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢٤، ص١٩٨.

[١٠٠] المصدر نفسه، ج٢٤، ص١٩٩.

سبحانه وتعالى أن هذين الأمرين يحملان في طياتهما إثماً كبيراً، على الرغم من بعض المنافع الظاهرية التي قد يراها الناس فيهما.

ومن أوجه التصريف في هذه الآية ما الآتي:

أ. قدم الخمر على الميسر في قوله: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ لأن الخمر أشد ضررًا، وأخبث شرًّا من الميسر، وأن كليهما يؤدي إلى إتلاف العقل والمال[١٠١].

ب. وتقديم ذكر الإثم على المنافع ووصفه بالكبر وتأخير المنافع مع تخصيصها بالناس، في قوله: ﴿فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ يدل على غلبة الإثم على المنفعة في الخمر والميسر[١٠٢].

ج. خروج ﴿لعلّ﴾ من معنى الترجي إلى التعليل: ليكون التعليل مصحوبًا بالرجاء، فكلما كان القلب معلقًا بالرجاء في الأخذ والأسباب؛ كان أرجى للقبول وأقرب إلى نجاح الأمور[١٠٣].

د. تقديم الجار والمجرور ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ﴾: يفيد توكيد وتقوية لحكم وجوه البيان.

وغرض التصريف بهذه الآية في تحريم الخمر، ويرى كثير من العلماء أن هذه الآية هي أول آية نزلت في تحريم الخمر، كره الخمر قوم للإثم، وشربتها قوم للمنافع، ثم نزلت الآية التي في سورة النساء ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ**﴾ [النساء: ٤٣]، فاجتنبوها في أوقات الصلاة، حتى نزل: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [المائدة: ٩٠]، فحرم الخمر. قال القفال: والحكمة وقوع التحريم على هذا الترتيب، لأنه تعالى علم أن القوم كانوا ألفوا شربها والانتفاع بها كثيراً، فجاء التحريم بهذا التدريج، رفقاً منه تعالى[١٠٤]. وذكر منافع الخمر والميسر في هذه الآية مع إبراز المفسدة الكبرى المترتبة عليها،

---

[١٠١] نخبة العلماء بالشارقة، **موسوعة التفسير البلاغي**، ج٣، ص٤٠٩.

[١٠٢] أبو السعود، **إرشاد العقل السليم**، ج١، ص٢١٩.

[١٠٣] نخبة العلماء بالشارقة، **موسوعة التفسير البلاغي**، ج٣، ص٤١٦..

[١٠٤] الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٦، ص٣٩٦.

يتضح للمسلم حكمة الله في تحريمهما، ويشجعه على التفكير في أسباب الأحكام الشرعية، ويقوي إيمانه بأن الله تعالى لا يأمر إلا بالخير ولا ينهي إلا عن الشر.

٢. النموذج الثاني: قال تعالى: ﴿**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيامُ كَما كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ* أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ ۚ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة: ١٨٣-١٨٤].

المعنى الإجمالي: وأشارت هاتان الآيتان الكريمتان إلى فريضة الصيام في رمضان، ولكن هناك بعض الحالات التي يستثنى فيها الصيام، مثل المرض والسفر والعجز. كما تبين الآية أن من لم يستطع الصيام لسبب مشروع عليه أن يفدي عنه بإطعام المساكين. فتؤكد الآية على فضل الصيام وتشجع المسلمين على التطوع بالخير والزيادات في العبادات.

ومن أوجه التصريف في هاتين آيتين كالآتي:

أ. جاء اللفظ ﴿كُتِبَ﴾ بمعنى فُرِضَ، وجاء (الكَتْبُ) بمعنى: الجعل كما في قوله: ﴿فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾، وجاء كذلك معنى الأمر، كما في قوله: ﴿ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ أي: أمركم الله تعالى أن تدخلوها. وعدل التعبير بـ(صوموا) إلى التعبير بـ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيام﴾ مع أن الأول لما فيه أخصر؛ لما في الثاني من توكيد الحكم، والترغيب في الفعل، وتطييب النفس[١٠٥].

ب. وتعريف الصيام بالألف واللام للعهد العلمي، أو كما يسميه النحاة العهد الذهني والمعنى: كتب عليكم جنس الصيام المعروف، وقد كان العرب يعرفون الصوم، فقد جاء في الصحيحين عن عائشة قالت: "كان يومُ عاشُوراءَ يوماً تصومه قريش في الجاهلية" وفي بعض الروايات قولها: "وكان رسول الله يصومه"[١٠٦].

---

[١٠٥] نخبة العلماء بالشارقة، **موسوعة التفسير البلاغي**، ج٣، ص٢٨.

[١٠٦] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢، ص١٥٥.

ج. والتعبير ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ يقصد شهر رمضان عند جمهور العلماء. وجاء بلفظ أياما وهي جمع قلة ووصف بمعدودات وهي كذلك جمع قلة يفيد تهوين الأمر على المكلفين، ولإشعارهم بأن ما فرضه الله تعالى عليهم هو ضمن طاقتهم وقدرتهم[١٠٧].

د. ووصف ﴿عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ بدلًا من اسم الفاعل (مسافر) لإشارة إلى قدرته على التحكم في مساره واختيار وجهته كما يشاء. ولذا يقال: فلان على طريق، وراكب طريقًا، للإشعار بالاختيار، أما المرض فهو أمرٌ مفروض لا اختيار فيه[١٠٨].

هـ. وتأتي الجملة ﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ تعقيبًا لحكم العزيمة بحكم الرخصة، فالفاء لتعقيب الأخبار لا للتفريع، وقد قدمها تعجيلًا هنا قبل ذكر بقية تقدير الصوم لتطمئن السامعين وتوضيح أن هناك حالات يستثنى فيها الصيام[١٠٩]

و. ووضح ابن عاشور "إنما قال تعالى: ﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ ولم يقل: فصيام أيام أخر، تنصيصًا على وجوب صوم أيام بعدد أيام الفطر في المرض والسفر؛ إذ العدد لا يكون إلاّ على مقدار مماثل.[١١٠]"

ز. جاءت تعقيب الآية بالجملة ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ وقد تقدم في هذه الجملة ﴿وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾، توضّح أن الله وحده يعلم ما هو الخير والأفضل للعباد. لذلك، بعد أن أمر الله عباده بالصيام، أضاف ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ليحثهم على طلب العلم والتفكر في حكمة أحكامه، ويزيد إيمانهم ويقينهم برحمة ربهم[١١١].

ح. تنكير ﴿خَيْرٌ لَكُمْ﴾ للإشعار بعظمته وفخامته وعلو منزلته.

---

[١٠٧] سيد طنطاوي، **التفسير الوسيط**، ج١، ص٣٨١.

[١٠٨] أبو حيان، **البحر المحيط**، ج٢، ص١٨٤.

[١٠٩] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢، ص١٦٢.

[١١٠] المصدر نفسه، ج٢، ص١٦٤.

[١١١] نخبة العلماء بالشارقة، **موسوعة التفسير البلاغي**، ج٣، ص٥٤.

ومن أسرار عرض هذه الآية الحكمية عرض أحوال الأمم قبل الإسلام وبخاصة العرب، فإنهم كانوا يميلون إلى الإفراط في التمتع بالملذات مثل الطعام والخمر واللهو مع النساء مما أدى إلى تقوية الجوانب الحيوانية لدى الإنسان كالشهوانية والغضب، فتغلب هذه القوى على العقل، فجاء الإسلام بشريعة الصيام لتهذيب النفس، حيث يمسك الإنسان عن الاستكثار من مثيرات إفراطها، ما يؤدي إلى ضبطها وتنظيمها في أوقات محددة، بحيث تكون كافية حتى الأوقات القادمة[١١٢].

٣. النموذج الثالث: قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ* فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [الجمعة: ٩-١٠].

المعنى الإجمالي: في هاتين الآيتين، يأمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين عند سماع النداء لصلاة الجمعة بالتوجه سريعًا إلى المسجد لحضور الصلاة وترك جميع أشغالهم التجارية والدنيوية. هذا الأمر بالسعي إلى ذكر الله وترك البيع يُظهر أهمية صلاة الجمعة ومكانتها في الدين الإسلامي، حيث يجب تقديم العبادة على الشؤون الدنيوية. وبعد انتهاء صلاة الجمعة، يُبيّن الله تعالى للمؤمنين أنهم يمكنهم العودة إلى أعمالهم والانتشار في الأرض لطلب الرزق والفضل من الله، مع الاستمرار في ذكر الله لتحقيق الفلاح في حياتهم.

ومن التصرفات البلاغية والبيانية في هذه الآية ما يأتي:

أ. التعريف في ﴿لِلصَّلَاةِ﴾ يفيد العهد وهي "الصلاة المعروفة الخاصة بيوم الجمعة. وقد ثبتت شرعاً بالتواتر ثم تقررت بهذه الآية فصار دليل وجوبها في الكتاب والسنة المتواترة وإجماع الأمة"[١١٣].

ب. وذكر ﴿إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ دون أن يقال: إلى الصلاة، كما قال: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ﴾ "لتتأتى إرادة الأمرين الخطبة والصلاة، وفيه دليل على وجوب الخطبة

---

[١١٢] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢، ص١٥٨-١٥٩.

[١١٣] المصدر نفسه، ج٢٨، ص٢١٩.

في صلاة الجمعة وشرطيته على الجملة، وتفصيل أحكام التخلف عن الخطبة ليست مساوية للتخلف عن الصلاة إلاّ في أصل حرمة التخلف عن حضور الخطبة بغير عذر"[١١٤].

ج. وكلمة ﴿خَيْرٌ﴾ من أسم التفضيل أصله: أخير، حذفت همزته لكثرة الاستعمال. والمفضل عليه محذوف لدلالة الكلام عليه[١١٥].

د. ومراد ﴿مِن﴾ في، أو للبيان، أو للتبعيض، لأن يوم الجمعة هو وقت تتعلق به بعض الأعمال، من أهمها صلاة الجمعة، حيث يُخصص الأمر بترك البيع تحديدًا لهذه الصلاة بسبب وجود الخطبة فيها[١١٦].

هـ. وتنكير ﴿خيرٌ﴾ يفيد تعظيم الخير الذي أمرهم به، ونهاهم عنه، وتفخيمه.

و. وذكر بلفظ ﴿خيرٌ﴾ للترغيب، لأن الذي أمركم هو الله حكيم عليم، وهو يعلم ما في خيركم، ولذلك أمركم بما يطهر دينكم وبدنكم وأموالكم، سعياً إلى سعادتكم في الدنيا والآخرة.

ومن سر التصريف في عرض هذه الآية وأن الأمر بترك التجارة والأعمال الدنيوية في يوم الجمعة هو وسيلة لتطهير القلوب من حب الدنيا، وتهذيب النفوس، وتجديد العلاقة بالله. فمن خلال الانفصال عن شؤون الدنيا والتوجه إلى الله، يتذوق العبد حلاوة الإيمان، والشكر على كل ما أكرمهم الله تعالى على العباد من النعم الكثيرة. ولكل أهل ملة من الملل المعروفة يوم منها معظم، فلليهود يوم السبت وللنصارى يوم الأحد، وللمسلمين يوم الجمعة[١١٧]، روي عن أبي هريرة، قال رسول الله ﷺ: «يوم الجمعة فاليوم لنا، وغدا لليهود، وبعد غد للنصارى»[١١٨].

---

[١١٤] المصدر نفسه، ج٢٨، ص٢٢٦

[١١٥] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢٨، ص٢٢٧.

[١١٦] سيد طنطاوي، **التفسير الوسيط**، ج١٤، ص٣٨٧.

[١١٧] الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٣٠، ص٥٤٣.

[١١٨] مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري، **صحيح مسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، د.ط، ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م)، كتاب الجمعة، باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة، ج٢، ص٥٨٥، رقم: ٢٠.

المطلب الرابع: تصريف القول في التفكر في آيات القرآن الكريم

يناقش هذا المطلب التصرفات البيانية والبلاغية في الآيات المتعلقة بالتدبر والتفكر في كتاب الله العظيم، وذلك على النحو التالي:

١. النموذج الأول: قال تعالى: ﴿**لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [الحشر: ٢١]

المعنى الإجمالي: تعتبر هذه الآية من أعظم الآيات التي تبين عظمة القرآن الكريم وقدرته على التأثير في القلوب، وتستخدم الآية التشبيه لتوضيح هذا المعنى، فلو أنزل القرآن على جبل لخشع ذلك الجبل وتصدع من عظمة الله وقدرته.

ومن أوجه التصريف القول في هذه الآية كالآتي:

أ. الإتيان باسم إشارة القريب ﴿هَٰذَا الْقُرْآنَ﴾ للتعريض لهم بأن القرآن غير بعيد عنهم، بل هو في متناول أيديهم، ولكنهم اختاروا إعراضه[١١٩].

ب. وتنكير جبل للتعظيم، واختير بمثال الجبل "لأنه أشد الأشياء صلابة، وقلة تأثر بما ينزل به"[١٢٠].

ج. وذكر لفظ الجبال كالمثال "لأشد الأشياء صلابة وقلة تأثر بما يقرعه. وإنزال القرآن مستعار للخطاب به. عبر عنه بالإنزال على طريقة التبعية تشبيهاً لشرف الشيء بعلوّ المكان، ولإبلاغه للغير بإنزال الشيء من علوّ"[١٢١].

د. وضرب الجملة: ﴿لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا﴾ بالتصدع مثال لشدة الانفعال والتأثر، فإن أقصى ما يمكن أن تصل إليه الأجسام الصلبة هو الانشقاق والتصدع، وهو أمر لا يحدث بسهولة.[١٢٢]

هـ. التعبير بأسلوب الترجي في قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ لا يصح إسناده الله تعالى. فيكون المعنى: يضرب الله تعالى الأمثال لعباده ليكون حالهم كحال من

---

[١١٩] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢٨، ص١١٦.

[١٢٠] سيد طنطاوي، **التفسير الوسيط**، ج١٤، ص٣١٠.

[١٢١] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢٨، ص١١٦.

[١٢٢] المصدر نفسه.

يرجى له التفكر، فالرجاء ليس من الله تعالى الذي يعلم كل شيء، ولا يغيب عن علمه شيء في الأرض ولا في السماء[١٢٣].

إن هذه الآية تهدف إلى إدراك علوّ شأن القرآن الكريم وقوة تأثير ما فيه من المواعظ والزواجر، وإبراز قسوة قلوب الكفار، وتوبيخهم على عدم تأثرهم بالقرآن، وتذكيرهم بأن حتى الجبال لو سمعت القرآن لخشعت[١٢٤].

٢. النموذج الثاني: في قوله تعالى: ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا**﴾ [النساء: ٨٢]

المعنى الإجمالي: تدعو هذه الآية الكريمة المؤمنين إلى التدبر والتأمل في القرآن الكريم، وتذكرهم بأن القرآن معجز، خالٍ من أي تناقض أو اختلاف، مما يدل على أنه من عند الله تعالى.

ومن أوجه التصريف في هذه الآية ما يأتي:

أ. غرض الاستفهام هنا ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ﴾: إنكاري التوبيخي؛ أي إنكار عدم تدبرهم، التعجيب من استمرارهم في جهلهم ونفاقهم مع توفر الأسباب التي توصلهم إلى الهداية[١٢٥].

ب. جاء التعبير بصيغة المضارع ﴿يَتَدَبَّرُونَ﴾: ليفيد التجدد والحدوث في التأمل الدائم في كتاب الله العزيز.

ج. واستخدمت في هذه الآية لفظ التدبّر دون التفكّر أو تذكّر "لأنهما أمر مستقبل يتوقع مجيئه، ولا يشعرون الكفار والمنافقون بالقرآن وجه، لأنه ينزل بعد شيء"[١٢٦].

د. وذكر ﴿يَتَدَبَّرُونَ﴾ في هذه الآية، دون لفظ ﴿يَدَبَّرُوا﴾ كما في سورة المؤمنون قوله: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾ [المؤمنون: ٦٨]، ذلك لأن المقام في هذه الآية يحتاج إلى طول التفكّر والتأمل، ومقام في الآية الأخرى يحتاج عمق التدبر

---

[١٢٣] نخبة العلماء بالشارقة، **موسوعة التفسير البلاغي**، ج٢٤، ص٨٠١.

[١٢٤] وهبة الزحيلي، **التفسير المنير**، ج٢٨، ص١٠٨.

[١٢٥] سيد طنطاوي، **التفسير الوسيط**، ج٣، ص٢٣٤.

[١٢٦] نخبة العلماء بالشارقة، **موسوعة التفسير البلاغي**، ج٧، ص٤٩٢.

ومبالغة فيه. عبرت هذه الآية عن النظر في القرآن، وتخريج ما يبدو مختلفًا ومتعارضًا، وذلك يحتاج إلى طول تدبّر وتأمل وقراءة شاملة بالقرآن الكريم، فجاء لذلك بلفظ ﴿يَتَدَبَّرُونَ﴾[١٢٧].

وسر عرض هذه الآية التي تحث على تدبر القرآن، أنها دلت على وجوب النظر والاستدلال، وعلى القول بفساد التقليد، لأنه تعالى أمر المنافقين بالاستدلال بهذا الدليل على صحة نبوته[١٢٨]. والحث على تدبر القرآن لفهم إعجازه من موافقته للعلوم، واشتماله على فوائد منها. مثل كمال حججه وبلاغته الرفيعة، وموافقة أحكامه للحكمة الإلهية، وأخباره الماضية لكتب الأولين، والمستقبلة للواقع[١٢٩].

٣. النموذج الثالث: قال تعالى: ﴿**لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾ [الأنبياء: ١٠].

المعنى الإجمالي: هذه الآية الكريمة تؤكد على أن الله أنزل القرآن هدى للناس، ودعوتهم إلى التفكر والتدبر في آياته، وتطبيق أحكامه في حياتهم اليومية.

ومن أوجه تصريف القول كالآتي:

أ. جاء لفظ الكتاب بالتنكير في قوله: ﴿أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا﴾ للتعظيم والتفخيم، أي: كتاباً عظيم الشأن نير البرهان[١٣٠].

ب. والتعبير ﴿فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ "صفة لكتابا مؤكدة لما أفاده التنكير التفخيمي من كونه جليل المقدار بأنه جميل الآثار مستجلب لهم منافع جليلة، أي فيه شرفكم وصيتكم"[١٣١].

---

[١٢٧] السامرائي، **بلاغة الكلمة في التعبير القرآني**، (عمان: دار عمار، ط٥، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م)، ص٤٩-٥٠.

[١٢٨] الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج١٠، ص١٥١.

[١٢٩] محمد جمال الدين بن محمد سعيد القاسمي، **محاسن التأويل**، تحقيق: محمد باسل عيون السود، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨هـ)، ج٢، ص٢٣٤.

[١٣٠] الألوسي، **روح المعاني**، ج٩، ص١٥.

[١٣١] أبو السعود، **إرشاد العقل السليم**، ج٦، ص٥٨.

ج. وتعقيب بالجملة: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: "إنكار توبيخي فيه بعث لهم على التدبر في أمر الكتاب والتأمل فيما في تضاعيفه من فنون المواعظ والزواجر التي من جملتها القوارع السابقة واللاحقة"[١٣٢].

وعرضت هذه الآية تنبيهًا إلهيًا لشرف القرآن وقدره، ولتكريم هذه الأمة التي حظيت بهذه الميزة العظيمة؛ حيث منحها كتابًا سماويًا يتضمن عقيدة سمحاء وتشريعًا كاملًا وأخلاقًا كريمة. ففي القرآن تكامل الدين وسعادة الدنيا والآخرة.

المطلب الخامس: تصريف القول في التفكر في آلاء الله ونعمه

بيّن هذا المطلب تصريف القول في آيات التفكر بآلاء الله ونعمه، واختارت الباحثة آيات من سورة النحل لأنها سميت بسورة النعم لكثرة ما عدّ الله تعالى من النعم في هذه السورة الكريمة، ومن النّعم التي ذُكرت فيها كالآتي:

١. النموذج الأول: قال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ* يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ* وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ* وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ**﴾ [النحل: ١٠-١٣]

المعنى الإجمالي: تشير الآيتين الأولتين إلى نزول المطر من السماء كمنحة من الله تعالى، والذي يمثل مصدر الحياة على الأرض. فمنه يشرب الإنسان والحيوان، ومنه تنبت الشجر، والزرع، والثمار المختلفة، وأخيرًا تتحدث عن تسخير الله الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم لخدمة الإنسان. تدعو هذه الآيات الإنسان إلى التفكر والتدبر في نعم الله تعالى الكثيرة، وإدراك عظمته وقدرته، وإن هذه بلا ريب نعم تستحق الشكر. فكل ما يحيط بالإنسان من نعم هو دليل على وجود خالق حكيم، يدبر الأمور بحكمة وعناية.

---

[١٣٢] المصدر نفسه.

ومن التصرفات البلاغية والبيانية في هذه الآيات ما يأتي:

أ. تنكير ﴿مَاءً﴾ للبعضية، أي "إن هذا الماء النازل هو بعض نعم الله، وليس الماء النازل من مياه كثيرة، تنزل فتفيض بها الأنهار، وتجري في الأقطار، فالتنكير للبعضية"[١٣٣].

ب. وترتيب ﴿الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ﴾: وخص الأربعة بالذكر لأنها أشرف ما ينبت، وأجمعه للمنافع. بدأ بذكر الزرع لأنه أساس الغذاء للإنسان والحيوان، ثم انتقل إلى ذكر الزيتون، شجرة مباركة ذات فوائد صحية عديدة، فالزيتون مصدر للدهون الصحية التي يحتاجها الجسم، وثماره غنية بالفيتامينات والمعادن. وبعد ذلك، ذكر النخيل، تلك الشجرة التي كانت رمزاً للرخاء في الجزيرة العربية، واختتم بذكر الأعناب، تلك الثمار الشبيهة بالنخيل في فوائدها الغذائية المتعددة، إلا أن النخيل أطول عمره من العنب[١٣٤].

ج. ﴿وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾، أتى بلفظ ﴿مِن﴾ التي للتبعيض، لأنّ كل الثمرات لا تكون إلا في الجنة، وإنما أنبت في الأرض بعض من كلها للتذكرة.

د. وجمع لفظ النخيل والأعناب إشارة إلى تنوع الأصناف من كليهما، فالتمر، مثلًا، يتواجد بأكثر من خمسين صنفًا مختلفًا، والعنب أيضًا يختلف في الحجم والشكل واللون والطعم وغيرها من الصفات[١٣٥].

هـ. قدّم الشمس على القمر والنجوم لأنها أشد ضوء من القمر، بل نور القمر هي أصله من الشمس.

و. تنكير آية وآيات للتعظيم دالة على بالألوهية لاشتماله على كمال العلم والقدرة والحكمة[١٣٦].

ز. وسر إفراد لفظ ﴿آيَةً﴾ أولا وآخرا، وجمعها في متوسطة، إن الآية الأولى جاء إفرادًا "لأن الإشارة إلى الماء أو إلى إنبات أنواع الثمرات المختلفات في الطعن

---

[١٣٣] أبو زهرة، **زهرة التفاسير**، ج١، ص١٥٩.

[١٣٤] خازن، **لباب التأويل في معاني التنزيل**، ج٣، ص٦٩، والألوسي، **روح المعاني**، ج٧، ص٣٥٠.

[١٣٥] الألوسي، **روح المعاني**، ج٧، ص٣٥٠.

[١٣٦] أبو السعود، **إرشاد العقل السليم**، ج٥، ص١٠١.

والألوان مع وحدة المادة من الماء وهو واحد"[١٣٧]، والآية الثانية ذكرت فيها خمسة أشياء المختلفة، وهي الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم، فتسخير الليل لإظلام الجو، والنهار لبدو الضياء، والشمس والقمر اللذان في كل واحد منهما آيات كثيرة، ثم النجوم للسيارة وغيرها، وكل واحد من هذه تتسع جهات النظر فيه والاعتبار بعجائبه، فكان ذكر الآيات هنا بلفظ الجمع أولى. وأما جاءت الآية الثالثة مفردًا لأن تشير إلى الجنس الواحد بوقوع فيها لفظ (ما) من قوله: ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ﴾، فضمير مفرد فيه رجع إلى لفظ (ما) الواقعة على جنس واحد مبثوث في الأرض يشتكل على أنواع مختلفة في الطعوم والألوان، فاقتضى ذلك إفراد آية[١٣٨].

ح. وذكر صاحب التحرير والتنوير سر تصرف في التعقيب الآية بالتفكر في قوله: ﴿لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾، وبالتعقل ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ والتذكر ﴿لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾: "ذلك لمراعاة اختلاف شدّة الحاجة إلى قوة التأمل بدلالة المخلوقات الناجمة عن الأرض يحتاج إلى التفكر، وهو إعمال النظر المؤدي إلى العلم. ودلالة ما ذرأه في الأرض من الحيوان محتاجة إلى مزيد تأمّل في التفكير للاستدلال على اختلاف أحوالها وتناسلها وفوائدها، فكانت بحاجة إلى التذكّر، وهو التفكّر مع تذكّر أجناسها واختلاف خصائصها. وأما دلالة تسخير الليل والنهار والعوالم العلوية فلأنها أدقّ وأحوج إلى التعمّق، عبر عن المستدلّين عليها بأنهم يعقلون، والتعقّل هو أعلى أحوال الاستدلال[١٣٩]. وقال صديق حسن خان: "وإنما خص المقام الأول بالتفكر لإمكان إيراد الشبهة، وخص الثاني بالعقل لذكره بعد إماطة الشبهة وإزاحة العلة، فمن لم يعترف بعدها بالوحدانية فلا عقل له، وخص الثالث بالتذكر لمزيد الدلالة فمن شك بعد ذلك فلا حس له، وفي هذا من التكلف ما لا يخفى"[١٤٠].

---

[١٣٧] الغرناطي، **ملاك التأويل**، ج٢، ص٢٩٤.

[١٣٨] الغرناطي، **ملاك التأويل**، ج٢، ص٢٩٤، وعبد الفتاح لاشين، **من أسرار التعبير القرآن صفاء الكلمة**، ص١٣٤.

[١٣٩] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١٤، ص١١٨.

[١٤٠] القنوجي، **فتح البيان في مقاصد القرآن**، ج٧، ص٢١٨.

وسبب تصريفها على ما ذكر، أنها الدالة على وجود الخالق والمدبر، المتفرد بالكمال، وعدم وجود شريك له، وأنه يعلم كل شيء عن خلقه، فسخر للناس السماوات والأرض ليكون دليلاً على قدرته وعلمه، وليدرك أن كل ما يملك هو من فضله ورحمته، فإن من ثمار التأمل والتفكر في آيات الله أن يخلص العبد إلى اليقين بأن الله هو المستحق للعبادة والطاعة.

٢. النموذج الثاني: قال تعالى: ﴿**وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ* وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ* وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ* ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [النحل: ٦٦-٦٩]

المعنى الإجمالي: تتحدث هذه الآيات عن آيات الله الكونية الدالة على قدرته وحكمته، وهي موجهة إلى العقل البشري ليتفكر ويتدبر في خلق الله خاصة من خلال الحيوانات، فالآية الأولى تبين أن الله يخرج من بطون الأنعام لتغذية الإنسان لبناً طيباً نقياً، ثم تشير الآية إلى نعمة أخرى وهي ثمار النخيل والأعناب التي يستخرج منها الإنسان السكر والأرزاق الطيبة، وبعد ذلك تتحدث عن النحل وكيف أوحى الله تعالى إليه أن يبني بيوته في الجبال والشجر والأماكن التي يبنيها الإنسان، بعد أن تبني النحل بيوتها، تتغذى على مختلف أنواع الأزهار وثمارها، ثم تنتج العسل الذي يختلف لونه ونوعه، والعسل هذا فيه شفاء للناس.

ومن أوجه التصريف القول في هذه الآيات كما يلي:

أ. تنكير ﴿لَعِبْرَةً﴾ أي: لعبرة عظيمة.

ب. والجملة ﴿مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ﴾ صفة لـ﴿لَّبَنًا﴾، وقدّمت عليه للاهتمام لأن خروج اللبن من بينهما هو موضع العبرة، وقد صارت بالتقديم حالاً[١٤١].

[١٤١] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١٤، ص٢٠١.

ج. وتقديم الفرث على الدم: "قال ابن جبير: الفرث في أوسط المصارين، والدم في أعلاها، واللبن بينهما، والكبد يقسم الفرث إلى الكرش، والدم إلى العروق، واللبن إلى الضروع. والمراد من الآية هو أنّ اللبن إنما يتولد من بعض أجزاء الدم، والدم إنما يتولد من الأجزاء اللطيفة التي في الفرث، وهي الأشياء المأكولة الحاصلة في الكرش. فاللبن متولد مما كان حاصلاً فيما بين الفرث أولاً، ثم مما كان حاصلاً فيما بين الدم ثانياً"[١٤٢].

د. تنكير ﴿لَّبَنًا﴾ للتنبيه على أنه موضع العبرة[١٤٣].

هـ. وردت كلمة ﴿بُطُونِهِ﴾ في هذه الآية، وتصرفها بـ﴿بُطُونِهَا﴾ في سورة المؤمنون، قال تعالى: ﴿**وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ**﴾ [المؤمنون: ٢١]، وكلاهما تتحدث عن موضوع واحد، وهو الاعتبار بنعمة الله على الناس من خلال الأنعام، فالهاء في ﴿بُطُونِهِ﴾ ضمير للمذكر، ويراد به القلة، والهاء في سورة المؤمنون ضمير للمؤنث، ويراد به الكثرة. ذكر جمع القلة في هذه الآية لأن اللبن لا يخرج من جميع الأنعام، وهي فقط في قسم قليل من الأنعام، أما وردت بجمع الكثرة فيها لأن الكلام على منافع الأنعام الكثيرة، ومن هذه المنافع هي اللبن، فهذه المنافع وجدت في كل الأنعام، ذكورها وإناثها، فلذلك عبر بالضمير المؤنث[١٤٤].

و. وقال البقاعي في تقديم السكر على والرزق في قوله تعالى: ﴿سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾، "ذكر السكر أولاً دال على الفتح ثانياً، وذكر الحسن دال على القبيح أولاً"[١٤٥].

---

[١٤٢] أبو حيان، **البحر المحيط**، ج٦، ص٥٥٦.

[١٤٣] الألوسي، **روح المعاني**، ج٧، ص٤١٧.

[١٤٤] الخالدي، **اعجاز القرآن البياني**، ص٣٠٤-٣٠٤.

[١٤٥] البقاعي، **نظم الدرر**، ج١١، ص١٩٦.

ز. ووصف الآية ﴿لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ بالتعقل لأن "دلالة تكوين ألبان الأنعام على حكمة الله تعالى يحتاج إلى تدبّر فيما وصفته الآية هنا، وليس هو ببديهي كدلالة المطر كما تقدم"[١٤٦].

ح. ثم استخدم حرف ﴿ثُمَّ﴾ للدلالة على الترتيب الرتبي، حيث أن إلهام النحل للأكل من الثمرات يأتي متقدمًا في الرتبة، لأن هذا الإلهام يؤدي إلى تكوُّن العسل في بطونها، وهو أمر ذو مرتبة أعلى من مجرد اتخاذ النحل للبيوت. وذلك لأن العسل يُميز النحل عن غيره من الحشرات التي تبني البيوت، ولأن العسل يُعدُّ أعظم فائدة للإنسان، بالإضافة إلى أنه يمثل قوت النحل الأساسي الذي يضمن بقاءها[١٤٧].

ط. وترتيب بناء بيوت النحل في الجبال والشجر والبيوت الناس كما في قوله ﴿مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾: لأن أكثر بيوتها ما كان في الجبال، وهو المتقدم في الآية، ثم في الشجر، ثم في الثالث أقل.

ي. وجاء ﴿يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا﴾ مضارعًا للدّلالة على تجدّد الخروج وتكرّره.

ك. وتنكير ﴿شِفَاءٌ﴾ لتعظيم الشفاء الذي فيه، ولا يقتضي العموم فلا يقتضي أنه شفاء من كل داء[١٤٨]، أما التعريف ﴿لِّلنَّاسِ﴾ لا يراد العموم، "لأن كثيراً من الأمراض لا يدخل في دوائها العسل، وإنما المعنى للناس الذي ينجع العسل في أمراضهم"[١٤٩].

ل. وتعقيب الآية بـ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾، ووصف بالتفكر هنا لأن الاعتبار بتفصيل في نظام النحل يتطلب جهدًا فكريًا عميقًا، ونظرًا وقيقًا[١٥٠].

ومن سر التصريف هذه الآيات الكريمة أنه لما بين الله تعالى إخراج اللبن من الأنعام، والسكر والرزق الحسن من ثمرات النخيل والأعناب، والعسل من النحل،

---

[١٤٦] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١٤، ص٢٠٤.

[١٤٧] المصدر نفسه، ج١٤، ص٢٠٧.

[١٤٨] [١٤٨] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١٤، ص٢٠٩.

[١٤٩] أبو حيان، **البحر المحيط**، ج٦، ص٥٦١.

[١٥٠] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١٤، ص٢١٠.

دلائل باهرة على الألوهية والقدرة والاختيار. وكما أن هذه النعم تدعونا إلى اكتشاف المزيد من أسرار الكون، والشكر على هذه المخلوقات التي تعود علينا بالنفع، والتقرب إلى الله تعالى.

المطلب السادس: تصريف القول في التفكر في الأمم السابقة

ناقش هذا المطلب التصرفات في الآيات التي تتحدث عن قصص الأنبياء والأمم السابقة، وذلك على النحو الآتي:

١. النموذج الأول: قال تعالى: ﴿**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ* وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ۚ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۚ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ* سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ**﴾ [الأعراف: ١٧٥-١٧٧]

المعنى الإجمالي: هذه الآيات تحدثت عن ضرورة التمسك بالحق والابتعاد من كل ما يبعدنا عنه، وتحذير من خطورة الانسلاخ عن الإيمان واتباع الهوى والشهوات. وذكرت قدرة الله تعالى على رفع منزلة عباده وتكريمهم، ولكن المكذبين فضل متاع الدنيا واتباع هواهم، فمثّل الله حالهم في شدة الحرص على الدنيا كمثل الكلب الذي مهما حاولت تدريبه وتأديبه فإنه يعود إلى طبيعته، ولا يفهم ولا يستفيد من التوجيهات، وأكد على أن كفرهم لن يضر الله بشيء، بل هم الذين يخسرون أنفسهم.

ومن التصرفات القرآنية في هاتين الآيتين على الشكل الآتي:

أ. وجاء التعبير بفعل التلاوة في قوله: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ﴾ لأنهم كانوا من الناس الذين يغلب عليهم الأمية فأراد الله أن يبلّغ إليهم من التعليم ما يُساوون به حال أهل الكتاب في التلاوة، فالضمير المجرور بـ(على) عائد إلى معلوم من السياق وهم المشركون[١٥١].

[١٥١] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٩، ص١٧٤.

ب. ومن الأسباب التي تم تقديم أفعال الانسلاخ على الاتباع والكون من الغاوين باستخدام حرف العطف "ف" وفقًا لترتيبها في التتابع الزمني، فعندما يعارض الشخص ويبتعد عن اتباع هدى الله، تنشأ في نفسه ظلمة شيطانية تمنح الشيطان القدرة على السيطرة عليه واستمرار إضلاله.

ج. ومن سبب قدّمت أفعال الانسلاخ على الاتباع والكون من الغاوين باستخدام حرف العطف "ف" وفقًا ترتيبها في الحصول، فعندما عارض الشخص ولم يتبع ما هداه الله إليه، نشأت في نفسه ظلمة شيطانية مكنت الشيطان من السيطرة عليه واستمرار إضلاله. فالانسلاخ هو نتيجة لوسوسة الشيطان، وإذا أطاع الشخص هذه الوسوسة، تمكن الشيطان من قيادته واستمر في إضلاله. وهذا ما يُعبر عنه بعبارة ﴿أَتْبَعَهُ﴾، مما يجعله في زمرة الغواة الذين أصبحوا متمكنين من الغواية[١٥٢].

هـ. تقديم الحمل على الترك: ﴿إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾، "لأن سائر الحيوان لا يكون منه اللهث إلا إذا حرك، وهيج وطرد، فإن لهث ظن أن لهثه لما حاول من ذلك التعب، فقدمت الحال المعهودة"[١٥٣].

و. والتعبير باسم الإشارة ﴿ذّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ﴾ الدال على البعد، ودلالة على غرابة المشار إليه[١٥٤].

ز. وعقب الآية ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ بمنزلة التعليل لما سبق، كشفًا عن المنهاج القرآني في الخطاب الداعي إلى التفكر، كما أن فيه كشفا أن للأمثال في استحضار النظائر شأنًا عظيمًا في اهتداء النفوس بها، وتقريب الأحوال الخفية، لما في التنظير بالقصة المخصوصة من تذكر مشاهدة الحالة بالحواس، بخلاف التذكير المجرد[١٥٥].

---

[١٥٢] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٩، ص١٧٦.

[١٥٣] نخبة العلماء بالشارقة، **موسوعة التفسير البلاغي**، ج١٥، ص١٦٧.

[١٥٤] سيد طنطاوي، **التفسير الوسيط**، ج٥، ص٤٣٨.

[١٥٥] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٩، ص١٧٩.

ح. وقدّم المفعول في قوله: ﴿وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ للاختصاص، أي: "ما ظلموا إلا أنفسهم، وشأن العاقل ألا يؤذي نفسه، وفيه إزالة تبجحهم بأنهم لم يتبعوا محمداً ﷺ ظناً منهم أن ذلك يغيظه ويغيظ المسلمين، وإنما يضُرون أنفسهم"[١٥٦]

والسر في عرض هذه الآيات كما قال صاحب المنار: "هذا مثل ضربه الله تعالى للمكذبين بآيات الله المنزلة على رسوله محمد ﷺ وهو مثل من آتاه الله آياته فكان عالمًا بها حافظًا لقواعدها وأحكامها قادرًا على بيانها والجدل بها، ولكنه لم يؤت العمل مع العلم، بل كان عمله مخالفًا تمام المخالفة لعلمه فسلب هذه الآيات، لأن العلم الذي لا يعمل به لا يلبث أن يزول فأشبه الحية التي تنسلخ من جلدها وتخرج منه وتتركه على الأرض"[١٥٧].

٢. النموذج الثاني: قال تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ* حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ**﴾ [يوسف: ١٠٩-١١٠].

المعنى الإجمالي: تؤكد هذه الآية الكريمة على أن الله تعالى لم يرسل قبل النبي محمد ﷺ إلا رسلاً بشرًا من بني آدم، اختارهم من مختلف القبائل والأمم ليدعوا الناس إلى عبادة الله وحده، وتدعو إلى السير في الأرض والنظر مصير المكذبين وعواقب أفعالهم، وتشجع على سعي الحياة في الآخرة.

ومن التصرفات في هذه الآية ما يأتي:

أ. اختيار لفظ الإرسال في قوله ﴿أَرْسَلْنَا﴾ دون البعث، "وذلك للتنبيه على غاية الإرسال، وهي هداية الخلق بالوحي، أما البعث فيغلب عليه معنى الإثارة والانتشار، كما قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا**﴾ [النحل: ٣٦]،

---

[١٥٦] المصدر نفسه، ج٩، ص١٨٠.

[١٥٧] رشيد رضا، **تفسير المنار**، ج٩، ص٣٤٠.

أي: بعثوا في كل الأمم، وهذا يدل على الانتشار، كما أن في الإرسال سلاسة وانتظاماً، وهو الملحوظ في الآية، فإن سنة الله قضت أن يكون الإرسال للبشر"[١٥٨].

ب. وتنكير ﴿رِجَالًا﴾ يفيد التعظيم والتفخيم لشأن الرسل.

ج. واستخدام لفظ الرجال دون الرسل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا﴾، وردت فيه كالردّ على من طلب إرسال الملائكة، لأنهم كانوا يقولون: ﴿لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً﴾، "والرجال: اسم جنس جامد؛ أطلق هنا مرادا به أناس ذكور؛ واختير الرجال دون غيره لمطابقة الواقع؛ فإن الله لم يرسل رسلا من النساء لحكمة قبول قيادتهم في نفوس الأقوام؛ إذ المرأة مستضعفة عند الرجال دون العكس"[١٥٩].

د. وجمع ﴿أَهْلِ الْقُرَىٰ﴾ مناسبًا بجمع الرجال المرسلين، وتعريف القرى يفيد للكثرة، وشمول القرى التي أرسل إليها قبل رسالة محمد[١٦٠].

هـ. وجاء الاستفهام ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا﴾ إنكاريًا يفيد التوبيخ والتقريع، لأن هؤلاء المشركون المنكرون ساروا في الأرض، فرأوا عاقبة المكذبين مثل عاد وثمود، ولكنهم لم يعتبروا ولم ينزجروا عن ضلالهم، فاستحقوا هذا التوبيخ والتقريع[١٦١].

و. وعقب الآية بالذكر ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ وغرض الاستفهام للتوبيخ، وذكر التعقل دون مرادفاته؛ لأن ذكر فيه سيرهم ونظرهم، فكأنما دعاهم إلى إعمال العقل بعد الفكر؛ إذ الفكر هو البذرة التي تزرع في العقل، والتعقل هو الثمرة الناضجة التي تثمر عنها. فذكر الغاية، وهي التعقل جمعا بينهما، وللتوضيح أن التفكير وحده لا يكفي، وأن حول الأفكار إلى أفعال راسخة، ويحافظ على ثبات الإيمان[١٦٢].

---

[١٥٨] نخبة العلماء بالشارقة، **موسوعة التفسير البلاغي**، ج٢٣، ص٥٣١.

[١٥٩] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١٣، ص٦٧.

[١٦٠] نخبة العلماء بالشارقة، **موسوعة التفسير البلاغي**، ج٢٣، ص٥٣٧.

[١٦١] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١٣، ص٦٨.

[١٦٢] نخبة العلماء بالشارقة، **موسوعة التفسير البلاغي**، ج٢٣، ص٥٤٦.

ز. وجاء كلمة ﴿حَتَّىٰٓ﴾ متعلقة بمحذوف دلَّ عليه الكلام كأنه قيل وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم فتراخى نصرهم حتى إذا استيأس الرسل عن النصر[١٦٣].

ح. وعرّف ﴿الرُّسُلُ﴾ بالألف واللام يفيد الاستغراق لجميع الرسل الذين أرسلهم الله تعالى[١٦٤].

وسر عرض هذه الآية للردّ على منكري النّبوة لمحمد ﷺ وطلب أن أرسل الله ملكًا، وتدل الآية على أن الله لم يبعث نبيًا من السماء ولا من الجن، وكذلك ليس من المرأة، وأمر أن ينظر إلى عاقبة الذين يكذبون من قبلهم، وتوبيخ شديد لأهل الكفار على عدم اعتبارهم بسوء مصير من كان على شاكلتهم في الشرك والجحود، فإن النتيجة من الاعتبار بهم هي عدم الشرك بالله وطاعة وحده، واجتهد في سعي الجنة.

٣. النموذج الثالث: قال تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾ [يوسف: ١١١].

المعنى الإجمالي: تشير هذه الآية إلى أهمية قصة يوسف عليه السلام، وعبرتها العظيمة لمن يتدبرون الأمور ويستخلصون الدروس، وإنها ليست مجرد قصة تاريخية، بل هي حاملة لرسائل وعبر عظيمة تستهدف أصحاب العقول بل هي تأكيد لما جاء في الرسالات السماوية السابقة وتفصيل لقصص الأنبياء وتوجيه ورحمة للمؤمنين.

ومن التصريف في هذه الآية ما يأتي:

أ. تنكير ﴿عِبْرَةٌ﴾ للتعظيم والتفخيم.

ب. ذكر ﴿لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ دون أولى النهى وأصحاب العقول ومرادفاتها، ذلك لأن منظومة التفكير تراوح بين القلب والعقل، فالعقل يفكر فيما يراه القلب، والقلب يؤمن بما يفهمه العقل، فيأخذ مما علم العبرة والعظة. إلا أن القادرين

---

[١٦٣] محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، (القاهرة: دار الريان للتراث، ط٢، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)، ج٢، ص٥١٠.

[١٦٤] المصدر نفسه، ج٢٣، ص٥٥٣.

على ذلك قلة؛ فهم الذين يجمعون بين العلم والعمل، والإحسان والصبر، ولذلك فقد اختص أولي الألباب دون غيرهم، فلم يقل: لأولي النهى، أو للمؤمنين، أو للمتقين[١٦٥].

ج. وتنكير ﴿حَدِيثًا﴾ يفيد تعظيم القرآن وتفخيم شأنه.

د. وتقديم الهدى على الرحمة في قوله: ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾ يفيد السبب على المسبب، فالقرآن الكريم جاء بالهداية كافة الناس؛ قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨]، ولا تكون الهداية إلا باتباع الرسول فيما أُنزِلَ عليه من الإيمان والتشريع، فمن آمن فقد اهتدى، ومن اهتدى فقد أصابته رحمة الله تعالى في يوم القيامة، فتكون الرحمة نتيجة للهداية الربانية في الإيمان والاتباع، فالهدى هو السبب والرحمة مسبب[١٦٦].

هـ. وتعقيب بذكر الإيمان في قوله: ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ لأن ذكر ما سبق من حديث الإيمان، وتصديق ما جاء في الكتب السماوية، من الإيمان بالله والرسل والرسالات، فختمت الآية بالتعقيب بذكر الإيمان والمؤمنون.

وسر تصرف الآية بهذه الأدلة أن "المراد من التأمل والتفكر ووجه الاعتبار بهذه القصة أن الذي قدر على إخراج يوسف من الجب بعد إلقائه فيه وإخراجه من السجن وتمليكه مصر بعد العبودية وجمع شمله بأبيه وإخوته بعد المدة الطويلة واليأس من الاجتماع، لقادر على إعزاز محمد ﷺ وإعلاء كلمته وإظهار دينه وأن الإخبار بهذه القصة العجيبة جار مجرى الإخبار عن الغيوب فكانت معجزة نبينا محمد ﷺ"[١٦٧].

نكتفي بهذا القدر من بيان الدلالات التصريفية لآيات التفكر في القرآن، وقد اتضح لنا منه، أن الكلمة الواحدة وآية الواحدة تتصرف في القرآن الكريم، تبعًا للسياق الذي وردت فيه، وأسباب نزولها، وما يسبقها وما يليها من آيات. وهذه التصرفات تتشكل بما يتوافق مع المقاصد والدلالات التي يعبر عنها ذلك اللفظ.

---

[١٦٥] نخبة العلماء بالشارقة، **موسوعة التفسير البلاغي**، ج٢٣، ص٥٦٧.

[١٦٦] المصدر نفسه، ج٢٣، ص٥٧٢.

[١٦٧] الخازن، **لباب التأويل**، ج٢، ص٥٦٢.

وإن هذا التصريف مما يجعل القرآن الكريم معجزًا في ألفاظه ومعانيه، وهو ميزه بميزةٍ فريدة جعلته يختلف عن غيره من النصوص. هذا التنوع ينفي عنه صفة التكرار، ويمنحه صفة التصريف، الذي يُعد أحد أوجه الإعجاز القرآني وأحد أسرار بلاغته المتميزة.

المبحث الثاني: أثر التصريف في تربية النفس

في هذا المبحث، تسعى الباحثة إلى توضيح تأثير تصريف القول في تربية النفس من خلال آيات التفكر. وقد بدأت الباحثة بتعريف مفهوم التربية والنفس من الناحيتين اللغوية والاصطلاحية، ثم قدمت دراسة للآثار التربوية الناتجة عن التصريف في آيات التفكر وكيفية تأثيرها على الناس.

المطلب الأول: مفهوم التربية لغة واصطلاحًا

يناقش هذا المطلب مفهوم التربية من الناحية اللغوية ومن الناحية الاصطلاحية، ويقدم الفروق في التعريفات بينهما.

تعريف تربية لغةً:

إذا رجعنا إلى معاجم اللغة العربية وجدنا لكلمة التربية أصولاً لغوية ثلاثة[١٦٨]:

١. الزيادة والنمو: أصله رَبا يربو، بمعنى: زادَ ونما، كما في قوله تعالى: ﴿**وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ**﴾ [الروم: ٣٩].

٢. النشأة والترعرع: أصله رَبَى يَرْبِي على وزن خفى يخفي، بمعنى: نشأ وترعرع، كما في قوله تعالى: ﴿**وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا**﴾ [الإسراء: ٢٤].

٣. الإصلاح والرعاية: أصله رَبَّ يَرُبُّ بوزن مدّ يمدّ، بمعنى: وتولى أمره، وساسه وقام عليه ورعاه، كما في قوله تعالى: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [الفاتحة: ٢].

---

[١٦٨] ابن منظور، **لسان العرب**، ج١٤ ص٣٠٤، ٣٩٩، وج١، ٣٩٩-٤٠٤، والفيروزآبادى، **القاموس المحيط**، ص١٢٨٦، عبد الرحمن النحلاوي، **أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع**، (بيروت: دار الفكر، ط٢٥، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م)، ص١٦.

وخلاصة ذلك أن مفهوم التربية اللغوي هو: الزيادة والنمو، والنشأة والترعرع، والإصلاح والرعاية.

تعريف التربية اصطلاحًا:

فقد ورد في تعريف التربية تعاريف متعددة منها[١٦٩]:

يقول جون ميلتون المربي والشاعر الإنجليزي: "إن التربية هي التي تجعل الانسان صالحًا لأداء أي عمل عامًا كام أو خاصًا بدقة وأمانة ومهارة في السلم والحرب".

وقال كنت الفيلسوف الألماني: "إن التربية تصل بالإنسان إلى الكمال الممكن".

وأشار الإمام الغزالي في أن صناعة التعليم هي أشرف الصناعات التي يستطيع الإنسان أن يحترفها وإن الغرض من التربية هي الفضيلة والتقرب إلى الله.

وورد ابن سينا في تعريفه للتربية أنها "وسيلة إعداد الناشئ للدين والدنيا في آن واحد وتكوينه عقليًا وخلقيًا وجعله قادرًا على اكتساب صناعة تناسب ميوله وطبيعته وتمكنه من كسب عيشه".

من الممكن أن نستخلص من التعريفات التي ذكرناها سابقاً، بأن التربية هي تنشئة الإنسان وإصلاحه شيئاً فشيئاً بالتدرج من خلال تطوير شخصية متكاملة ومتوازنة تشمل جميع جوانبها، سواء الروحية أو العقلية أو الوجدانية أو الأخلاقية أو الاجتماعية أو الجسمية.

المطلب الثاني: مفهوم النفس لغة واصطلاحًا

يناقش هذا المطلب مفهوم النفس من الناحية اللغوية والاصطلاحية، ويقدم الفروق في التعريفات بينهما.

تعريف النفس لغةً:

---

[١٦٩] عبد الحميد الصيد الزنتاني، **أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية**، (لبيا: دار العربية الكتاب، ط٢، ١٩٩٣م)، ص٢٣-٢٤.

فالنفس لغة لها العديد من المعاني في معاجم اللغة[١٧٠]، ومنها:

١. الروح، يقال: قال أَبو إسحاق: النفس في كلام العرب يجري على ضربين: أحدهما قولك خرجت نفس فلان أي روحه، وفي نفس فلان أن افعل كذا وكذا أي في روعه، والضرب الآخر معنى النفس فيه معنى جملة الشيء وحقيقته، تقول: قتل فلان نفسه وأهلك نفسه أي أوقع الإهلاك بذاته كلها وحقيقته.
٢. الدم، وإنما سمي الدم نفسًا لأن النفس تخرج بخروجه، يقال: سالت نفسه، وفي باب الحديث شرح عن إزالة النجاسة وحكم ما لا نفس له سائلة، والمراد بالنفس السائلة هو الدم السائل[١٧١].
٣. العند، ومنه قوله تعالى ﴿**تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ**﴾ [المائدة: ١١٦]، ومعناه: تعلم ما عندي ولا أعلم ما عندك.
٤. الجسد، ويقولون: ثلاثة أنفس فيذكرونه لأنهم يريدون به الإنسان.

باختصار، نجد أن أغلب كتب المعاجم تستخدم كلمة النفس بمعنى الروح.

تعريف النفس اصطلاحًا:

والنفس في الاصطلاح كما أوردها الجرجاني: "هي الجوهر البخاريُّ اللطيف، الحامل لقوة الحياة والحس والحركة الإرادية"[١٧٢].

وجاء عند الألوسي أن النفس هي: "الجوهر المتعلق بالبدن تعلق التدبير، والتصريف أو الجسم النوراني الخفيف الحي المتحرك النافذ في الأعضاء، الساري فيها، سريان ماء الورد في الورد"[١٧٣].

---

[١٧٠] ابن منظور، **لسان العرب**، ج٦، ص٢٣٣-٢٣٤، ومحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، **مختار الصحاح**، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، (بيروت: المكتبة العصرية، ط٥، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م)، ص٣١٦، والفيروزآبادى، **القاموس المحيط**، ص٥٧٧.

[١٧١] برهان الدين ابن مفلح الحفيد، **المبدع في شرح المقنع**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م)، ج١، ص٢١٩..

[١٧٢] الجرجاني، **التعريفات**، ص٢٤٢.

[١٧٣] الألوسي، **روح المعاني**، ج٩، ص٤٤.

وعند ابن سينا: "أنها جوهر قائم بنفسه لكنها متعلقة بالجسم تعلق التدبير والتصريف، وحينئذ فلو وجدت ولا تعلق لها بالجسم لم تكن نفسا بل كانت عقلا فعلم أن وجود النفس مستلزم لوجود الجسم"[١٧٤].

ويرى الغزالي أن النفس يطلق معناه إلى معنيين، أحدهما: "أن يطلق ويراد به المعنى الجامع للصفات المذمومة وهي القوى الحيوانية والمضادة للقوى العقلية، والثاني: أن يطلق ويراد به الآدمي وذاته فإن نفس كل شيء حقيقته، وهو جوهر الذي هو محل المعقولات، وهو من عالم الملكوت. وهي موصوف بأوصاف مختلفة حسب ذكرها في القرآن، فمرة هي أمارة بالسوء، ومرة أخرى هي لوامة، وتارة هي مطمئنة"[١٧٥].

والخلاصة أن النفس هي شيء مختلف عن الروح والعقل، وهي تمثل الذات الإنسانية أو الجانب المعنوي للإنسان. إن النفس تتكون نتيجة التقاء الروح بالجسد، وهي التي تمنح الإنسان إحساسًا بوجوده وتجعله يشعر بذاته من خلال مشاعره وإدراكاته. بعبارة أخرى، النفس هي ما يشكل هوية الإنسان ويعبر عن شخصيته وذاته.

المطلب الثالث: أثر تصريف القول في آيات التفكر في تربية النفس

يعدّ تصريف القول في آيات التفكر في القرآن الكريم من أعمق الآيات التي أثرت بشكل كبير في الفكر الإنسان، حيث تتجلى فيها قدرة الله البلاغية الفائقة في صياغة الكلمات والجمل بطريقة فنية متميزة، مما يجعلها مصباحًا يُنير طريق العقل البشري نحو المعرفة والحكمة. فهي تدعو إلى التأمل والتفكر في آيات الله ومخلوقاته، مما يسهم في توسيع مدارك الإنسان وفتح آفاق جديدة أمامه. إن اختيار الكلمات في هذه الآيات ليس عشوائيًا، بل هو فن دقيق يتطلب إبداعًا وعمقًا في المعنى، يهدف إلى إثارة العقل وتعميق الإيمان في قلوب الناس. وتعمل هذه الآيات على تعزيز التفكير النقدي، مما يشجع الأفراد على البحث والاستقصاء، ويحفزهم على التفكير في معاني الحياة والوجود.

---

[١٧٤] أحمد بن إبراهيم بن حمد بن عبد الله بن عيسى، **توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم**، تحقيق: زهير الشاويش، (بيروت: المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤٠٦هـ)، ج١، ص٧٥.

[١٧٥] الغزالي، **معارج القدس في مدارج معرفة النفس**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م)، ص٣٩.

وبناءً على نتائج التحليلات التي أجرتها الباحثة في دراستها للنماذج السابقة في المبحث الأول من هذا الفصل والتي تبلورت حول بيان جوانب التصريف المستخرجة من الآيات توصلت الباحثة إلى مجموعة من الدروس والعبر القيمة التي أثرت بشكل كبير على رؤيتها الشاملة للحياة. شملت هذه الدروس مجالات متنوعة، منها: العقيدة، والدعوة، واللغة، والشريعة، والأخلاق، وغيرها. ففي هذه المبحث تستعرض الباحثة الآثار التربوية لهذه المعارف، وكيف يمكن لهذه المعارف أن تساهم في صقل شخصية الآخرين.

ومن الأثر التربوي الذي يتركه تصريف القول في النفوس على النحو التالي:

أولًا: التفكير السليم والنظر الصحيح

فإن التصريف في آيات التفكر يربي الناس أن يفكر بمنهج الصحيح وتغيير وجهة النظر لديه. ولقد منحنا الله السمع والبصر والفؤاد لنتمكن من التأمل والتفكر بدقة، ولنلاحظ ما حولنا ونحلله بعقولنا وقلوبنا. يهدف ذلك إلى تربيتنا تربية علمية قائمة على الملاحظة، والمناقشة، والاستنتاج، والتفكير. من خلال هذه العملية، يمكننا جمع أكبر قدر من المعرفة والابتكارات، وبالتالي تحقيق الريادة والزعامة على الإنسانية كما فعل أسلافنا[١٧٦].

ومن طريق في التفكير الصحيح هو على الشكل التالي:

١. **عدم التقليد دون نظر وفكر**[١٧٧]؛ أن مبدأ التقليد في الافكار والاعمال دون فكر وروية وانتقاء واقتناع عقلي هو أمر مرفوض في التربية العقلية الاسلامية. اذ أن التقليد دون تدبر أو تفكر ليس طريقا للعلم ولا موصولًا له، وقد شبه الله المقلدين الكافرين بالأنعام فهم لا يعقلون. كما في قوله تعالى: ﴿**وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً ۚ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ**﴾ [البقرة: ١٧١]، فالإسلام يرفض قبول العلم دون تفكر أو إعمال عقل، وينتقد الذين يقتصرون على تقليد آبائهم أو معلميهم أو قادتهم دون أن يتفكروا فيما ينقلونه عن هؤلاء الكبار من أقوال أو أفعال أو معتقدات. لذلك، تتطلب آيات

---

[١٧٦] النحلاوي، **أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع**، ص٣٥.

[١٧٧] أمينة أحمد حسن، **نظرية التربية في القرآن وتطبيقها في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام**، (القاهرة: دار المعارف، ط١، ١٩٨٥م)، ص٢٨٨.

التفكر الفرد إلى النظر والتفكير العميق، وتحفز على استخدام الحواس في الملاحظة والقلب في الاستبصار والتدبر. يُشجع الأفراد على تحليل آيات القرآنية وتطبيقها بما يتوافق مع مقتضيات العقل والحكمة، مما يسهم في تعزيز الفهم الصحيح للإسلام وتطبيقه بطرق تتناسب مع واقع الحياة.

٢. **عدم الاعتماد على الظن أو اتباع حكم الهوى**[١٧٨]؛ تشير آيات التفكر إلى أن الاقتصار على الظن والحس والتخمين لا يحقق الوصول إلى الحقيقة، ولا يساهم في اكتساب العلم. فالظن والتخمين قد أصاب مرة فإنه يخطئ عشرات المرات. بالمقابل، فإن استخدام العقل في البحث والتفحص، والاعتماد على الأدلة المنطقية والمادية والبراهين العقلية، يساهم في الوصول إلى الحقيقة بطرق أكثر دقة وموثوقية. قال تعالى: ﴿**وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ**﴾ [يونس: ٣٦]، وقد بيّنت آيات التفكر كيف تصل العقل عن طريق الدليل والبرهان والمحسوس إلى الحقيقة واليقين المجردة في الحديث قصة هداية إبراهيم عليه السلام إلى الله، حيث كان يبحث عن الحقيقة والحق في عبادة الله. في البداية، كان إبراهيم عليه السلام يعيش في بيئة تعبد الأصنام، ولكنه كان على يقين من أن هذه الأصنام لا تملك قوة أو قدرة حقيقية. ذات يوم، بينما كان إبراهيم عليه السلام يتفكر في خلق السماوات والأرض، لاحظ كيف تتغير السماوات والأجرام السماوية مثل النجوم والقمر والشمس، وبدأ في التساؤل عن مصدر هذه الظواهر. في البداية، اعتقد أن النجوم قد تكون إلهًا لأنها تظهر في الليل، ولكن عندما غابت، أدرك أن النجوم لا يمكن أن تكون إلهًا. ثم رأى القمر، واعتقد لفترة أنه قد يكون إلهًا أيضًا، ولكن عندما غاب القمر، فهم أن القمر أيضًا لا يمكن أن يكون إلهًا.

وأخيرًا، رأى الشمس، واعتقد أنها ربما تكون إلهًا لأنها أكثر سطوعًا من غيرها، لكن عندما غابت الشمس، توصل إلى أن الشمس أيضًا ليست إلهًا. بناءً على هذه التجارب، استنتج إبراهيم عليه السلام أن جميع هذه الأجرام السماوية

[١٧٨] المصدر نفسه، ص٢٨٦.

ليست إلهًا، وأن هناك إلهًا واحدًا خالقًا لجميع هذه الظواهر. هذا الإله هو الله، الذي لا يشبهه شيء، ولا يجوز إشراك أحد من مخلوقاته معه عز وجل. كذلك ضرب الله للذين كفروا واتبعوا هواهم كالكلب إن زجرته لم ينزجر، وإن تركته لم يهتد، فالحالتان عنده سواء. فإن من خلال هذه القصة، تربي إلى ألا نتبع أي العلم بالظن بدون محاولة في معرفة حقيقته.

٣. **التفكر في خلق الله ولا في الله؛** إن أهم الغاية من ذكر الله في القرآن عن الآفاق والكون وخلقه هي توجيه الإنسان للتفكر في مخلوقات الله بدلاً من التفكر في ذاته. قال رسول الله ﷺ وسلم: «تفكروا في آلاء الله، ولا تتفكروا في الله»[١٧٩]. فالقرآن يركز على دعوة الإنسان للتأمل في الكون من حوله، فإن الانتباه إلى الطبيعة، مثل الجبال والغابات، وملاحظة تنوع النباتات واختلاف مناطق نموها، وكذلك التأمل في الإنسان والحيوان وسير الليل والنهار، يعتبر من وسائل تعظيم العبد لله تعالى، وهذا التوجيه من الله ليس عبثيًا، بل له غاية سامية. عندما نتفكر في هذه المخلوقات ونلاحظ مدى تعقيدها وجمالها، فإننا نقترب من فهم قدرة الله وعظمته. وإن نهى عن التفكر في ذات الله لأنه يتجاوز قدرة العقل البشري. فالله تعالى له ذات وصفات لا يمكن للبشر إدراكها بالكامل بسبب محدودية العقل البشري. التفكر في ذات الله يمكن أن يؤدي إلى مضامين قد تشتت العقل أو تخلق مفاهيم خاطئة. لذلك، القرآن يوجهنا إلى التفكر في خلق الله، لأنه طريقة أكثر أمانًا ومناسبة للتفكر، تعزز إيماننا وتقديرنا لعظمة الله دون محاولة تجاوز حدود الفهم البشري.

٤. **الحذر من تقديم المهم على الأهم؛** كما أن الله قدّم بعض الألفاظ والعبارات في كتابه للإشارة إلى أهميتها، ينبغي علينا أن نتبع هذا الأسلوب في حياتنا. على سبيل المثال، قدّم الله الخمر على الميسر لأنه أشد ضررًا، مما يستدعي منا التركيز على ما يضرنا أكثر. كذلك، قدّم الله الشمس على القمر للدلالة على أهميتها

---

[١٧٩] سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، **المعجم الأوسط**، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، (القاهرة: دار الحرمين، د.ط، د.ت)، باب الميم، ج٦، ص٢٥٠، رقم: ٦٣١٩. إسناده ضعيف.

ودورها البارز، فينبغي أن نُعطي الأمور ذات الأهمية الكبيرة مكانتها المناسبة ونُعطيها اهتمامًا أكبر، كما فعل الله في تقديمه للأشياء في القرآن. قال يوسف القرضاوي: "وضع كل شيء في مرتبته بالعدل من الأحكام والقيم والأعمال، ثم يُقدم الأولى فالأولى بناء على معايير شرعية صحيحة، يهدي إليها نور الوحي ونور العقل. فلا يُقدم غير المهم على المهم، ولا المهم على الأهم، ولا المرجوح على الراجح، ولا المفضول على الفاضل أو الأفضل. بل يُقدم ما حقه التقديم، ويؤخر ما حقه التأخير. ولا يُكبر الصغير ولا يُهون الخطير، بل يوضع كل شيء في موضعه بالقسطاس المستقيم بلا طغيان ولا إخسار"[١٨٠].

٥. **التواضع في فهم القرآن؛** ومن أثر التربوي تصريف القول في آيات التفكر هو التواضع في فهم القرآن الكريم، فإن كثير من هذه الاكتشافات من الأحكام والأسرار التي نتوصل إليها هي في الحقيقة نتاج اجتهاد المفسرين والعلماء الذين يسعون لفهم حكمة القرآن بطرق مختلفة، وتفسيراتهم تُسهم في توضيح المعاني العميقة، ولكن نتفق على أن الله أعلم بمراده فيما أنزل من آيات. وهذا الوعي يجعلنا ندرك أهمية التواضع في فهم النصوص القرآنية، ويدعونا إلى الاستمرار في البحث والدراسة في معرفة أعجاز البياني في القرآني دون الادعاء بمعرفة كاملة. فالتفسير قد يكون متنوعًا، ولكنها جميعًا تعبر عن محاولة الإنسان للتقرب من الله وفهم كتابه، مع الاحتفاظ بالإيمان الراسخ بأن الله وحده هو العليم بكل شيء. إن هذا الفهم يزيد إيماننا بالله ويقوي ارتباطنا بكتابه الكريم. وإن الإيمان المطلق بكتاب الله هو أساس الدين، فالإيمان لا يتوقف على عدم معرفة جميع أسرار وحكم في القرآن، بل يكفي أن نؤمن بأن الله هو الحكيم الخبير. ومع ذلك، فإن فهم الحكمة الكامنة وراء هذه التصرفات يعزز الإيمان ويقوي الالتزام العبد بتنفيذ أوامر الله.

---

[١٨٠] القرضاوي، **في فقه الأولويات**، (القاهرة: مكتبة وهبة، ط١، ١٩٩٥م) ص ٩.

جاء الدكتور صلاح الخالدي ضوابط لبيان حكم التشريعات القرآنية، ويمكن نطبقها في بيان حكم التصرفات القرآنية[١٨١]:

أ. اليقين الجازم بأن هذه التصرفات القرآنية حق وصواب، وفيها الخير الهدى. فالله هو الذي ورد بها، والله هو العليم الحكيم.

ب. موقف المسلم منها القبول والتسليم، والتطبيق والتنفيذ، قبل البحث عن الحكمة منها. والتعليل وبيان الحكمة منها يأتي بعد اليقين بصوابها، وبعد قبولها وتنفيذها وتطبيقها.

ج. عدم الجزم بأن ما أدرك العالم المفكر من حكمة هو الحمة المقصودة من تلك التصرفات القرآنية. ولا نقول: هذا هو مراد الله من هذا التصريف، وهذه هي الحكمة المقصودة منه جزامًا، وإنما نقول: هذا ما هداني الله إليه، وفتح بي علي، وقذ يكون هو المقصود من التصريف وقد لا يكون، ويكون صوابًا وقد يكون خطأً.

د. إبقاء الباب مفتوحًا أمام الباحثين لتقديم ما يفتح الله به عليهم من حكم وتوجيهات، وعدم حصر التصريف التي قدمنا وعدم زعم استقصاء الحديث عنها.

هـ. فمن بين هذه الضوابط الأساسية، يجب علينا أن نستمر في الإيمان بكتاب الله، حتى وإن كنا لا نعرف كل أسراره ومعانيه الخفية. إن الإيمان بكتاب الله هو ركيزة أساسية في حياتنا، وهو ما يمنحنا القوة والثقة في مواجهة تحديات الحياة.

و. وعندما نفهم الحكمة الكامنة وراء تلك الآيات الكريمة، نتمكن من الأسهل علينا الإقرار بأهمية التوجيهات الإلهية، مما يعمق إيماننا ويقوي صلتنا بالخالق، فالإدراك الصحيح لهذه الحكمة يسهم في تعزيز السلوكيات الإيجابية في حياتنا اليومية، ويجعلنا أكثر وعيًا بواجباتنا تجاه الله وتجاه أنفسنا والمجتمع.

---

[١٨١] الخالدي، **اعجاز القرآن البياني**، ص٥٨٩-٥٩١.

ثانيًا: معرفة رحمة الله عز وجل

إن آيات الله المتصرفة في الآفاق والأنفس، وكذلك في الأحكام والنعم، تشهد على رحمته العظيمة تجاه عباده. فرحمة الله تختلف تمامًا عن رحمة المخلوقين؛ فالله سبحانه وتعالى هو خالق الرحمة، وقد جعل جزءًا منها في خلقه، بينما احتفظ لنفسه بتسعة وتسعين جزءًا منها. كما جاء في الحديث النبوي الشريف: «جعل الله الرحمة مائة جزء، فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءا، وأنزل في الأرض جزءا واحدا، فمن ذلك الجزء يتراحم الخلق، حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها، خشية أن تصيبه»[١٨٢].

هذه الرحمة التي أنزلها الله تشمل جميع المخلوقات، من الإنس والجن إلى الحيوانات وسائر الكائنات. ومن مظاهر رحمة الله تعالى في الخلق والناس أنه خلق الإنسان وجعله مكرمًا فوق غيره من المخلوقات، وسخّر له ما في الأرض والبحر والسماء ليستفيد منها. كما خلق الله الليل والنهار؛ ليعين الإنسان على العمل والسعي في النهار، وعلى الراحة والنوم في الليل.

ومن أعظم مظاهر الرحمة أيضًا إرسال الله الرسل وإنزال الكتب لهداية الناس إلى الحق، وليرشدهم إلى الطريق المستقيم. كما وضع الله الشريعة لتكون مرجعًا يحتكم إليه الناس في حياتهم الدنيا، باتباع أوامره والابتعاد عما نهى عنه، وذلك لتحصيل منافعهم ودفع المضار عنهم. ومن رحمة الله سبحانه التخفيف في الأحكام الشرعية، حيث سهّل الله على عباده أدائها، مثل السماح بالفطر في رمضان للمريض والمسافر وغيرها من الرخص التي تعكس رحمة الله ولطفه بعباده.

ومن آثار معرفة رحمة الله كما يلي:

١. **محبة الله عز وجل على إحسانه وإنعامه؛** فعندما يدرك الإنسان حجم رحمة الله وإحسانه وإنعامه عليه، تتولد في قلبه مشاعر الامتنان والحب تجاه الله. ورحمة الله تشمل كل جوانب الحياة، سواء في النعم المادية أو الروحية، ينمو في قلبه حب عميق لله. هذا الحب ينبع من الامتنان لكرم الله ورعايته المستمرة لعباده.

---

[١٨٢] محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري، **صحيح البخاري**، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، (بيروت: دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ)، كتاب الأدب، باب جعل الله الرحمة مائة جزء، ج٨، ص٨، رقم: ٦٠٠٠.

٢. **تقرير التوحيد والنبوة والبعث**؛ إن النعم العامة والخاصة تعد من أقوى الأدلة على وحدانية الله وقدرته وعظيم كرمه وجوده في استجابة حاجات عباده ورحمته بهم في تحقيق مصالحهم. ومن الأمثلة على ذلك في القرآن الكريم، أن سورة النحل تُعرف بسورة النعم، بسبب ما ذكر الله فيها من نعمه المتعددة على عباده. وقد ختم الله العديد من الآيات التي تعدد النعم بقوله تعالى: ﴿**لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾ [البقرة: ٥٦]، ﴿**لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾ [النور: ١]، ﴿**لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [النحل: ١١]، ﴿**لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [الروم: ٢١]، ﴿**لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾ [النحل: ١٢]، ﴿**لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ**﴾ [النحل: ١٣]، ﴿**لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾ [الزمر: ٥٢]، ﴿**لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ**﴾ [يونس: ٦٧]. وغيرها من العبارات التي تدعو للتفكر والتذكر. تكررت هذه العبارات أكثر من مرة لتحثَّ الناس على التأمل في النعم والتفكر فيها، والنظر إليها بعين الوعي والاعتبار، لا بعين الغفلة. فبذلك تبقى القلوب متصلة بالله عند كل حركة في الحياة، مراقبًا له سبحانه دون غفلة أو نسيان.

٣. **القيام بالشكر للنعم والحذر من كفرانها**؛ عندما يدرك الإنسان عظمة رحمة الله والنعم التي يمنّ بها عليه، سواء كانت ظاهرة أو خفية، يتولد في قلبه شعور بالشكر. هذا الشكر ليس مجرد كلمات ينطق بها، بل هو شعور عميق يجب أن ينعكس في تصرفات الإنسان اليومية. وهذا يقصد أنه يسعى ليكون عبدًا شاكرًا، مجتهدًا في تجنب كفران النعم، أي الجحود بها أو استخدامها فيما لا يرضي الله.

جاء الحديث عن عطاء، قال: دخلت أنا وعبيد بن عمير، على عائشة فقالت لعبيد بن عمير: قد آن لك أن تزورنا، فقال: أقول يا أمه كما قال الأول: زر غبا تزدد حبا، قال: فقالت: دعونا من رطانتكم هذه، قال ابن عمير: أخبرينا بأعجب شيء رأيته من رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فسكتت ثم قالت: لما كان ليلة من الليالي، قال: «يا عائشة ذريني أتعبد الليلة لربي» قلت: والله إني لأحب قربك، وأحب ما سرك، قالت: فقام فتطهر، ثم قام يصلي، قالت: فلم يزل يبكي حتى بل حجره، قالت: ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بل لحيته، قالت: ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بل الأرض، فجاء بلال يؤذنه بالصلاة، فلما رآه يبكي، قال: يا

رسول الله، لم تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم وما تأخر؟، قال: «أفلا أكون عبدا شكورا، لقد نزلت علي الليلة آية، ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾» الآية كلها [آل عمران: ١٩٠][١٨٣].

ثالثًا: زيادة الثقة في الدعوة إلى الله

فإن من آثار معرفة تصرفات متعددة في آيات التفكر هي تربي الدعاة في الدعوة إلى الله، إن الدعوة إلى الله تعالى واجب على جميع الأمة وجوبًا كفائيًا، وهي واجب فردي على كل مسلم وفق استطاعته ومستوى علمه. فقد قال النبي ﷺ: «بلّغوا عني ولو آية»[١٨٤]. إذ تكون الدعوة واجبة على كل فرد بما يناسب قدرته. هناك عدة طروق يمكن استخدامها في هذا السياق لزيادة فعالية الدعوة، منها:

١. **استخدام القرآن كأداة دعوة؛** يعتبر القرآن الكريم أداة قوية للدعوة إلى الدين الإسلامي. عندما يتدبر الدعاة في معانيه وأحكامه، يمكنه استخدام الآيات القرآنية كدليل قوي على صحة الدين. فكل آية في القرآن تحمل رسائل مهمة وتفسيرات واضحة تساعد في توضيح مبادئ الدين. ويجيب القرآن على الأسئلة التي يطرحها الناس حول الحياة والكون، مثل: ما هو هدف الحياة؟ وما هي العلاقة بين الإنسان وخالقه؟ وما هو أدلة عن وجود الخالق؟ هذه الإجابات ليست سطحية بل عميقة ومفصلة، مما يجعلها مفيدة ومقنعة للباحثين عن الحقيقة. فالآيات المتصرفة بأدلة من الكون مناسبًا استخدامها في الدعوة.
٢. **الكون مجال للتفكر**[١٨٥]؛ الأمر بالتفكر والتأمل في الكون يعد وسيلة هامة في الدعوة إلى الدين، لأن الكون نفسه يحمل دلائل واضحة على وجود خالق له. عندما نتأمل في الكون، نرى نظامًا معقدًا ومتقنًا يشير إلى وجود الخالق. على سبيل المثال، يمكننا ملاحظة كيفية عمل النجوم والكواكب في مداراتها بدقة، وكيفية

---

[١٨٣] أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي، **صحيح ابن حبان**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)، كتاب الرقائق، باب التوبة، ج٢، ص٣٨٦ رقم ٦٢٠. إسناده صحيح على شرط مسلم.

[١٨٤] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر بني إسرائيل، ج٤، ص١٧٠، رقم: ٣٤٦١.

[١٨٥] القرضاوي، **العقل والعلوم في القرآن الكريم**، ص٣١.

حصول المنافع من الأنعام في بطونه وفي نفسه، كل هذه التفاصيل تعكس قدرة خالق حكيم وعظيم. ومن خلال التفكر في هذه الأمور، يدرك الناس أن الكون لم يخلق من دون سبب أو صدفة، بل هو نتيجة لإرادة خالق عظيم. لذا، فإن التأمل في الكون ليس فقط يقوي الإيمان بالخلق، ولكنه أيضًا يفتح المجال لفهم أعمق لوجود الله وحكمته. وبالتالي، يعتبر هذا النوع من التأمل أداة فعّالة في الدعوة إلى الله، لأنه يساعد الناس على إدراك العظمة والقدرة التي يكمن وراء الكون.

٣. **إقامة المقارنة بين أحكام الحلال والحرام؛** بتوضيح الفرق بين ما يسمح به الدين وما يُحظر، نساعد الناس على فهم كيف تسهم الشريعة في تحسين حياتهم. عندما نشرح الفوائد التي يحصل عليها الأفراد من الالتزام بالدين، مثل تعزيز الصحة النفسية، والحفاظ على العلاقات الاجتماعية الجيدة، وتحقيق السعادة والطمأنينة، نوضح كيف أن هذه الأحكام تساعد في تحسين حياتهم وحياة المجتمع بشكل عام. وفي المقابل، عند شرح الأضرار الناتجة عن تجاهل الأحكام الدينية، مثل المشاكل الصحية، والتوترات الاجتماعية، والتعاسة، نساعد الناس على رؤية العواقب السلبية لعدم اتباع التوجيهات الدينية. وعندما نقدم هذه المقارنات بشكل واضح، نُظهر أن هناك حكمة كبيرة وراء تشريعات الله. هذا يساعد الناس على فهم أسباب أهمية هذه الأحكام ويشجعهم على الالتزام بها. فعرض فوائد الالتزام وأضرار التجاهل يساعد في توضيح لماذا تعتبر أحكام الشريعة مهمة ومفيدة في حياتنا اليومية.

٤. **المدح المتفكرين** :المدح للمتفكرين في القرآن الكريم يعدّ تشجيعاً قوياً على التفكير العميق والبحث المستمر عن الحقيقة. فالقرآن لا يدعو الإنسان إلى الإيمان الأعمى أو التقليد، بل يوجهه إلى استخدام العقل والتفكر في الكون والظواهر المحيطة به. وقد أثنى الله على المتفكرين، ووصفهم بأنهم (أولوا الألباب)، أي أصحاب العقول الواعية التي تتأمل في خلق الله وتبحث عن الحكمة والمعرفة. هذا التقدير الإلهي للمتفكرين يبرز أهمية التفكر والتدبر كأداة لفهم الحقائق الكونية والشرعية، ويدفع الآخرين إلى اتباع نفس الطريق. حينما يدرك الإنسان أن القرآن يثني على العقل والتفكر، يزداد لديه الحافز للتأمل والبحث عن الحقيقة، سواء في آيات الله الكونية

أو في آياته المكتوبة. هذه الدعوة الدائمة إلى التفكر تجعل الإيمان في الإسلام مبنيًا على المعرفة والبصيرة، بدلاً من أن يكون مجرد تقليد أو اتباع بدون وعي.

٥. **ملاحظة تحديات الإعجاز**؛ يتحدى القرآن المنكرين أن يأتوا بمثل القرآن أو حتى بسورة واحدة مثله، لإثبات أنه وحي من عند الله تعالى، وليس من تأليف محمد ﷺ، ولا من تعليم أحد من البشر له. فالقرآن الكريم هو كلام الله المنزل على قلب رسوله ﷺ. وقد جاء القرآن بمعجزات متعددة: فهو معجز في جزالة ألفاظه، ودقة تركيبها وتعبيره متناسبة مع كل موضع ومعنى، ومعجز في أسلوبه البليغ وخطابه المؤثر، وفي معانيه الرفيعة وسموها، وفي تشريعاته وإرشاداته وتوجيهاته الحكيمة، ومعجز في إشارات العلمية التي لم تكن للبشرية علم بها في زمن النزول، ثم أكدتها العلوم الحديثة في عصرنا، ومعجز في قصصه وإخباره عن الغيبيات، وفي تأثيره العميق على النفوس والقلوب. وهذه الأوجه المتعددة للإعجاز لا يزال الناس يكتشفونها في كل زمان ومكان. فإن من هذه ملاحظة، يتقن الدعاة أن القرآن حقًا من الله والدعوة إلى التفكر في أعجازه يشير إلى معرفة هذه الحقيقة.

رابعًا: أهمية تعلّم لغة القرآن

الآثار التربوية الناتجة عن تصريف القول في آيات القرآن الكريم تلعب دورًا محوريًا في إيضاح أهمية تعلم لغة القرآن. إن لغة القرآن هي اللغة العربية فتعلم اللغة العربية يُعد الطريق الأساسي والضروري لفهم القرآن الكريم والسنة النبوية والعمل بمقتضاهما، حيث إن الوصول إلى الفهم العميق للتعاليم الإسلامية لا يتحقق إلا من خلال معرفة اللغة التي نزل بها الوحي. لذلك، يصبح من الواجب على كل مسلم أن يسعى لتعلم ما يكفي من اللغة العربية، بحيث يستطيع فهم آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ، مما يساعده على أداء شعائر دينه وفهم الأحكام الشرعية والعمل بها في حياته اليومية. ومن هنا، يجب على المسلم أن يبذل جهده وفق استطاعته لتحقيق هذا الفهم. فال الإمام الشافعي في الرسالة: "فعلى كل مسلم أن يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده، حتى يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله، ويتلو به القرآن ...

وما ازداد من العلم باللسان الذي جعله الله لسان من ختم به نبوته"[١٨٦]. فإن من آثار تعلم اللغة العربية هي كالآتي:

١. **دلالة على نبوة النبي** ﷺ: من الفوائد التربوية العظيمة لتعلم اللغة العربية هو إدراك صدق نبوة الرسول ﷺ، وذلك من خلال التعرف على روعة البلاغة والفصاحة التي يحملها القرآن الكريم. فبمجرد أن يتعمق الدارس في اللغة، تتكشف له الصور البيانية البديعة والتراكيب اللغوية المعجزة التي لا يستطيع العقل البشري تقليدها. وقد أدرك العرب الأوائل هذا الإعجاز حين تلقوا القرآن وفهموا بلاغته الفريدة، فكانوا أهل اللغة والفصاحة في زمانهم، ومع ذلك لم يتمكن أحد منهم من معارضة أو مجاراة القرآن الكريم. وهكذا، يصبح تعلم اللغة العربية وسيلة لفهم هذا الإعجاز البياني والتصرفات البلاغية، مما يزيد المؤمن إيماناً بصدق الرسالة النبوية ويدعم فهمه العميق لتعاليم الإسلام.

عن ابن عباس رضي الله عنه، أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي ﷺ فقرأ عليه القرآن، فكأنه رق له فبلغ ذلك أبا جهل، فأتاه فقال: يا عم، إن قومك يرون أن يجمعوا لك مالًا. قال: لم؟ قال: ليعطوكه فإنك أتيت محمدًا لتعرض لما قبله قال: قد علمت قريش أني من أكثرها مالًا. قال: فقل فيه قولًا يبلغ قومك أنك منكر له أو أنك كاره له قال: وماذا أقول «فوالله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجز ولا بقصيدة مني ولا بأشعار الجن والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا ووالله إن لقوله الذي يقول حلاوةً، وإن عليه لطلاوةً، وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله، وإنه ليعلو وما يعلى وإنه ليحطم ما تحته» قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه. قال: فدعني حتى أفكر، فلما فكر قال: هذا سحر يؤثر يأثره من غيره فنزلت: ﴿**ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا**﴾ [المدثر: ١١][١٨٧].

---

[١٨٦] محمد بن إدريس الشافعي، **الرسالة**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، (القاهرة: مصطفى البابي الحلبي وأولاد، ط١، ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م)، ص٤٩.

[١٨٧] أبو عبد الله الحاكم الطهماني النيسابوري ابن البيع، **المستدرك على الصحيحين**، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١١هـ/١٩٩٠م)، كتاب التفسير، باب تفسير سورة المدثر، ج٢، ص٥٥٠، رقم ٣٨٧٢. إسناده صحيح على شرط البخاري.

٢. **عدم الاعتماد التام على الترجمات:** من أبرز الآثار الناتجة عن تصريف القول هو تسليط الضوء على أهمية تعلم اللغة العربية لفهم القرآن الكريم إدراكاً حقيقياً وعميقاً. فالقرآن نزل بلغة عربية فصيحة، وما يحتويه من معانٍ دقيقة وألفاظ بلاغية وأساليب بيانية، لا يمكن الوصول إلى مقاصدها الحقيقية إلا من خلال فهم اللغة التي نزل بها. إن الاعتماد على الترجمة إلى لغات أخرى، رغم فائدتها في تقريب المعنى العام، لا يمكن أن ينقل كل الأبعاد اللغوية والبلاغية والإعجازية التي يتميز بها النص القرآني. وبينما الترجمات مفيدة لغير الناطقين بالعربية كأداة مساعدة للحصول على فكرة عامة عن محتوى القرآن، ولكنها لا تعد بديلاً عن النص الأصلي.

لا يمكن للقارئ أن يدرك جميع هذه المعاني والدلالات بمجرد قراءة ترجمة القرآن إلى لغته الأم، على الرغم من أن الترجمات قد تساعد في فهم المعاني العامة وتوضيح بعض المفاهيم، إلا أنها تبقى غير قادرة على نقل العمق الكامل للمعاني التي تحملها اللغة الأصلية. فالترجمة لا تنقل جميع الخصائص اللغوية والبلاغية المتقنة التي تميز اللغة العربية، بما في ذلك التراكيب النحوية، دلالات الكلمات، والإعجاز البياني الذي يقدم المعاني بطرق متصرفة وعلى مستويات مختلفة.

فإدراك المراد الحقيقي من القرآن لا يتحقق إلا من خلال التعمق في اللغة التي نزل بها، حيث تُفهم الأحكام، التشريعات، القصص، والعبر بشكل شامل. ولهذا، تبرز ضرورة دراسة اللغة العربية لكل من يسعى إلى الفهم الصحيح والدقيق لتعاليم الإسلام، حيث أن الترجمة مهما كانت متقنة لا يمكنها أن تعوض عن عمق النص القرآني باللغة العربية.

٣. **المحافظة على اللغة العربية من الضياع:** إن اللغة العربية ليست مجرد وسيلة للتواصل، بل هي لغة الوحي الإلهي التي نزل بها القرآن الكريم، وهو الكتاب الذي يمثل هداية للبشر. إن دراسة التصريف في القرآن الكريم تعتبر من أهم علوم الإعجاز البياني القرآني، حيث يتجلى الإعجاز اللغوي والبلاغي في كل آية وسورة، مما يجعل القرآن معجزة خالدة تتجاوز حدود الزمن. فالإعجاز البياني في القرآن هو من أعظم وجوه الإعجاز التي لم يستطع الناس كشفها بشكل كامل حتى في عصرنا الحالي، على

رغم نزول القرآن قبل أكثر من ١٤٠٠ سنة، لم يمنع استمرار بحث العلماء في أسراره اللغوية، وما زالوا يكتشفون جوانب جديدة من إعجازه.

بفضل الاهتمام المستمر بدراسة القرآن وإعجازه اللغوي، استطاعت اللغة العربية الحفاظ على مكانتها واستمرارية استخدامها عبر الأجيال. هذا الاستمرار في الاستخدام يلعب دورًا كبيرًا في حمايتها من التحريف أو الضياع، كما قال سبحانه: قال سبحانه: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ [الحجر:٩]. على عكس بعض اللغات التي تغيرت أو فقدت بريقها مع الزمن، اللغة العربية ما زالت حية بفضل القرآن الكريم. وجود متحدثين أصليين يساعد في الحفاظ على أصالة اللغة وحمايتها من التحريف، بعكس ما حدث لبعض النصوص المقدسة الأخرى التي تعرضت للتغييرات عبر التاريخ.

حفظ الله تعالى لكتابه العزيز مرتبط ارتباطاً وثيقاً بحفظه للغة التي نزل بها، فقد جعل الله القرآن سهلاً للحفظ والتلاوة، مما يجعل محاولات تحريفه مستحيلة. فهذا الحفظ الإلهي لا يشمل النص القرآني فحسب، بل يمتد ليشمل اللغة العربية نفسها. ومن هنا، فإن دراسة التصرفات البيانية والدلالات اللغوية في القرآن الكريم تتطلب فهماً عميقاً ودقيقاً للغة العربية، وهذا الفهم يسهم بشكل كبير في حماية اللغة العربية من التحريف. فاللغة العربية التي تحمل رسالة الله للبشرية وتحافظ على إعجازها البياني واللغوي والبياني، تظل محفوظة ومصانة، مما يؤكد أن اللغة العربية ستبقى لغة القرآن الخالدة، رمزاً للحق والإعجاز الدائم.

تعد الدراسات اللغوية العربية من أبرز التخصصات التي ركزت على النص القرآني واستشهدت به، نظرًا لأن الحفاظ على نقاء اللسان العربي من الأخطاء واللحن الذي بدأ ينتشر بين العرب مرتبط ارتباطًا وثيقًا بالحفاظ على القرآن الكريم. فقد كان هدف العلماء الأساسي في جمع اللغة العربية ووضع قواعد النحو هو حماية اللغة وضمان سلامتها، بما يخدم فهم القرآن الكريم بشكل صحيح ودقيق.

خامسًا: كشف مقاصد الشريعة الإسلامية

اهتم علماء مقاصد الشريعة اهتماماً كبيراً بربط مقاصد الشريعة باللغة العربية بشكل عام، وفن البلاغة على وجه الخصوص. وجاء عند ويُعد الإمام أبو إسحاق الشاطبي من أبرز هؤلاء العلماء، حيث خصَّ هذا الموضوع بعناية فائقة وقدم له تحليلاً موسعاً في كتابه الموافقات. حيث قال: "إن هذه الشريعة المباركة عربية، لا مدخل فيها للألسن العجمية. إن القرآن نزل بلسان العرب على الجملة، فطلب فهمه يكون من هذا الطريق خاصة، لأن الله تعالى يقول: ﴿**إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا**﴾ [يوسف: ٢] إلى غير ذلك مما يدل على أنه عربي وبلسان العرب، لا أنه أعجمي ولا بلسان العجم، فمن أراد تفهمه فمن جهة لسان العرب يفهم، ولا سبيل إلى تطلب فهمه من غير هذه الجهة"[١٨٨]، وفي موضع آخر يوضح بشكل صريح أن علم البلاغة يُعدّ وسيلة هامة من وسائل فهم مقاصد الشريعة، فقال: "واعلم أن العرب كان لها اعتناء بعلوم ذكرها الناس... ومنها التفنن في علم فنون البلاغة، والخوض في وجوه الفصاحة، والتصرف في أساليب الكلام، وهو أعظم منتحلاتهم، فجاءهم بما أعجزهم من القرآن الكريم"[١٨٩].

من آثار التصريف في آيات التفكر في القرآن الكريم، أي من خلال التأمل والتعمق في بيان التصرفات والدلالات البيانية لهذه الآيات التي تحث على استخدام العقل للتفكر، هي كشف المقاصد الشرعية الكامنة وراء هذه النصوص، ويكشف الإنسان عن الأهداف العميقة التي يسعى الشرع إلى تحقيقها، مما يهدف إلى إصلاح حال الفرد والمجتمع وتعزيز العلاقة بين الإنسان وخالقه، وكذلك تقوية العلاقة بين الإنسان والعالم من حوله.

على سبيل المثال، حكمة الصيام والترغيب فيه، حيث قمنا في المبحث الأول بشرح التصرفات البيانية المتعلقة به، ونقوم في هذا الموضع باستخلاص تلك الحكمة وتوضيحها. قال تعالى عن صيام رمضان في سورة البقرة: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ* أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ ۚ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة: ١٨٣-١٨٤].

---

[١٨٨] إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي، **الموافقات**، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، (القاهرة: دار ابن عفان، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م)، ج٢، ص١٠١-١٠٢.

[١٨٩] المصدر نفسه، ج٢، ص١٢١.

بيّن الدكتور صلاح الخالدي مظاهر الترغيب في الصيام[١٩٠].

١. بدء التكليف بنداء مشوّق موقظ، حيث ناداهم الله بأحب صفاتهم إليهم، وهي صفة الإيمان فقال: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**﴾.

٢. جاء التيسير في فرض الصيام عليهم من خلال توضيح أن الصيام لم يُفرض عليهم وحدهم، بل فرضه الله على أمم سابقة، وهم بذلك يتبعون نهج تلك الأمم.

٣. تشويقهم إلى الصيام بذكرِ الحكمة والغاية المرجوة منه، وهو تحقيق التقوى، فعندما يدركون أن الصيام يقودهم إلى التقوى، يتشجعون على الالتزام به بحماس.

٤. تخفيف مشقة الصيام بتوضيح أن عدد أيامه محدود باستخدام عبارة ﴿**أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ**﴾ فعندما يدركون أن الصيام المفروض لا يتجاوز ثلاثين يوماً من أصل ثلاثمائة وخمسة وستين يوماً، يندفعون بحماس لأدائه.

٥. المسارعة بذكر الرخصة لمن عجز عن الصيام بالسماح له بالفطر، مع إمكانية قضاء الأيام في وقت لاحق بعد زوال العذر، وهذا ينطبق بشكل خاص على المريض والمسافر.

٦. تأكيد أن الصيام يجلب لهم خيرًا كثيرًا، مما يدفعهم إلى الصيام لتحقيق هذا الخير.

تكشف هذه العلاقة بين الأساليب البيانية في القرآن الكريم ومقاصد الشريعة عن عمق الارتباط بين اللغة والأحكام الشرعية. فمن خلال فهم أنواع التصرف في القول، وتنوع التعبيرات القرآنية وأغراضها، نستطيع استنباط المقاصد الشرعية التي ترمي إليها الأحكام المذكورة في القرآن. فكل تصريف في القول يحمل دلالات معينة ترتبط بالحكمة من التشريعات، سواء كانت متعلقة بتحقيق العدالة، أو الرحمة، أو المصلحة العامة، مما يساعدنا على فهم أعمق لمقاصد الشريعة وفلسفتها من خلال نصوص الوحي.

خلاصة الفصل الرابع

في نهاية هذا الفصل يمكننا الخلوص إلى النتائج الآتية:

---

[١٩٠] الخالدي، **اعجاز القرآن البياني**، ص٥٩٨-٥٩٩.

١. من أسرار التصريف في عرض آيات التفكر في الآفاق إبراز معاني التوحيد وعظمة الله، بالإضافة إلى توثيق النبوة. إذ تحفز آيات الله في الآفاق العقول على التفكر في دلائل وجوده، وإظهار قدرته وكمال صفاته. تدعو هذه الآيات الإنسان للتأمل في الكون كشواهد حسية على عظمة الخالق، مما يعزز الإيمان ويؤكد صفاته الجليلة.

٢. ومن سر تصرف الآيات التي تدعو للتفكر في النفس هو التذكير بأن الحياة الدنيا محدودة ولها نهاية. فقد خلق الله الإنسان من العدم، وهو قادر على إعادته بعد الموت، مما يُظهر حقيقة البعث. تؤكد هذه الآيات أن الحياة ليست عبثًا، بل مرحلة مؤقتة تُعدّ الإنسان للآخرة، مما يوجهه نحو السعي لتحقيق مرضاة الله.

٣. وآيات الأحكام المتصرفة جاءت لتوضيح حكمة الله في تشريعه وشرح أسباب تلك الأحكام. وقد قدمت مقارنة بين نفع اتباعها وضرر مخالفتها، حيث تسعى لتهذيب النفس وتطهير القلوب وتقوية العقل. كما تعزز العلاقة بين العبد وربه من خلال الالتزام بأوامر الله. فكل ما شرعه الله هو لمصلحة الإنسان وسعادته في الدنيا والآخرة، وهو رحمة وفضل منه، لا يعود بأي نفع عليه.

٤. والآيات المتصرفة التي تحث على التفكر في القرآن تهدف إلى إبراز مكانته السامية وشرفه العظيم، فهو كتاب الله الخالد. تعظم هذه الآيات شأن القرآن للمؤمنين، وتؤكد على ضرورة التأمل في آياته للاستدلال على الحقائق، مما يقود إلى إدراك إعجازه وإثبات أنه كلام الله المحفوظ من التحريف. فالقرآن وحي إلهي لا يمكن للبشر الإتيان بمثله، مما يجعله كتابًا معجزًا وهادياً عبر العصور.

٥. وجاءت الآيات التي تدعو إلى التفكر في آلاء الله ونعمته لتوضيح وجود الخالق المدبر ودليل على قدرته وعلمه. من خلال التأمل فيها، يتوصل العبد إلى يقين بأن الله هو المستحق للعبادة والطاعة، مما يدفعه لاكتشاف أسرار الكون وعمق حكمته، ويقربه إلى الله بقلب ممتلئ بالامتنان، ويشجعه على شكر الله على نعمه.

٦. السر في عرض الآيات التي تدعو للتفكر في الأمم السابقة، مثل قوله تعالى: ﴿**فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [الأعراف: ١٧٦]، يكمن في توضيح

أهمية العمل بالعلم. فقد أظهر سلوك المكذبين إهمالهم للعلم واتباعهم للظن، مما أدى إلى فسادهم. وجعل الله قصصهم عبرة للمؤمنين لتعزيز التوحيد واتباع الحق.

٧. من الأساليب القرآنية التي نجدها في آيات التفكر هي: أسلوب الاستفهام الإنكاري، وأسلوب ضرب الأمثال، وأسلوب المقارنة، وأسلوب الثناء على المتفكرين، وأسلوب الذم للمقلدين.

٨. مفهوم التربية في اللغة يشير إلى الزيادة والنمو، والنشأة والترعرع، والإصلاح والرعاية. أما في الاصطلاح، فتعرف التربية على أنها تنشئة الإنسان وإصلاحه شيئاً فشيئاً بالتدرج من خلال تطوير شخصية متكاملة ومتوازنة تشمل جميع جوانبها، سواء الروحية أو العقلية أو الوجدانية أو الأخلاقية أو الاجتماعية أو الجسمية.

٩. المعنى اللغوي لكلمة "النفس" يشير إلى الروح، ولكن في الاصطلاح تعني شيئًا مختلفًا، حيث تمثل الذات الإنسانية أو الجانب المعنوي للإنسان. تتكون النفس من التقاء الروح بالجسد، مما يمنح الإنسان إحساسًا بوجوده وهويته، ويعبر عن شخصيته من خلال مشاعره وإدراكاته.

١٠. من الآثار التربوية العميقة لتصريف القول في النفوس هو تعزيز التفكير السليم والنظر الصحيح. يوجه هذا التصريف الناس للتأمل في عظمة الله وقدرته من خلال تدبر خلقه، ويشجعهم على ترتيب الأمور وفقًا لأولوياتها، مما يعزز قدرتهم على وضع الأمور في مواضعها الصحيحة. كذلك يُربي المتعلم كتاب الله على التواضع في فهم معاني وأسرار القرآن الكريم.

١١. من الآثار التربوية على النفس لتصريف القول في آيات التفكر هو فهم الإنسان لرحمة الله، مما يؤدي إلى وعي أكبر بنعم الله. يساعد هذا الإدراك في ترسيخ مفاهيم التوحيد والإيمان بالنبوة والبعث، ويجعل الإنسان أكثر ميلًا للشكر والامتنان، مع الحذر من كفران النعم. فهو يدرك أن شكر النعم هو جزء من الاستجابة الحقيقية لرحمة الله وعظمته.

١٢. من آثار معرفة تصريفات متعددة في آيات التفكر أنها تساهم في تربية الدعاة على منهجية الدعوة إلى الله، من خلال تطوير طرق فعالة في الدعوة. تشمل هذه الطرق

استخدام القرآن كأداة للدعوة، واستغلال الكون للتفكر، ومقارنة أحكام الحلال والحرام، ومدح القرآن للمتفكرين، وملاحظة تحديات الإعجاز.

١٣. تتجلى الآثار التربوية الناتجة عن تصريف القول في آيات القرآن في أهمية تعلم اللغة القرآن أي لغة العربية. فإتقان العربية لا يساعد فقط في فهم النصوص بدقة، بل يُعتبر دليلاً على نبوة النبي محمد ﷺ. الاعتماد الكامل على الترجمات قد يفقد المعاني الدقيقة للنصوص، مما يبرز ضرورة تعلم العربية. كما يسهم تعلمها في الحفاظ عليها من الضياع.

١٤. من آثار التصريف في آيات التفكر في القرآن الكريم، من خلال التأمل في دلالاتها البيانية، هو كشف المقاصد الشرعية الكامنة وراء هذه النصوص. يساهم هذا في توضيح الأهداف العميقة التي يسعى الشرع لتحقيقها، مثل إصلاح حال الفرد والمجتمع وتعزيز العلاقة بين الإنسان وخالقه، وتقوية الصلة بين الإنسان والعالم من حوله.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين الذي وفق الباحثة لإتمام هذه الرسالة، والتي حملت عنوان "تصريف القول في آيات التفكر وأثره في تربية النفس: دراسة تحليلية"، فلولا فضل الله وتوفيقه لما تمكنت من إنهاء هذا العمل. ولما كان باستطاعتنا الوصول إلى بعض النتائج بعد دراسة قضايا التصرفات البيانية والبلاغية قي آيات التفكر، وإبراز الآثار التربوي المستنتجة بعد معرفة دلالات تلك التصرفات. ثم ذكر أهم التوصيات التي توصلت إليها هذه الدارسة، والله نسأل دوام التوفيق والسداد لما يحبه ويرضاه، وفي الختام ننهي رحلتنا العلمية بنتائج وتوصيات الدراسة على النحو الآتي:

أولًا: النتائج

توصلت الباحثة من خلال هذا البحث إلى عدة نتائج ويمكن تلخيصها في النقاط التالية:

١. إن مصطلح التصريف هو لفظة قرآنية وردت بهذا المعنى في عدة آيات من القرآن الكريم، وفي سياقات متنوعة. كما تم استخدامه في كتب بعض العلماء من السابقين واللاحقين عند تناولهم بلاغة القرآن وإعجازه. بالإضافة إلى ذلك، يُعتبر التصريف منهجًا قرآنيًا، حيث استخدمه القرآن كوسيلة لبيان معانيه، وشرحها، وتنوع في عرضها.

٢. إن تصريف القول في القرآن الكريم يهدف إلى تحقيق عدة أهداف وحكم، منها: التفقه الذي يعزز فهم المؤمنين للنصوص الشرعية، والتبيين الذي يوضح المعاني، والتذكر الذي يعزز الذاكرة الروحية، بالإضافة إلى التقوى التي تدفع إلى الالتزام بتعاليم الدين، والرجوع الذي يشجع على العودة إلى الله والتوبة.

٣. أن من أنواع تصريف القول في القرآن الكريم: التقديم والتأخير، والتعريف والتنكير، والحذف والذكر، والإبدال، والإفراد والتثنية والجمع، بالإضافة إلى الوجوه والنظائر. وتُستخدم كل هذه التصرفات في سياقاتها المناسبة، بما يتوافق مع دقة السياق وإحكامه.

٤. تظهر عظمة القرآن الكريم في استخدامه للكلمة الواحدة بمعانٍ متعددة، فمثلاً، كلمة "الهدى" تحمل معاني متنوعة تشمل البيان، والدين، والإيمان، والدعاء. لا يوجد هذا التعدد الدلالي المتميز في أي نص آخر كما هو في القرآن الكريم.

٥. من الفوائد البلاغية لتعدد الدلالات التصريفية في القرآن الكريم الإيجاز والتكثيف المعنوي، حيث تقدم معانٍ متعددة بكلمات قليلة. كما يتيح التدرج في المعنى تفاعلًا ديناميكيًا مع النصوص، بينما يعكس الربط بين المفهوم العام والخاص شمولية الكلمة. ويبرز التنوع الدلالي قدرة القرآن على التكيف مع مواقف مختلفة.

٦. أن التفكر هو عملية عقلية وجدانية تهدف إلى استثمار المعارف والدلائل للوصول إلى حقائق الأمور، من خلال التأمل فيها واستخلاص الدروس من نتائجها. وقد ذكرت كلمة (فَكَّرَ) في مواضع مختلفة في القرآن الكريم.

٧. تكمن أهمية التفكر في القرآن في عدة جوانب، منها: تكريم الله تعالى للإنسان على سائر المخلوقات، حيث يُعتبر التفكر نور الإيمان وأفضل الأعمال، وهو حجر الأساس لبناء الحضارة ونهضتها. كما يُعد وسيلة أساسية لمعرفة حقائق الكون وفهم سننه، ويُشبع أيضًا رغبة الاستطلاع لدى الناس.

٨. أن للتفكر أهدافًا متعددة، منها: الوصول إلى قناعة بوجود الخالق، وتزكية النفس، وزيادة الإيمان واليقين، وفهم مقاصد الحياة، وكشف السنن الإلهية. وتشمل هذه السنن: سنة التسخير، والسنن الاجتماعية، وسنة الحياة والموت.

٩. من المصطلحات المرادفة لمفهوم التفكّر في القرآن: التعقّل، الذي يعبر عن استيعاب العلم؛ التدبّر، الذي يشير إلى التأمل في العواقب؛ التذكّر، الذي يعني استرجاع المعلومات؛ التفقّه، الذي يدل على الفهم العميق؛ الاعتبار، الذي يتضمن النظر في حقائق الأشياء ودلالاتها؛ التبصّر، كوظيفة عقلية؛ والنظر، الذي يعني تقليب البصر والبصيرة لرؤية الشيء بوضوح.

١٠. بين البحث أن دلالات التصريف في آيات التفكر في القرآن تظهر بشكل جلي، حيث نجد أن الكلمة الواحدة أو الآية الواحدة تتصرف وفقًا للسياق الذي وردت فيه، وأسباب نزولها، بالإضافة إلى الآيات السابقة واللاحقة لها. وتتشكل هذه التصرفات بما يتناسب مع المقاصد والدلالات التي يعبر عنها ذلك اللفظ.

١١. تعرف التربية بأنها عملية تنشئة الإنسان وإصلاحه تدريجيًا، من خلال تطوير شخصية متكاملة ومتوازنة تشمل جميع جوانبها، بما في ذلك الروحية والعقلية والوجدانية والأخلاقية والاجتماعية والجسمية. أما النفس يقصد الذات الإنسانية أو الجانب المعنوي للإنسان. تتشكل النفس من تفاعل الروح مع الجسد، مما يمنح الإنسان شعورًا بوجوده وهويته، ويعبر عن شخصيته من خلال مشاعره وإدراكاته.

١٢. من الآثار التربوية العميقة لتصريف القول في النفوس هو تعزيز التفكير السليم والنظر الصحيح. يُعلّم هذا التصريف الناس تجنب التقليد الأعمى والدعوة إلى الابتعاد عن الاعتماد على الظن أو الأهواء، كما يُوجههم للتأمل في عظمة الله وقدرته من خلال تدبر خلقه وعجائب الكون، ويشجع على ترتيب الأمور وفق أولوياتها، ويُربي هذا التصريف المتعلمين على التواضع في فهم معاني وأسرار القرآن، مدركين أن الله وحده هو العليم بحكمته وأسرار كتابه.

١٣. إن استيعاب معاني تصريف القول في آيات التفكر يساهم في تحسين فهم الإنسان لرحمة الله، مما يزيد من وعيه بنعم الله، ويرسخ مفاهيم التوحيد والإيمان بالنبوة والبعث، ويزيد من ميله للشكر والامتنان مع الحذر من كفران النعم. فهو يدرك أن شكر النعم هو جزء أساسي من الاستجابة الحقيقية لرحمة الله وعظمته.

١٤. تساهم معرفة تصريفات متعددة في آيات التفكر في تربية الدعاة على منهجية فعالة للدعوة إلى الله من خلال تطوير أساليب دعوية متنوعة. تشمل هذه الأساليب استخدام القرآن كأداة للدعوة، والتأمل في الكون، ومقارنة أحكام الحلال والحرام، ومدح القرآن للمتفكرين، وملاحظة تحديات الإعجاز.

١٥. تظهر الآثار التربوية الناتجة عن تصريف القول في آيات القرآن في أهمية تعلم اللغة العربية. فإتقان العربية لا يساعد فقط في فهم النصوص بدقة، بل يُعتبر أيضًا دليلاً على نبوة النبي محمد ﷺ. الاعتماد على الترجمات يمكن أن يفقد المعاني الدقيقة للنصوص، مما يبرز ضرورة تعلم العربية. كما يسهم إتقانها في الحفاظ عليها من الضياع.

١٦. من خلال التأمل في دلالات آيات التفكر البيانية، وجدت الباحثة أثر التصريف فيها وهو كشف المقاصد الشرعية الكامنة وراء هذه النصوص. يساهم ذلك في

توضيح الأهداف العميقة التي يسعى الشرع لتحقيقها، مثل إصلاح الفرد والمجتمع، وتعزيز العلاقة بين الإنسان وخالقه، وتقوية الصلة بين الإنسان والعالم من حوله.

١٧. من الآثار التربوية على النفس لتصريف القول في آيات التفكر هو فهم الإنسان لرحمة الله، وسعة هذه الرحمة وعظمتها، وينتج عن هذا الفهم ترسيخ مفاهيم التوحيد والإيمان بالنبوة والبعث، كما يجعل الإنسان أكثر ميلًا للشكر والامتنان، مع الحذر من كفران النعم وجحودها.

ثانيًا: التوصيات

توصي هذه الدراسة بما يأتي:

١. تقترح الباحثة على المتخصصين في مجال تصريف القول البحث في آيات أخرى أيضًا، مثل آيات الترغيب والترهيب، وآيات العقيدة، وآيات الأحكام، وآيات وصف الجنة والنار، ثم محاولة النظر إلى آراء المسرين والقدماء في بيان التصرفات البيانية فيها، وذلك بهدف الوصل إلى تربية النفس والمجتمع في هذا العصر.

٢. توصي الدراسة بزيادة الاهتمام باللغة العربية وعلومها، حيث إن إتقان لغة القرآن الكريم يعد أمرًا ضروريًا لفهم كتاب الله عز وجل وتأمل معانيه. بناءً على ذلك، تقترح الباحثة إدراج مادة تصريف القول ضمن المقررات الدراسية في جميع الكليات الشرعية، لتمكين الطلبة من استيعاب جمال القرآن الكريم وأسرار تعبيره وأهدافه.

٣. تشجع الدراسة الباحثين على إجراء دراسات إضافية حول الأساليب المتنوعة في القرآن، مع التركيز على تحليل كل تصرف بشكل منفصل. ينبغي أن تستكشف هذه الدراسات تأثيرات هذه التصرفات في تربية الأفراد والمجتمع، وكذلك في مجالات أخرى مثل التعليم والدعوة. من خلال هذا البحث، يمكن فهم كيف تساهم هذه التصريفات في فهم جمال القرآن وروعته.

٤. توصي الدراسة بإضافة مادة تصريف القول وآثاره ضمن المواد الأكاديمية التي تدرس في المدارس والجامعات والمراكز الدينية لما لها من فوائد ومنافع تتعلق بفهم القرآن الكريم وتساعد على العمل به.

هذه أبرز النتائج والتوصيات التي توصلت إليها الباحثة من خلال دراستها. أسأل الله أن يتقبل مني هذا العمل، وأن يجعله في ميزان حسناتي في الدنيا والآخرة. آمل أن تكون المعلومات التي قدمتها مفيدة للباحثين ولكل المسلمين. والحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر المراجع

أولاً: القرآن الكريم.

ثانيًا: الكتب العربية

ابن سلام، يحيى. (١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م). **التصاريف تفسير القرآن اشتبهت أسماؤه وتصرفت معانيه.** (د.ط). عمان: مؤسسة آل البيت.

ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر. (١٩٨٤م). **التحرير والتنوير.** (د.ط). تونس: الدار التونسية للنشر.

ابن عيسى، أحمد بن إبراهيم بن حمد بن عبد الله. (١٤٠٦هـ). **توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم.** (ط٣). تحقيق: زهير الشاويش (تحقيق). بيروت: المكتب الإسلامي.

ابن فارس، أحمد بن زكريا القزويني الرازي. (١٣٩٩هـ/١٩٧٩م). **معجم مقاييس اللغة.** (د.ط). عبد السلام محمد هارون (تحقيق). دمشق: دار الفكر.

ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الجوزية. (١٤١٦هـ/١٩٩٦م). **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة.** (ط١). القاهرة: دار ابن عفان.

ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الجوزية. (١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م). **مدارج السالكين في منازل السائرين** (ط٧). محمد المعتصم بالله البغدادي (تحقيق). بيروت: دار الكتاب العربي.

ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الجوزية. (١٤٤٠هـ/٢٠١٩م). **الفوائد.** (ط٤). محمد عزير شمس (تحقيق). الرياض: دار عطاءات العلم.

ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر. (١٤١٩هـ). **تفسير القرآن العظيم**. (ط١). محمد حسين شمس الدين (تحقيق). بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي الأنصاري. (١٤١٤هـ). **لسان العرب**. (ط٣). بيروت.

أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي. (د.ت). **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**. (د.ط). بيروت: دار إحياء التراث.

أبو حاتم، محمد بن حبان بن أحمد التميمي. (١٤٠٨هـ/١٩٨٨م). **صحيح ابن حبان**. (ط١). تحقيق: شعيب الأرنؤوط (تحقيق). بيروت: مؤسسة الرسالة.

أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي أثير الدين الأندلسي. (١٤٢٠هـ/٢٠٠م). **البحر المحيط في التفسير**. (د.ط). بيروت: دار الفكر.

أبو زهرة، محمد أحمد مصطفى أحمد. (١٣٩٠هـ/١٩٧٠م). **المعجزة الكبرى القرآن**. (د.ط). القاهرة: دار الفكر العربي.

أبو زهرة، محمد أحمد مصطفى أحمد. (د.ت). **زهرة التفاسير**. (د.ط). القاهرة: دار الفكر العربي.

أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري. (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م). **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**. (ط٤). أحمد عبد الغفور عطار (تحقيق). بيروت: دار العلم للملايين..

أحمد مطلوب أحمد الناصري الرفاعي. (١٩٨٠م). **أساليب بلاغية**. (ط١). الكويت: وكالة المطبوعات.

الإسكافي، محمد بن عبد الله الخطيب. (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م). **درة التنزيل وغرة التأويل**. (ط١). محمد مصطفى آيدين (تحقيق). مكة: جامعة أم القرى.

إسماعيل، محمد بكر. (١٤١٩هـ/١٩٩٩م). **دراسات في علوم القرآن الكريم**. (ط٢). القاهرة: دار المنار.

الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني. (١٤١٥هـ). **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**. (ط١). علي عبد الباري عطية (تحقيق). بيرت: دار الكتب العلمية.

امحمد محمد صافي المستغانمي. (٢٠١١م). **تصريف القول في القصص القرآني**. (د.ط). إربد: عالم الكتب الحديث.

أمينة، أحمد حسن. (١٩٨٥م). **نظرية التربية في القرآن وتطبيقها في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام**. (ط١). القاهرة: دار المعارف.

البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله. (١٤٢٢هـ). **صحيح البخاري**. (ط١). محمد زهير بن ناصر الناصر(تحقيق). بيروت: دار طوق النجاة.

البخيت، أبو بكر محمد فوزي. (١٤٣٦هـ). **خصائص الأسلوب القرآني**. (ط١). الرياض: كرسي القرآن الكريم وعلومه.

بركات، زياد. (٢٠١٨م). **التفكير الإيجابي والتفكير السلبي**. (ط١). عمان: دار الشروق.

برهان الدين ابن مفلح الحفيد. (١٤١٨هـ/١٩٩٧م). **المبدع في شرح المقنع**. (ط١). بيروت: دار الكتب العلمية.

البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود. (١٤١٧هـ/١٩٩٧م). **معالم التنزيل في تفسير القرآن**. (ط٣). محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش (تحقيق). الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع.

البقاعي، إبراهيم بن عمر بن علي بن أبي بكر. (د.ت). **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**. (د.ط). القاهرة: دار الكتاب الإسلامي.

البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد محمد الشيرازي. (١٤١٨هـ). **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**. (ط١). بيروت، دار إحياء التراث العربي.

البيهقي، أحمد بن الحسين. (١٤٢٠هـ/١٩٩٩م). **الاعتقاد والهداية إلى السبيل الرشاد**. (ط١). الرياض: دار الفضيلة.

الترمذي، محمد بن عيسى. (١٣٩٥هـ/١٩٧٥م). **سنن الترمذي**. (ط٢). أحمد محمد شاكر (تحقيق). القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي.

تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية. (١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م). **مجموع الفتاوى**. (ط١). المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم. (١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م). **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**. (ط١). محمد بن عاشور (تحقيق). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر. (١٤١٣هـ/١٩٩٧م). **دلائل الإعجاز في علم المعاني**. (ط٣). محمود محمد شاكر أبو فهر (تحقيق). القاهرة: مطبعة المدني.

الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف. (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م). **التعريفات**. (ط١). بيروت: دار الكتب العلمية.

جروان، فتحي عبد الرحمن. (١٩٩٩م). **تعليم التفكير**. (د.ط). الإمارات: دار الكتاب الجامعي.

الجليل، عبد العزيز ناصر. (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م). **أفلا تتفكرون**. (ط١). الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع.

الحاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله. (١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م). **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**. (د.ط). محمد شرف الدين (تحقيق). إسطنبول: وكالة المعارف.

الخادمي، نور الدين بن مختار. (١٤٢١هـ/٢٠٠١م). **علم المقاصد الشرعية**. (ط١). الرياض: مكتبة العبيكان.

الخازن، علاء الدين علي بن محمد. (١٤١٥هـ). **لباب التأويل في معاني التنزيل**. (ط١). محمد علي شاهين (تحقيق). بيروت: دار الكتب العلمية.

الخالدي، صلاح عبد الفتاح. (١٤٤٣هـ/٢٠٢١م). **اعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني**. (ط١). دمشق: دار القلم.

الخالدي، محمود. (١٤٠٦هـ/١٩٨٦م). **التفكير**. (ط١). القاهرة: مكتبة الرسالة الحديثة.

خليل، عماد الدين. (١٩٨٣م). **مدخل إلى موقف القرآن من العلم**. (ط١). بيروت: دار المؤسسة الرسالة.

الدوسري، محمود أحمد صالح. (١٤٢٦هـ). **عظمة القرآن الكريم**. (ط١). الدمام: دار ابن الجوزي.

الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي. (١٤٢٠هـ). **مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير**. (ط٣). بيروت: دار إحياء والتراث.

الرازي، ومحمد بن أبي بكر بن عبد القادر. (١٤٢٠هـ/١٩٩٩م). **مختار الصحاح**. (ط٥). يوسف الشيخ محمد (تحقيق). بيروت: المكتبة العصرية.

الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين. (١٤١٢هـ). **المفردات في غريب القرآن**. (ط١). صفوان عدنان الداودي (تحقيق). دمشق: دار القلم.

رضا، محمد رشيد بن علي. (١٩٩٠م). **تفسير المنار**. (د.ط). القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

الرماني، أبو الحسن علي بن عيسى بن عبد الله. (١٩٧٦م) **النكت في أعجاز القرآن**. (ط٣). محمد خلف الله، محمد زغلول سلام (تحقيق). القاهرة: دار المعارف.

روزين، فاديم. (٢٠١١م). **التفكير والإبداع**. نزار عيون السود (ترجمة). (ط١). دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب وزارة الثقافة.

زايد، فهد خليل. (١٤٢٨هـ/٢٠٠٨م). **الاعجاز العلمي والبلاغي في القرآن الكريم**. (ط١). عمان: دار النفائس.

الزحيلي، وهبة. (١٤٠٠هـ/١٩٩١م). **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**. (ط١). دمشق: دار الفكر.

الزُّرْقاني، محمد عبد العظيم. (١٤١٥هـ). **مناهل العرفان في علوم القرآن**. (ط١). بيروت: دار الكتاب العربي.

الزركشي، محمد بن عبد الله بدر الدين. (١٣٧٦هـ/١٩٥٧م). **البرهان في علوم القرآن**. (ط١). محمد أبو الفضل إبراهيم (تحقيق). القاهرة: دار إحياء الكتب العربية.

الزمخشري، محمود بن عمر بن أحمد. (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م). **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**. (ط٢). القاهرة: دار الريان للتراث.

الزنتاني، عبد الحميد الصيد. (١٩٩٣م). **أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية**. (ط٢). لبيا: دار العربية الكتاب.

زيدان، عبد الكريم. (١٤١٣هـ/١٩٩٣م). **السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية**. (ط١). بيروت: مؤسسة الرسالة.

السامرائي، فاضل صالح. (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م). **التعبير القرآني**. (ط٤). عمان: دار عمار.

السامرائي، فاضل صالح. (١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م). **بلاغة الكلمة في التعبير القرآني**. (ط٥). عمان: دار عمار.

السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله. (١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م). **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**. (ط١). عبد الرحمن بن معلا اللويحق (تحقيق). بيروت: مؤسسة الرسالة.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين. (١٤٠٨هـ/١٩٨٨م). **معترك الأقران في إعجاز القرآن**. (ط١). بيروت: دار الكتب العلمية.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين. (١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م). **الإتقان في علوم القرآن**. (ط١). بيروت: مؤسسة الرسالة ناشرون.

الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي. (١٤١٧هـ/١٩٩٧م). **الموافقات**. (ط١). أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان (تحقيق). القاهرة: دار ابن عفان.

الشافعي، محمد بن إدريس. (١٣٥٧هـ/١٩٣٨م). **الرسالة**. (ط١). تحقيق: أحمد محمد شاكر (تحقيق). القاهرة: مصطفى البابي الحلبي وأولاد.

الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله. (١٤١٤هـ). **فتح القدير**. (ط١). دمشق: دار ابن كثير.

الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم. (د.ت). **المعجم الأوسط**. (د.ط). طارق بن عوض الله بن محمد، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني (تحقيق). القاهرة: دار الحرمين.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير. (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م). **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**. (ط١). عبد الله بن عبد المحسن التركي (تحقيق). القاهرة: دار هجر للطباعة والنشر.

طنطاوي، محمد سيد. (١٩٩٧م). **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**. (ط١). القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

الطوفي، سليمان بن عبد القوي بن الكريم. (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م). **شرح مختصر الروضة**. (ط١). تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي (تحقيق). بيروت: مؤسسة الرسالة.

عباس، فضل حسن أحمد. (١٤٣٧هـ/٢٠١٦م). **لمسات ولطائف من الإعجاز البياني للقرآن الكريم**. (ط١). عمان: دار النفائس.

عباس، فضل حسن أحمد. (١٩٩٧م). **إعجاز القرآن**. (ط٢). عمان: جامعة القدس المفتوحات.

عبيدات، عبد الكريم نوفان. (١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م). **الدلالة العقلية في القرآن**. (ط١). عمان: دار النفائس.

العسكري، أبو هلال الحسن. (١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م). **الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري**. (ط١). محمد عثمان (تحقيق). القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية.

العسكري، أبو هلال الحسن. (د.ت). **الفروق اللغوية**. (د.ط). محمد إبراهيم سليم (تحقيق). القاهرة: دار العلم والثقافة.

الغرناطي، أحمد بن إبراهيم بن الزبير. (د.ت). **ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل**. (د.ط). عبد الغني محمد علي الفاسي (تحقيق). بيروت: دار الكتب العلمية.

الغزالي، أبو حامد محمد. (١٤٠٩هـ/١٩٨٨م). **معارج القدس في مدارج معرفة النفس**. (ط١). بيروت: دار الكتب العلمية.

الغزالي، أبو حامد محمد. (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م). **إحياء علوم الدين**. (ط١). بيروت: دار ابن جزم.

فرحات، أحمد حسن. (٢٠٠٣م). **الفكر الإسلامي: مفهومه ومعالمه**. (ط١). عمان: دار عمار.

الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب. (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م). **القاموس المحيط**. (ط٨). مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة (تحقيق). بيروت: مؤسسة الرسالة.

الفيومي، أحمد بن محمد بن علي. (١٩٨٧م). **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**. (د.ط). بيروت: مكتبة لبنان.

القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد. (١٤١٨هـ). **محاسن التأويل**. (ط١). محمد باسل عيون السود (تحقيق). بيروت: دار الكتب العلمية.

القرضاوي، يوسف. (١٤١٦هـ/١٩٩٦م). **العقل والعلوم في القرآن الكريم**. (ط١). القاهرة: مكتبة وهبة.

القرضاوي، يوسف. (١٩٩٥م). **في فقه الأولويات**. (ط١). القاهرة: مكتبة وهبة.

القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري. (١٣٨٤هـ/١٩٦٤م). **الجامع لأحكام القرآن**. (ط٢). أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش (تحقيق). القاهرة: دار الكتب المصرية.

القطان، مناع بن خليل. (١٤٠٨هـ/١٩٨٨م). **مباحث في علوم القرآن**. (ط٨). الرياض: مكتيه المعارف.

قطب، سيد. (١٩٧٢م). **في ظلال القرآن**. (ط١). القاهرة: دار الشروق.

قطب، محمد. (١٤١٣هـ/١٩٩٣م). **مذاهب فكرية معاصرة**. (ط٧). القاهرة: دار الشروق.

قطب، محمد. (١٤١٤هـ/١٩٩٣م). **منهج التربية الإسلامية**. (ط١٤). القاهرة، دار الشروق.

القنوجي، صديق حسن خان. (١٤١٢هـ/١٩٩٢م). **فتح البيان في مقاصد القرآن**. (د.ط). بيروت: المكتبة العصرية للطباعة والنشر.

الكرماني، أبو القاسم. (١٤٠٦هـ/١٩٨٦م). **أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن**. (ط١). بيروت: دار الكتب العلمية.

الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني. (د.ت). **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**. (د.ط). بيروت: مؤسسة الرسالة.

الكيسي، عبد الواحد حميد. (٢٠٠٦م). **دعوة للتفكير من خلال القرآن**. (ط١). عمان: مركز ديبونو.

لاشين، عبد الفتاح. (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م). **من أسرار التعبير القرآن صفاء الكلمة**. (ط٣). الرياض: دار المريخ للنشر.

المبترك، محمد. (١٣٩٨هـ/١٩٧٨م). **الإسلام والفكر العلمي**. (ط١). بيروت: دار الفكر.

مجمع اللغة العربية. (١٣٩٢هـ/١٩٧٢م). **المعجم الوسيط**. (ط٢). القاهرة: مجمع اللغة العربية.

مركز تفسير الدراسات القرآنية. (١٤٤٠هـ/٢٠١٩م). **موسوعة التفسير الموضوعي للقرآن الكريم**. (ط١). الرياض: مركز تفسير الدراسات القرآنية.

مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري. (١٣٧٤هـ/١٩٥٥م). **صحيح مسلم**. (د.ط). محمد فؤاد عبد الباقي (تحقيق). القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.

المسيري، منير محمود علي. (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م). **دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم**. (ط١). القاهرة: مكتبة وهبة.

مقاتل، مقاتل بن سليمان. (١٤٣٣هـ/٢٠١١م). **الوجوه والنظائر في القرآن العظيم**. (ط٢). حاتم صالح الضامن (تحقيق). الرياض: مكتبة الرشد.

المناوي، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف. (١٤١٠هـ/١٩٩٠م). **التوقيف على مهمات التعاريف**. (ط١). القاهرة: عالم الكتب.

الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة. (١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م). **قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل**. (ط٤). دمشق: دار القلم.

النحلاوي، عبد الرحمن. (١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م). **أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع**. (ط٢٥). بيروت: دار الفكر.

النحلاوي، عبد الرحمن. (١٩٨٩م). **التربية بالآيات**. (د.ط). بيروت: دار الفكر.

نخبة علماء مجمع القرآن الكريم بالشارقة. (١٤٤٤هـ/٢٠٢٣م). **موسوعة التفسير البلاغي**. (ط١). الشارقة: مجمع القرآن الكريم بالشارقة.

النقراط، عبد الله محمد. (١٤٢٣هـ). **بلاغة تصريف القول في القرآن الكريم**. (ط١). دمشق: دار قتيبة.

النيسابوري، ونظام الدين الحسن القمي. (١٤١٦هـ). **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**. (ط١). زكريا عميرات (تحقيق). بيروت: دار الكتب العلمية.

ثالثًا: الرسائل الجامعية

عقيد خالد حمودي محيي العزاوي. (١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م). **الأساليب البلاغية في تفسير نظم الدُّرر في تناسب الآيات والسّور**. رسالة دكتوراه في اللغة العربية وآدابها. بغداد: جامعة بغداد.

محمد شفيق الرحمن. (٢٠٠٤م). **مع آيات التفكر والاعتبار في القرآن الكريم**. رسالة ماجستير في علوم الوحي والتراث. ماليزيا: الجامعة الإسلامية العالمية.

المقري، أحمد محمد يحيى. (١٣٩٨هـ/١٨٧٨م). **تربية النفس الإنسانية في ظل القرآن الكريم**. رسالة ماجستير في قسم الدراسات العليا الشرعية. جدّة: جامعة الملك عبد العزيز.

رابعًا: الدوريات

شاكر، أبو الفتوح عبد القادر. التفكّر والتدبّر وأثرهما في تثبيت الإيمان في القرآن الكريم، **مجلة الجامعة العراقية**. العراق: مركز البحوث والدراسات. العدد ٥٠ ج١. ٢٠٢١م/١٤٤٢هـ.

العمّار، عبد العزيز بن صالح. تصريف المعاني في القرآن الكريم، **مجلة العلوم العربية**. الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. العدد: ٢٤. رجب ١٤٣٣هـ.

المجالي، محمد جازر. مصطلح التفكر كما جاء في القرآن، **مجلة الشريعة والقانون**. عمّان: الجامعة الأردنية. العدد ٢٣. مايو. ٢٠٠٥م.